

الرحلات الهندية:

نظرات في شمال الهند

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

© محمد ناصر العبودي ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر

نظرات في شمال الهند / محمد ناصر العبودي . -

الرياض ، ١٤٢٤هـ

٤٤٨ ص : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ١-٧٠٥-١٠-٩٩٦٠

أ- العنوان

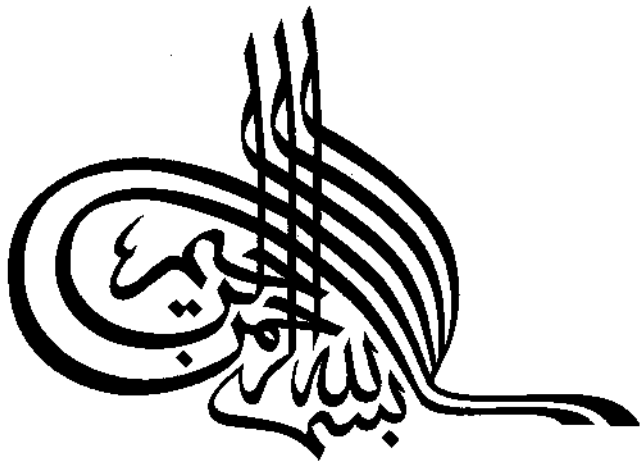
١- الهند- وصف ورحلات

١٤٢٤/٤٦٣٦

ديوي ٩١٥,٤٠٤

رقم الايداع ١٤٢٤/٤٦٣٦

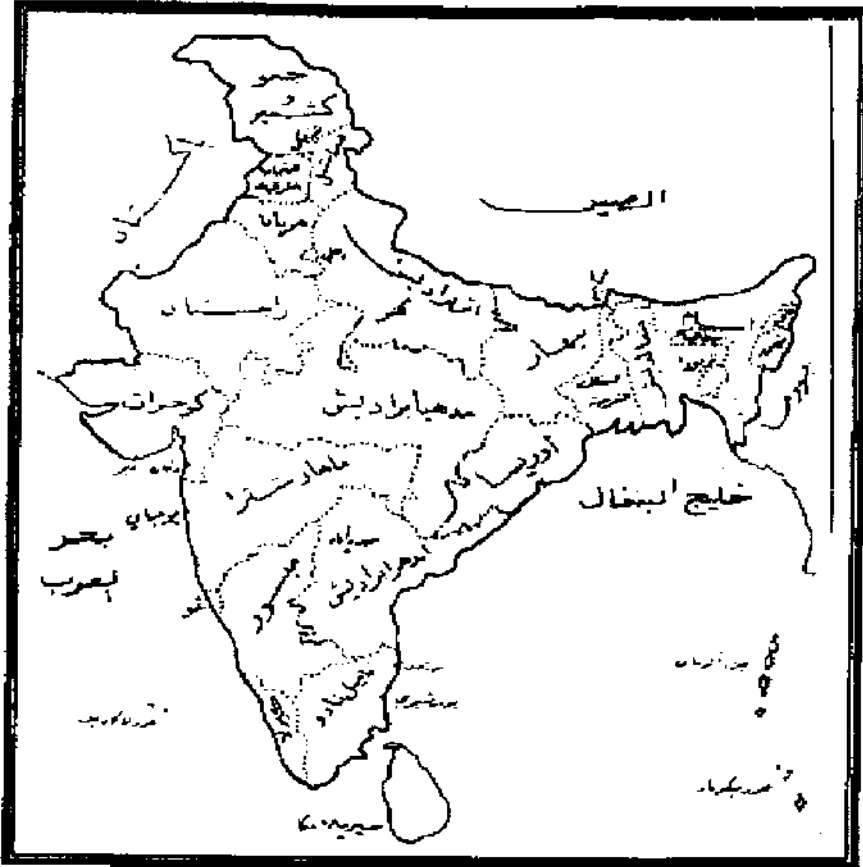
ردمك ١-٧٠٥-١٠-٩٩٦٠



ولاية إقرا براديش

معلومات عن ولاية (إترابراديش):

إترابراديش يعني الولاية الشمالية وهي أكثر ولايات الهند سكانا، رغم كونها ليست أوسعها مساحة، وهذه المعلومات مستقاة من أوساط هندية ولكنها قديمة، مع ذلك أثرنا إيرادها منبهين القارئ الكريم إلى أنه ينبغي أن يحسب للزيادة السكانية في الهند عموماً حساباً، ولزيادة المسلمين الذين هم أكثر من غيرهم تناسلاً حساباً أيضاً.



الولايات الهندية

كانت ولاية (إترابراديش) تسمى الولاية المتحدة: آكره و (اوده) ثم سميت باسم (الولايات المتحدة) فقط في عهد الحكم الإنكليزي، وهي أهم ولايات الهند لبعض الأسباب والعلل، وهي تحتل المكانة الرابعة في ولايات الهند مساحة، ولكن سكانها هم أكثر من سكان أية ولاية من ولايات الهند الأخرى، مع كون ولاية مدهيا براديش هي أوسع ولايات الهند فهي أوسع من اترابراديش بكثير.

وعدد سكان هذه الولاية وفق إحصاء سنة ١٩٩١م ٩٠,٣١١,٣٦١ نسمة، تسكن فيها ٤٧٢ نفس في كل كيلومتر مربع، فيها ١٢ قوميارية، و ٣ مديريات، ويوجد فيها أكبر عدد للمسلمين من أي ولاية هندية، ويسكن فيها ¼ أي ٢٤ نفساً من كل مئة من سكان الهند، ونذكر فيما يلي عدد المسلمين ونسبتهم في السكان من ١٩٥١م إلى ١٩٨١م.

العام	عدد المسلمين	النسبة في السكان
١٩٥١م	٩,٠٢٨,٩٩٢	١٤,٢٨
١٩٦١م	١٠,٧٨٨,٠٨٩	١٤,٦٣
١٩٧١م	١٣,٦٧٦,٥٣٢	١٥,٤٨
١٩٨١م	١٧,٦٥٧,٧٣٥	١٥,٩٣

وقد زادت نسبة ٢٥,٤١٪ في سكان ولاية إترابراديش في إحصاء ١٩٩١م، وكانت زادت نسبة ٢٩,١١٪ في عدد المسلمين في إحصاء ١٩٨١م، لأجل ذلك يقدر أن تزيد نسبة ٣٠٪ في عدد المسلمين في إحصاء ١٩٩١م، وهكذا يبلغ عددهم إلى ٢٢,٩٥٥,٠٥٥ نسمة في ولاية إترابراديش، ونذكر فيما يلي سكان المديرية الأربع لولاية إترابراديش

التي يوجد فيها أكبر عدد للمسلمين في سنتي ١٩٧١م و١٩٨١م.

المديريات	السكان عام ١٩٧١م	النسبة المئوية	السكان عام ١٩٨١م	النسبة المئوية
مرادآباد	٩٢٦,٦٦٨	٣٨,١٥	١,١٩٨,٨٠٧	٣٨,٠٦
سهارنبور	٦٣٩,١٧٠	٣١,١١	٨٤٣,٩٩٩	٣١,٥٧
بجنور	٥٤٦,٤٨٢	٣٦,٦٦	٧٦٥,٠٦٣	٣٩,٤٥
رامفور	٤١٢,٣٩٥	٤٥,٧٦	٥٥٦,٥٣٢	٤٧,٢٢

والمسلمون في مديرية مظفر نقر $٢٨,٧٤\%$. وفي مديرية بريلي $٢٧,١٢\%$ وفي ميرته $٢٥,٣٠\%$ ، وفي بهرائج $٢٥,٢٠\%$ ، وهم أكثر من ٢١% في مديريات غوندا وغازي آباد، وديوريا، وباره بنكي، وبستي، وهم أكثر من ١٥% في لکنؤ، وبلند شهر وبدايون، وسيتافور، وشاه جهان فور، وكهيري.

والمسلمون أقل عدداً في المناطق الجبلية التي تقع في شمال اترابرايش وأقل نسبة للمسلمين في السهول هي في مديرية مين فوري بأغره، إذ تبلغ مديرية بانده $٥,٥١\%$ بجهانسي، وفي مديرية لت فور $٢,١١\%$ ، وفي مديرية بليا $٥,٢٥\%$ ، وفي مديرية مرزافور $٥,٤٢\%$.

اليوميات في شمال الهند

هذه اليوميات في شمال الهند مختلفة التواريخ، فبعضها قديم وبعضها حديث، وبعضها مختصر، وبعضها مبسوط، تبعاً لطريقة المؤلف في الكتابة، حيث كتابته في القديم تتسم بالإيجاز، وفي الحديث بالإيضاح والتبسط.

وقد أوردتها كما كتبتها، لأن ذلك أدنى إلى صدق الصورة، وهو واقع الرحلة، ولكنها يجمع بينها أنها كلها تتحدث عن أماكن في شمال الهند من ولاية (إترابرايش) ومن دلهي العاصمة.

من بنارس إلى دلهي:

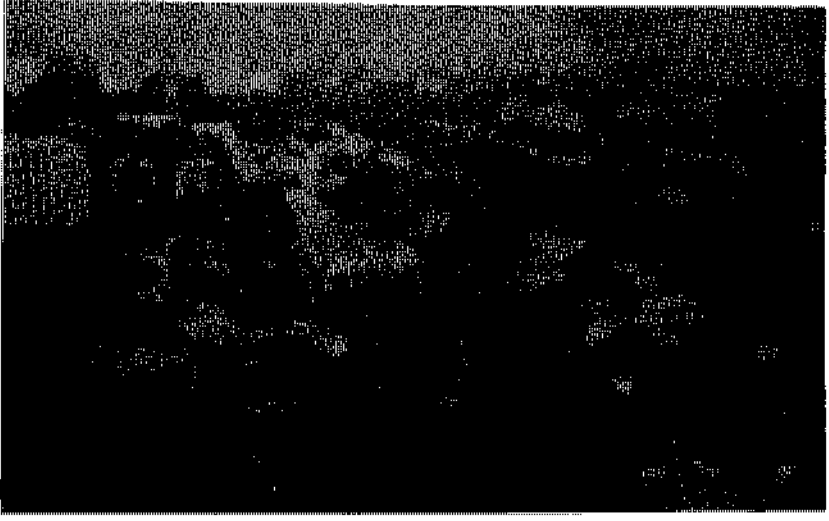
كنا في زيارة لمدينة بنارس المقدسة عند الهناك، وقد ذكرت ذلك في كتاب (الشمال الشرقي من الهند) بدعوة من الجامعة السلفية فيها، فركبنا طائرة الخطوط الهندية من طراز بوينج ٧٣٧ في الساعة الثانية عشرة والثلاث ظهراً إلى مدينة دلهي، ولكن الطائرة تنزل أولاً في كاجورا، واستمر الطيران ٣٠ دقيقة ثم هبطت في مدينة آقرا بعد طيران استغرق ٣٠ دقيقة أيضاً، ثم طارت إلى دلهي فوصلنا لها بعد (٢٠) دقيقة.

ووجدنا الجو في دلهي مقبولاً لأنه غب مطر، لاسيما إذا قورن بجو بنارس الحار، وقصدنا فندق أشوكا الذي اعتدت النزول فيه قبل ذلك، ولكننا لم نجد فيه مكاناً خالياً، فذهبنا إلى فندق آخر من الدرجة الأولى اسمه (أكبرهوتيل) وهو غير بعيد عن أشوكا.

يوم الأحد ١٣/٥/١٩٩٧م

انتقلنا إلى فندق أشوكا في هذا الصباح، وهو فندق كبير من الدرجة الممتازة على الطراز الهندي ففيه من المطاعم أربعة، أحدها متخصص بالطعام الهندي وفيه على العشاء غناء هندي، والثاني: فيه الطعام الأوروبي، والثالث: فيه نادٍ ليلي، والرابع: للأطعمة الخفيفة مفتوح طول الليل والنهار، أما المتاجر فهي فيه كثيرة لجميع أنواع البضائع، وفيه بنكان، ومكاتب لشركات الطيران كما في معظم فنادق الدرجة الممتازة الفاخرة.

وفوق ذلك فهو هادئ لسعته وجمال تصميمه، وتملكه الحكومة الهندية، وسمي على اسم (أشوكا) ملك من ملوك الهند القدماء، حكم الهند قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو قرنين ونصف، وكانت له أعمال عمرانية مذكورة، وهو بوذي الديانة، ومعلوم أن البوذية نشأت في الهند نتيجة للمظالم والتمييز العنصري الذي قام به أتباع الديانة الهندوكية، وعدت من صميم تلك الديانة، مثل نظام الطبقات في المجتمع الهندي، الذي كان لا يزال معمولاً به حتى حكم الإنكليز البلاد، فأبطلوه رسمياً، ولكنهم سكتوا عن تطبيقه فعلياً، وبعد ذلك استمر العمل به على نطاق معين، وإن كانت قواعده القديمة قد اختلفت بعض الشيء مثل اعتقاد البراهمة في القديم أن المنبوذ من المنبوذين إذا وقع ظله على واحد منهم نجسه نجاسة لا يمكن إزالتها، لذلك كانوا يقتلونه حتى يعتبر به أمثاله، ومثل كون المنبوذين ينظفون بيوت البراهمة من البراز كل يوم بحمله إلى خارج المساكن، وربما يأتي شيء من الحديث عن ذلك في المستقبل في هذا الكتاب.



ضاحية في دلهي الجديدة كما تبدو من الفندق الذي سكنت فيه

وكنت قد نزلت في فندق (اشوكا) هذا عام ١٣٨٥هـ وشاهدت فيه احتفالهم بما يسمونه عيد النور، وذلك في شهر نوفمبر، وقد اختصر الاحتفال على اطلاق بالونات النور، بأشكال معينة جميلة، ثم احضروا فرقة من الراقصين الهنود، وأخذوا يرقصون رقصات معبرة تصاحبها الموسيقى الهندية، ولم يكن معهم أحد من النساء.

عرس سيخي:

السيخ طائفة من الطوائف في الهند يتبعون قرونانك وقد تحدثت عنهم عند الكلام على زيارة المدينة الرئيسية لهم في الهند وهي مدينة (امرتسر) في كتاب: (الشمال الغربي من الهند).

وهم مثل بقية الطوائف في الهند يتمسكون بشعائره وعاداتهم المميزة لهم عن غيرهم وبخاصة ما يتعلق بالمظهر فترى السيخي الواحد

بين مئات، وربما ألوف من الناس وتستطيع تمييزه عنهم بسهولة، لأن لهم عمائم يعتمرونها على هيئة خاصة لا يشركهم فيها غيرهم، ويحرصون على اتخاذ العمامة في جميع أحوالهم، كما أنهم لا يحلقون شيئاً من الشعر لذلك تراهم قد تركوا لحاهم وعوارضهم فتعرفهم بذلك أيضاً.

وهناك علامات أخرى لهم قد يشركهم فيها غيرهم مثل قلة السواد أو السمرة الشديدة فيهم، ومثل قوة أبدانهم بالنسبة إلى الأكثرية في الهند، وذلك بسبب طيب الجو في منطقتهم وهي البنجاب في شمال الهند.

ولقد شاهدت اليوم ومن غرفتي في الفندق موكباً لحرس من هؤلاء القوم قد اركبوا العريس - أي الرجل - على فرس ومعه على الفرس طفل لا أدري أهو صبي أم بنت، وأمامه فرقة موسيقية تعزف ألحاناً شبه راقصة وهو يتحرك ببطأ، ويقف أحياناً، وحواليه طائفة من قومه السيخيين من رجال ونساء، وإذا وقفوا أخذ الشبان منهم يرقصون على أنغام الموسيقى، كل ذلك في الشارع ليلفتوا أنظار الناس إلى الحفل، وهذا ما لفت نظري أيضاً وأنا في غرفتي من الفندق.

وعندما وصلوا إلى الفندق ترجل من الحصان وأخذوا يرقصون وفي أثناء ذلك حمل العريس عروسه بين يديه، ونساؤهم على درجة كبيرة من الجمال والنظافة واللباس الحسن إلا أن كبارهن كالهندوكيات ثقيلات الأوزان، متهلات الأبدان.

ثم دخلوا إلى قاعة كبيرة للاجتماعات في الفندق (اشوكا هوتيل) وأخذ رجل منهم يتلو أشياء من كتاب مقدس عندهم.

ثم لا ندري شيئاً من أمرهم إلا أنهم أخذوا يتناولون بعض المأكولات فيه.

يوم الاثنين ١٤/٥/١٣٩٧هـ - ٢/٤/١٩٧٧م:

جولة في دلهي الجديدة:

ذهبنا للسفارة السعودية وكان السفير الشيخ صالح بن عبدالله الصقير غائبا عن دلهي وقد أخبر الموظفين المسؤولين في السفارة عن قدومنا وأمرهم بإكرامنا فصدعوا بأمره جزاه الله خيرا، وكان أول ذلك إعطائنا سيارة من السفارة جالت بنا في نواح من دلهي، ولم تكن هذه أول مرة أزور فيها هذه المدينة بل سبقتها مرتان ولكني في ذلك الوقت لم أدون شيئا من يومياتي فيها لأنني لم أكن قد رأيت فائدة من تسجيلها.

والحقيقة أن الجزء المسمى منها (دلهي الجديدة) هو جميل حقا فشوارعه واسعة وأشجاره وارفعة، وأبنيته منسقة، ولكن إذا تذكر المرء أن مدينة دلهي هي عاصمة سبعمائة مليون من البشر^(١) فإنه لا يستكر ذلك وإذا تذكر أيضا بقية أحياء مدينة دلهي فإنه يستقله، وإذا تذكر أيضا تلك الأرياف البائسة في الهند، كادت نفسه ترفض هذا الجمال الذي هو مستخرج من عصابة عيش ذلك الشعب الريفى البائس.

وكان من بين ما مررنا به مقبرة (حلاق السلطان) وهي بناء فخم إذا قيس بمقابر بعض الملوك العاديين كان منها أفخم، وإذا قيس مرتبة الحلاق بمرتبة الوزير تساعل المرء عما تكون عليه مقبرة الوزير.

ومقبرة الحلاق هذه قاومت القرون حتى أصبحت الآن أثرا من الآثار التي تستحق أن تزار في مدينة دلهي، وغير بعيد منها مقبرة أخرى صغيرة ربما كانت لحلاق الحلاق.

(١) زاد عدد سكان الهند في آخر إحصاء في عام ٢٠٠١ عن ألف مليون إنسان.

ثم مررنا ببوابة تسمى (انديان قيت) أي: بوابة الهند، وقد بناها الإنكليز وسموها بوابة عموم الهند وهي جزء من منطقة رائعة البناء والتخطيط تضم منزل رئيس الجمهورية، وكان مقراً للحاكم الإنجليزي قبل ذلك، وأمام منزل رئيس الجمهورية تنتصب مسلة سموها (مسلة أشوكا)، والبرلمان المركزي أي مجلس الأمة، ومقر عدد من الوزارات مثل وزارتي الخارجية والداخلية.

وبعد الحرب مع باكستان أشعل الهنود داخل البوابة ناراً لا تطفأ وقالوا إنها لذكرى الشباب الذي قتلوا في هذه الحرب، وأكثر الأبنية فيه هي على طراز هندي مغولي.

وخلف بناء مجلس الأمة مسجد يسمى (مسجد البرلمان) وقد دفن آخر رئيس لجمهورية الهند وهو فخر الدين علي أحمد في فناءه وبني عليه قبة صغيرة، وكنت في آخر سفرة لي قبل هذه قد اجتمعت به في حيدر آباد، وبقينا معه مدة تناولنا خلالها طعام الغداء، وكانت تصحبه زوجته وابنته، ولم أكن أتوقع أن أرى قبره في سفرة تالية لتلك السفرة وفي وقت غير بعيد.

وإلى ذلك المسجد الحديث مسجد البرلمان يرى المرء مسجداً أثرياً يحتاج إلى ترميم ذا قبة صغيرة جميلة.

وهذه المباني في ميدان واسع منسق التشجير مزروع بالحشائش المهذبة.

وبعد ذلك مررنا بأحد البنوك الهندية فرأينا على جانبي مدخله تمثالين قالوا: إنها لإحدى آلهتهم ، وتدعى (لاكشمي) ويقولون: إنها (إلهة المال) وهي غير آله الرزق بزعمهم الذي جسمه جسم إنسان ورأسه رأس فيل- وهو المسمى عندهم (جانيش).

وأخيراً ذهبنا إلى مطعم لأحد المسلمين اسمه (كريم نعمت كدا) أي: محل (نعمة الكريم) وهو الله سبحانه وتعالى، وتترجم هذه الجملة العربية بلفظ (مطعم).

وعندما دخلناه سألنا المضيف ماذا عندكم؟ فأجاب: فخذ خروف فظننا أنه يقصد قطعة من لحم فخذ الخروف مشوية، فطلبنا ثلاثة منها وكان معنا أخوان من الهنود، أحدهما الشيخ عبدالحميد عبدالجبار الأمين العام للمجلس الاستشاري الأعلى الإسلامي في الهند، وقد طلبا دجاجاً مشويًا.

وما كان أشد دهشتنا عندما أحضر إلينا الخادم ثلاثة أفخاذ كاملة، أي: لكل شخص رجل خروف كاملة مشوية، وعرفنا أن الأمر جدٌ ولكن بعد فوات الأوان، وقال لنا صاحب المطعم إننا شوينا هذه الأرجل الثلاث لكم ولا يمكن إعادة النظر في الأمر، فتعاوننا على أكل رجل واحدة، أما الباقيتان فأعطيناهما السائق يحملهما لأهله.

قال الرحالة الشهير ابن بطوطة المغربي:

وصف مدينة دهلي:

وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرة دهلي، قاعدة بلاد الهند، وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة، الجامعة بين الحسن والحصانة، وعليها السور الذي لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير، وهي أعظم مدن الهند، بل مدن الإسلام كلها بالشرق.

ومدينة دهلي كبيرة المساحة كثيرة العمارة، وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات، إحداهما: المسماة بهذا الاسم دهلي، وهي القديمة، من بناء الكفار، وكان افتتاحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة، والثانية:

تسمى سيرى، وتسمى أيضاً دار الخلافة، وهي التي أعطاها السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسي لما قدم عليه، وبها كان سكنى السلطان علاء الدين وابنه قطب الدين، وسنذكرهما، والثالثة: تسمى تغلق آباد، باسم بانيتها السلطان تغلق، والد سلطان الهند الذي قدمنا عليه، وكان سبب بنائه لها أنه وقف يوماً بين يدي السلطان قطب الدين فقال له: "يا خوند عالم! كان ينبغي أن تبني هنا مدينة"، فقال له السلطان متهكماً: "إذا أصبحت سلطاناً فابنها".

فكان من قدر الله أن كان سلطاناً، فبناها وسماها باسمه، والرابعة: تسمى جهان بناه، وهي مختصة بسكنى السلطان محمد شاه ملك الهند الآن الذي قدمنا عليه، وهو الذي بناها، وكان أراد أن يضم هذه المدن الأربع تحت سور واحد، فبنى منه بعضاً، وترك بناء باقيه لعظم ما يلزم في بنائه.

والسور المحيط بمدينة دهلي لا يوجد له نظير، عرض حائطه أحد عشر ذراعاً، وفيه بيوت يسكنها السُّمَّار وحفاظ الأبواب، وفيها مخازن للطعام، ويسمونها الأنبارات، ومخازن للعدد، ومخازن للمجانيق والرعدات، ويبقى الزرع بها مدة طائلة، لا يتغير ولا تطرقه آفة، ولقد شاهدت الأرز يُخرج من بعض تلك المخازن ولونه قد اسود، لكن طعمه طيب، ورأيت أيضاً الكدرو^(١) يخرج منها، وكل ذلك من اختزان السلطان بلبن^(٢) منذ تسعين سنة، ويمشي داخل السور الفرسان والرجالة، من أول المدينة إلى آخرها، وفيه طيقان^(٣) مفتحة إلى جهة المدينة، يدخل منها الضوء، وأسفل السور مبني بالحجارة، وأعلاه بالأجر، وأبراجه كثيرة

(١) نوع من الحبوب.

(٢) بلبن: اسم السلطان.

(٣) نوافذ.

متقاربة، ولهذه المدينة ثمانية وعشرون باباً، وهم يسمون الباب دروازة، فمنها دروازة جُل وهي موضع البساتين، ودروازة شاه، اسم رجل، ودروازة بالم، اسم قرية ذكرناها، ودروازة نجيب، اسم رجل، ودروازة كمال كذلك، ودروازة غزنة، نسبة إلى مدينة غزنة التي بطرف خراسان، وبخارجها مصلى العيد وبعض المقابر، ودروازة البجالصة.

وبخارج هذه الدروازة مقابر دهلي، وهي مقبرة حسنة يبنون بها القباب، ولا بد عند كل قبر من محراب^(١)، وإن كان لا قبة له، ويزرعون بها الأشجار المزهرة، مثل قل شنبه وديبول والنسرین وسواها، والأزاهير هناك لا تنقطع في فصل من الفصول.

وجامع دهلي كبير الساحة، حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت ملصقة بالرصااص أتقن إصااق، ولا خشية به أصلا، وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة، ومنبره أيضاً من الحجر، وله أربعة صحون، وفي وسط الجامع العمود الهائل الذي لا يدري من أي المعادن أيضاً هو، ذكر لي بعض حكمائهم أنه يسمى هقت جوش، ومعنى ذلك سبعة معادن، وإنه مؤلف منها، وقد جُلّي من هذا العمود مقدار السبابة، ولذلك المجلو منه بريق عظيم، ولا يؤثر فيه الحديد، وطوله ثمانون ذراعاً، وأرنا به عمامة فكان الذي أحاط بدائرته منها ثمانية أذرع، وعند الباب الشرقي من أبواب المسجد صنمان كبيران جداً من النحاس، مطروحان بالأرض، قد ألصقا بالحجارة، ويطأ عليها كل داخل إلى المسجد أو خارج منه، وكان موضع هذا المسجد بُدْخانة، وهو بيت الأصنام، فلما افتتحت جُعِل مسجداً.

(١) يريد به مبنى شبيه بالمحراب، والبناء على القبور لا يجوز سواء أكان على هيئة محراب أو غيره.

وفي الصحن الشمالي من المسجد الصومعة التي لا نظير لها في بلاد الإسلام، وهي مبنية بالحجارة الحُمر، خلافاً لحجارة سائر المسجد فإنها بيض، وحجارة الصومعة منقوشة، وهي سامية الارتفاع، وفحلها من الرخام الأبيض الناصع، وتفانحها^(١) من الذهب الخالص، وسعة ممرها بحيث تصعد فيه الفيلة.

حدثني من أتق به أنه رأى الفيل حين بنيت يصعد بالحجارة إلى أعلاها، وهي من بناء السلطان معز الدين بن ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن، وأراد السلطان قطب الدين أن يبني بالصحن الغربي صومعة أعظم منها، فبنى مقدار الثلث منها، واخترم^(٢) دون تمامها، وأراد السلطان محمد إتمامها، ثم ترك ذلك تشاؤماً، وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرها، بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة، وهذا الثلث المبنى منها مساو لارتفاع جميع الصومعة التي ذكرنا أنها بالصحن الشمالي، وصعدتها مرة فرأيت معظم دور المدينة، وعانيت الأسوار على ارتفاعها وسموها منحطة، وظهر لي الناس في أسفلها كأنها الصبيان الصغار، ويظهر لناظرها من أسفلها أن ارتفاعها ليس بذلك لعظم جرمها وسعتها.

وكان السلطان قطب الدين أراد أن يبني أيضاً مسجداً جامعاً بسيري، المسماة دار الخلافة، فلم يتم منه غير الحائط القبلي والمحراب، وبنائه بالحجارة البيضاء والسود والحمرة والخضر، ولو كمل لم يكن له مثل في البلاد، وأراد السلطان محمد إتمامه، وبعث عرفاء البناء ليقدروا

(١) جمع تقاحة.

(٢) مات.

النفقة فيه، فزعموا أنه ينفق في إتمامه خمسة وثلاثون لكا^(١)، فترك ذلك استكثاراً له، وأخبرني بعض خواصه أنه لم يتركه استكثاراً، لكنه تشاءم به لما كان السلطان قطب الدين قتل قبل تمامه.

وبخارج دهلي الحوض العظيم المنسوب إلى السلطان شمس الدين ألتمش، ومنه يشرب أهل المدينة، وهو بالقرب من مصلاها، وماؤه يجتمع من ماء المطر، وطوله نحو ميلين، وعرضه على النصف من طوله، والجهة الغربية منه من ناحية المصلى مبنية بالحجارة، مصنوعة أمثال الدكاكين، بعضها أعلى من بعض، وتحت كل دكان درج يُنزل عليها إلى الماء، ويجانب كل دكان قبة حجارة، فيها مجالس للمتزهين والمتفرجين، وفي وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة المنقوشة، مجعولة طبقتين، فإذا كثر الماء في الحوض لم يكن سبيل إليها إلا في القوارب، فإذا قل الماء دخل إليها الناس، وداخلها المسجد، وفي أكثر الأوقات يقيم بها الفقراء المنقطعون إلى الله المتوكلون عليه، وإذا جفأ الماء في جوانب هذا الحوض زرع فيها قصب السكر والخيار والقثاء والبطيخ الأخضر والأصفر، وهو شديد الحلاوة صغير الجرم.

وفيما بين دهلي ودار الخلافة حوض الخاص، وهو أكبر من حوض السلطان شمس الدين، وعلى جوانبه نحو أربعين قبة، ويسكن حوله أهل الطرب وموضعهم يسمى طرب آباد، ولهم سوق هناك من أعظم الأسواق ومسجد جامع، ومساجد سواه كثيرة، وأخبرت أن النساء المغنيات الساكنات هناك يصلين التراويح في شهر رمضان بتلك المساجد مجتمعات، ويؤم بهن الأئمة.

انتهى كلام ابن بطوطة.

(١) الك: مائة ألف.

وقال السيد عبدالحى الحسني:

أما مدن الهند فمنها مدينة دهلي - بكسر الـ دال المهملة وسكون الهاء وكسر اللام، قاعدة بلاد الهند، وهي المدينة العظيمة الشأن، الفخمة الجامعة بين الحسن والحصانة، وهي كانت بضع مدن متجاورات متصلات.

إحداها: المسماة بهذا الاسم "دهلي"، و يقال لها "دلي" بتشديد اللام، وهي القديمة من بناء الهنادك القدماء قيل إنها مصرّها "أنكبال" بمقربة "إنديت" سنة أربعين وأربعمائة بكرمية، وقيل مصرها "دهلو" وكان سلطان قنوج قبل غزو الإسكندر بن فيلقوس المقدوني على الهند، وبنى القلعة الحصينة المتينة بها "برتهي راج" سنة مائتين وألف بكرمية، وفتحها قطب الدين أيبك سنة تسع وثمانين وخمسائة هجرية، فجعلها دار ملكه، وبنى بها "كوشك سفيد" معناه القصر الأبيض، وبنى الجامع الكبير الذي سموه قوة الإسلام، وبنى المدرسة المعزية، وبنى غياث الدين القصر الأحمر يسمونها "كوشك لعل" سنة ٦٦٤هـ، وبنى خارج البلدة غياث بور سنة ستين وستمائة هجرية بمقربة القلعة.

والثانية: "كيلوكهري" بناها معز الدين كيقباد، والقائم عليه جلال الدين الخلجي على ساحل "جمنا" وبنى بها "كوشك لعل" أي القصر الأحمر، نحو سنة ٦٨٨هـ، وهي التي كانوا يسمونها "معز آباد".

والثالثة: "سيري" بكسر السين المهملة، وتسمى أيضا دار الخلافة، بناها علاء الدين الخلجي نحو سنة ٧٠٣هـ، وله بها مسكن يسمونه "كوشك سبز" أي القصر الأخضر.

والرابعة: "تغلق آباد" بناها غياث الدين تغلق، نحو سنة ثلاث

وعشرين وسبعمائة على ستة أميال من دهلي القديمة في الجهة الجنوبية.

والخامسة: "جهان بناه" بناها محمد شاه تغلق سنة ٧٢٨هـ، وأراد أن يضم هذه المدن بحيث يحيط بها سور واحد، فبنى منه بعضاً، وترك بناء باقيه لعظم ما يلزم في بنائه، وبنى القصر "هزار استون" أي ذا ألف أسطوانة.

والسادسة: "فيروز آباد" بناها فيروز شاه على ساحل "جمنا" سنة خمس وخمسين وسبعمائة.

والسابعة: "شير كده" بناها شير شاه السوري بيري، التي كانت خاوية على عروشها نحو سنة ٩٤٨هـ.

والثامنة: "شاهجهان آباد" ويسمونها "جهان آباد" وهي المسماة "دهلي" في العصر الحاضر، وهي مدينة جامعة بين الحسن والحصانة، فوق ربوة على ساحل "جمنا" حيث الطول الشرقي (٧٧) درجة، و (٥) دقائق، والعرض الشمالي (٢٧) درجة و (٤١) دقيقة، ولها سور محيط، وبرج مشيدة من الحجارة، بناها شهاب الدين محمد شاه جهان الدهلوي في سبع سنين، وبذل عليه أربعمائة ألف ربية، وطول ذلك السور ستة آلاف وستمائة وأربع وستون ذراعاً، وعرضه أربعة أذرع، وارتفاعه تسعة أذرع، وفيه سبعة وعشرون برجاً، قطر كل واحد منها عشرة أذرع، وفي الجهة الشرقية من المدينة بنى سور القلعة مشرفاً على نهر "جمنا" من حمر الحجارة في تسع سنين، وهي على الشكل المثلث، طولها ألف ذراع، وعرضها ستمائة ذراع على ستمائة ألف ذراع من الأرض، وارتفاع السور خمس وعشرون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، وحوله خندق عرضه أربع وعشرون ذراعاً، وعمقه عشرة أذرع، ومحيطه ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وبذل عليه وعلى الأبنية التي بناها في السور خمسة آلاف

ألف من الروبيات، وفي مرآة "أفتاب نما": بذل على السور والخندق وغير ذلك خمسة آلاف ألف، وعلى الأبنية التي فيها خمسة آلاف ألف أخرى.

وأما الأبنية التي في القلعة فهي من عجائب الدنيا ومفاخر أهلها، لا يكاد يوجد نظيرها في الأرض، منها "دربار عام" وهو إيوان كبير مسقف على السواري كلها من حمر الحجارة، و"دربار خاص" وهو مبني من بيض الحجارة، منقوش بأبدع ما يكون، مزين بالأحجار الثمينة، وحمام ومسجد، وكثير من الأبنية الفاخرة.

والجامع الكبير في المدينة لا يوجد له نظير في الدنيا، وفيه قال شيخ مشايخنا الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي:

يا من يسائل عن (دهلي) ورفعتها	على البلاد وما حازته من شرف
إن البلاد إماء وهي سيدها	لأنها درة والكلل كالصدف
فاقت بلاد الورى عزاً ومنقبة	غير الحجاز وغير القدس والنحف
سكانها {هم ⁽¹⁾ } جمال الأرض قاطبة	خلقاً وخلقاً بلا عجب ولاصاف
بها مدارس لو طاف البصير بها	لم يفتح عينه إلا على الصحف
كم مسجد زخرفت فيها منارته	لو قابلته شمس الصحو تنكسف
لا غرو إن زينت الدنيا بزینتها	كم من أب قد علا بابن ذوي شرف
وماء جون جرى من تحتها فجلی	أنهار خلد جرت من أسفل الغرف

وأما الأبنية القديمة خارج المدينة فكثيرة، لا يحصيها البيان، منها منارة عظيمة، ارتفاعها (٢٤٢) قدماً، وهي منارة مسجد "قوة الإسلام".

انتهى كلام السيد عبدالحی.

(1) زيد ليستقيم الوزن.

وقال الزبيدي صاحب تاج العروس، وهو هندي الأصل: (دهلي)-
 بالكسر- أعظم مدن الهند الإسلامية لها عدة تواريخ مختصة بأحوالها
 وملوكها، وما امتازت به عن غيرها من البلاد، وقد ذكرها ابن بطوطة في
 رحلته وأوسع فيها الكلام، وهي على نهر جار كائنيل والنسبة إليها دهلوي^١
 ودهلي^٢، وقد انتسب إليها أكابر العلماء في كل فن قديماً وحديثاً منهم سراج
 الدين عمر بن إسحاق الدهلوي أحد أئمة الأصول، والسيد أصيل الدين
 عبدالرحمن بن قطب الدين حيدر بن علي بن أبي بكر الشيرازي الدهلوي
 المحدث المتوفى بكنبابت سنة ٨١٧هـ ووالده أحد الحفاظ ولد بدهلي سنة
 ٧١٤هـ، والشيخ قطب الدين بختيار بن أحمد بن موسى الفرغاني
 الدهلوي أحد مشايخنا المشهورين المتوفى سنة^(١)، والشيخ نظام الدين
 محمد بن أحمد بن دانيال الخالدي البدارني الدهلوي المتوفى سنة ٧٢٥هـ،
 والسيد نصير الدين محمود المعروف بسراج دهلي المتوفى سنة ٧٥٧هـ،
 وسعيد بن عبدالله الدهلي البغدادي الحافظ نزيل دمشق، سمع الكثير وجمع
 وأفاد واستدرك على الذهبي وغيره من الشيوخ.

قال الحافظ: قد لقيه جماعة من شيوخنا ورأيت له وقعة بغداد قد
 حررها مات سنة ٧٤٩هـ، قلت: وهو نجم الدين أبو الخير ويعرف
 بالجلال، وكان حنبلياً، ومن المتأخرين الإمام المحدث أبو محمد عبدالحق
 بن سيف الدين البخاري الدهلوي من كبار أئمة الحديث، شرح المشكاة:
 عربي فارسي ومد ارج النبوة فارسي: ترجم فيه المواهب اللدنية، وأخبار
 الأخبار وغيرها، ووفد إلى الحرمين، فأخذ عن الشهاب أحمد بن حجر
 المكي وطبقته كالشيخ عبدالوهاب المتقي، وملا علي فارسي وغيرهما^(٢).

(١) كذا الأصل.

(٢) تاج العروس، مادة... دهل..

يوم الثلاثاء ١٥/٥/٣٩٧هـ - ٥/٤/١٩٧٧م:
من دهلي إلى أقرأ:

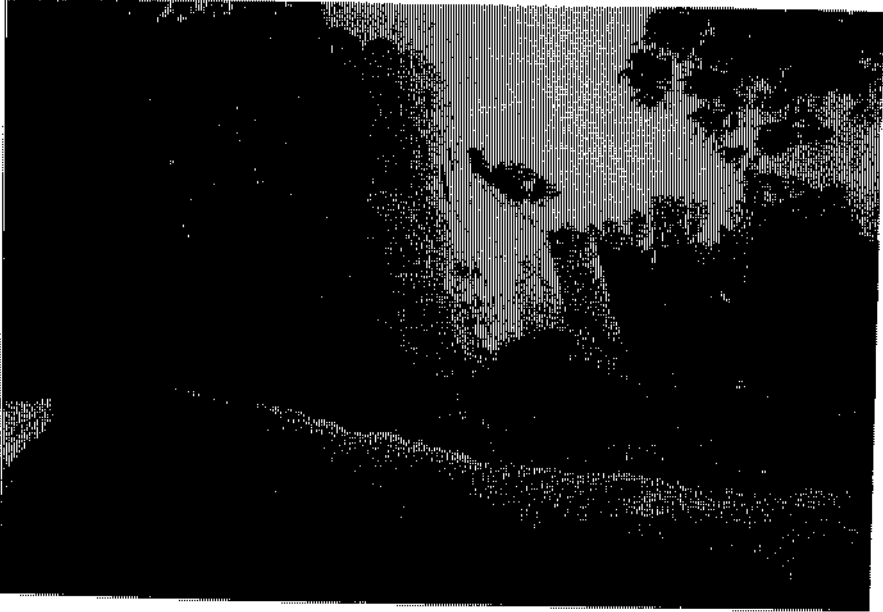
أقرأ: مدينة أثرية مهمة، قديمة العمارة، تقع على الضفة الغربية لنهر جمنى أحد الأنهار المقدسة عند الهندوك، ورغم كونها مدينة قديمة فإنها اكتسبت أهميتها من وجود الآثار العظيمة من البناء الذي خلفه ملوك المغول، وأهم ذلك كله (تاج محل).

غادرنا فندق أشوكا في دهلي في الساعة السابعة صباحاً على سيارة السفارة السعودية من أحدث طراز مكيفة الهواء، مريحة الركوب، وكان مرافقنا الشيخ عبدالحميد عبدالجبار السلفي ومررنا ببناء أثري إسلامي فقال: إنه مدرسة صغد رجنك وتقع في موضع يسمى (جور باغ) أي: حي البستان، وهو مضاف إلى أحد وزراء المغول.

ثم بمقابر نظام الدين وهو أحد المتصوفين الذين عاشوا في القرن الثامن الهجري، وهناك حي سمي باسمه أي: حي نظام الدين وهناك قبره، وسوف يأتي الكلام عليه عند ما نراه فيما بعد، بإذن الله.

فريد آباد:

بعد أن قطعنا عشرين كيلاً ونحن متجهون جهة الجنوب إلى أقرأ وصلنا إلى مدينة فريد آباد نسبة إلى رجل من الصوفية اسمه (فريد شكر قنج) فهي الآن مدينة صناعية فيها عدد من المصانع، وهي واقعة في منطقة واسعة تسمى (فريد آباد) أيضاً، ومع قربها من دهلي فإنها تقع في ولاية هاريانا إذ تنتهي حدود الأرض التي تقع فيها مدينة دهلي قبل ذلك، وأباد معناه: بلد، ويقال: إن (قرونانك) مؤسس مذهب السيخ كان قد تتلمذ على فريد هذا وأنه تأثر بالديانة الإسلامية، وكان قبل ذلك هندوكياً لذا جاءت في مذهبهم أشياء من الدين الإسلامي، وإن كانت مبادئه مخالفة للإسلام.



برج في قلعة تغلق آباد قرب دلهي

مر بنا الطريق على مدينة (تغلق آباد) وهي منسوبة إلى السلطان تغلق شاه.

وكانت مدينة إسلامية مهمة وظهرت لنا إلى جهة الغرب على بعد قلعة السلطان (تغلق) على رأس تل من الحجارة لا تزال سليمة المظهر، أما المدينة التي كانت الأغلبية فيها للمسلمين قبل تقسيم القارة الهندية، فقد انخفضت نسبتهم بعد التقسيم إذ هاجر كثير منهم إلى باكستان فأصبح الباقون أقلية، إلا أن عدد المسلمين الآن ارتفع كثيرا عما كان عليه قبل سنوات.

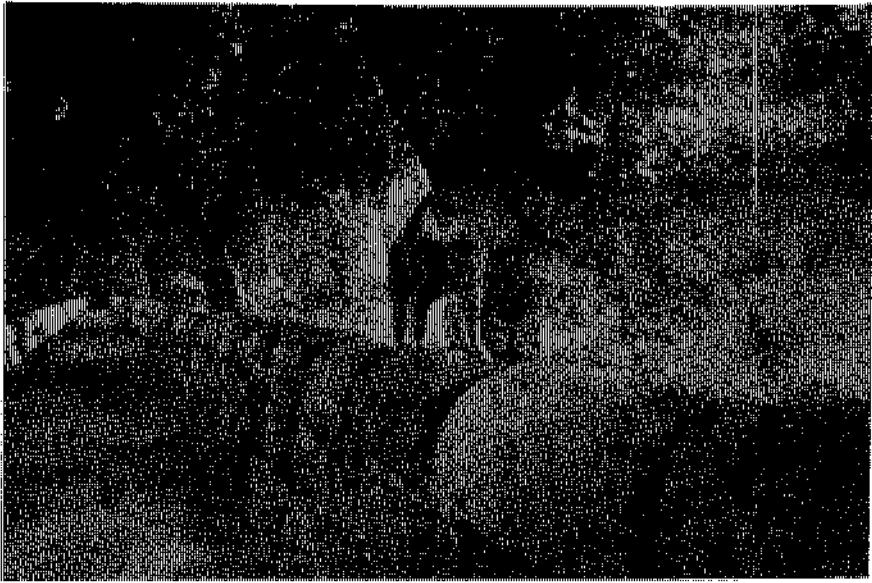
قال الشيخ سليمان الندوي:

وكان من أشهر الملوك في هذه الأسرة محمد بن تغلق (٧٢٥-٧٥٠هـ/ ١٣٢٥-١٣٥١م) ذلك الذي وفد على بلاطه الرحالة العربي الشهير ابن

بطوپة، ثم ظهرت الدولة اللودية على يد القائد التركي الكبير (بهلول لودي) في ٩٥٦هـ - ٤٥١م، واستمرت إلى سنة ٩٣٣هـ - ١٣٢٦م حتى قضى عليها الملك المغولي العظيم ظهير الدين بابر مؤسس الدولة المغولية أو التيمورية التي دامت إلى استيلاء الإنجليز عليها في القرن التاسع عشر الميلادي.

وفي العصر المملوكي كانت الخلافة العباسية في بغداد تلفظ آخر أنفاسها، ومع ذلك وطّد ملوك المماليك علاقتهم الدبلوماسية الوثيقة مع خلفاء العباسيين في بغداد.

ويرجع الفضل في ذلك إلى السلطان شمس الدين التمش (٦٠٧- ٦٣٣هـ) الذي بعث رسوله إلى المستنصر الخليفة العباسي في بغداد في ٦٢٦هـ يطلب منه وثيقة الاعتراف بحكمه في الهند، فسرّ الخليفة العباسي بدوره بهذه السفارة وبعث إلى التمش وثيقة الاعتراف به، فلما وصلت سفارته تحمل الوثيقة إلى "دهلي" رحب بها الملك ترحيباً حاراً، وأقام لها احتفالاً كبيراً احتشدت فيه جماهير أبناء الهند.



قرد طليق في تغلق آباد قرب دهلي

ومدينة بلّول:

وهذه مدينة أخرى مررنا بها بعد أن قطعنا ٥٥ كيلو من دلهي وهي المدينة التي تدعى بلّول وكانت مدينة للمسلمين الذين قل عددهم بعد التقسيم، وبعد أن هاجروا إلى باكستان، ويشهد لذلك عدد المساجد فيها التي هي باقية حتى الآن.

أبراج البريد:

شاهدنا ما يشبه المنارات الصغيرة متناثرة على أبعاد شبه متساوية ويبدو من شكلها على البعد أنها أثرية البناء، وهذا صحيح، إذ هي أبراج البريد بناها المغول في زمنهم يجعلون عند كل واحد منها فارساً جاهزاً يتسلم الرسائل من فارس آخر وصل لتوه إليه فيعود بها مسرعاً بأقصى ما يحتمله الفارس والحصان من جهد حتى يسلمها إلى آخر عند البرج الذي يليه، وأغلبها مبنى أسفله بالحجارة وأعله بالأجر، وهو في حالة سليمة رغم تطاول الزمن، ومضي وقت لم تكن العناية بالآثار فيه معهودة إلا أن قوة بنائها أبقتها بهذه الحالة وهي على شكل مدور واسعة الأسفل تستدق تدريجياً حتى تصبح دقيقة الأعلى.

وأبراج أخرى:

كما رأينا أبراجاً صنعها الفلاحون والريفيون الهنود في هذه المنطقة، ولكنها من نوع آخر وهي في أغلب الأحيان مربعة الشكل غير مستديرة، وفي بعض الأحيان تكون مستديرة وهي حديثة البيان، ولم تصنع إلا لتكون قريبة النهاية فهي لا تطاول الزمن، ولا تصمد.

ألا وهي أبراج الأختاء، أي: أبراج صنعوها من أختاء البقر والجاموس، والأختاء إن لم تكن تعرفها- هي جمع خثي البقرة ونحوها بمعنى رجييعها، أو برازها كما يقول المحدثون.

جمعوها ثم بنوها ثم صنعوها على هيئة أبراج قائمة، كل برج مثل قامة الرجل أو أكثر من ذلك لكي يبيعوها ممن يريد أن يوقد بها ناره لعشائه أو لغدائه، لأن الغاز بنوعه السائل وغير السائل غير موجود عند أكثر سكان المدن الهندية، فأني له أن يكون موجوداً عند أهل الأرياف.

هذا ونحن الآن نسير على طريق اسفلتي جيد جداً بالنسبة إلى حالة الطرق الأسفلتية في خارج المدن الهندية، لاسيما إذا قيس بالطريق الذي سلكناه بين مدينة بتته ودرمنقها في ولاية بيهار والعربات التي تجرها الثيران، والحيوانات السائبة، والفلاحون الذين كان النظر لا يخطئهم أبداً، كل أولئك هنا قليل لذلك كان معدل السير هنا أسرع منه هناك، وربما في أكثر الأمكنة في الهند.

ذلك بأن هذه الطريق طريق مسلوكة عامرة بالسياح الذين يذهبون لرؤية الآثار الرائعة فيها مثل "تاج محل" و(فتح بورسكري) ومقبرة أكبر شاه والقلعة الحمراء.

وفي هذه النقطة بالذات وبعض المناطق الأخرى هي سائرة على الطريق الذي كان يسمى (جتي رود) أطول طريق في الهند إذ يبتدى من مدينة (بشاور) في الشمال التي تقع الآن في باكستان إلى مدينة (دكا) في الشرق التي هي الآن عاصمة (بنغلاديش)، وقد بناه الملك شير شاه سوري أحد ملوك المغول، وعَبَّده بأن أزال العوائق فيه، وردم

المستنقعات، وسهل العقبات، بحيث أصبح كله صالحاً لطريق العربات التي تجرها الخيل والعربات التي تجرها الثيران والدواب، فضلاً عن سير الأدميين، وجعل على طول هذا الطريق الذي أخبرني أحدهم أنه يبلغ زهاء ثلاثة آلاف كيلومتر محطات للراحة، ففي كل مسافة معينة منزل مؤلف من بناء بالحجر والأجر، أو بالأجر فقط مسقف بقي المسافر الحر والبرد، بجانبه بئر محفورة يستقى منها الماء.

قالوا: ولهذا السبب كان أهل الهند على مختلف دياناتهم وطوائفهم يحبون هذا الملك المسلم ويترحمون عليه كلما ذكروه.

حدود الولايات:

وقد عدنا إلى تخطي حدود الولايات الهندية، فرأينا حاجزاً على الطريق عليه خشبة معترضة كالتى توضع على الطرق الأسفلتية تمنع مرور السيارات، ولكنهم لم يوقفوا سيارتنا مع أننا رأينا السيارات الأخرى من الحافلات قد أوقفت، وربما كان ذلك لأنها سيارة (دبلوماسية).

والولاية التي وصلنا إليها هذه المرة هي ولاية (اترا براديش) أكثر الولايات الهندية عدداً في السكان، كما تقدم، وتسمى اختصاراً ولاية (يو، بي) وهما الحرفان الأولان من اسمها المؤلف من كلمتين.

وقد استرحنا في محطة لراحة المسافرين في قرية (كوسى).

ثم واصلنا السير حتى حاذينا مدينة (متهرا) إلى جهة اليد اليسرى من الطريق، أي جهة الشرق، وهي مدينة مقدسة عند الهندوكيين، فيها كثير من معابدهم القديمة، ومع ذلك يوجد فيها مسلمون كثير، وعدد من

المساجد بعضها ترى مأذنها على البعد، ولذلك وقعت فيها اضطرابات طائفية في الماضي، لقد كان السائق يخبرنا عنها، وأنا أفكر أين سمعت بما يشبه هذا الاسم، ووجدته في ذهني أنه في قصة فتح الهند على يد الفاتح العظيم الملك محمود بن سبكتكين الغزنوي فقد ذكر المؤرخون أنه وصل في إحدى غزواته إلى مدينة مقدسة للهنود اسمها (مترا) وإنهم دافعوا عنها ما وسعهم الدفاع، ولكن الحق أقوى ففتحها السلطان الفاتح العظيم محمود الغزنوي ودك حصونها.

مدينة أقرأ:

بعد مسير مائة وثلاثة وتسعين كيلا من دلهي وصلنا مدينة (أقرأ) التي كانت تسمى في القديم (أكبر آباد) وعندما علمت بهذه التسمية تذكرت أبياتا من المجون لصفي الدين الحلي أنشدتها أخانا ومرافقنا الشيخ عبدالحميد عبدالجبار السلفي، وهو فصيح بالعربية بل معجب بها أشد الإعجاب، ويهوى الأدب العربي، بل يعشقه ويحرص على أن يسمع منه، ويقراً فيه كل ما يستطيع، وعندما أنشدته الأبيات المذكورة كما علقت بذاكرتي، ولم أعرف أين هي (أكبر آباد) قبل ذلك طرب لذلك وقال: إنه سترجمها للأوردية ويبنى عليها مقالا ينشره في إحدى المجلات الأدبية.

أما أبيات صفي الدين الحلي فهي مجونية وقحة، ولكنه ذكر أنها رؤيا منام، ويريد بذلك أنها أضغاث أحلام، فما يترتب من الإثم على من يفعل شيئا في المنام يمكن أن تكفره عقوبة في المنام أيضاً، كما حكى عن أحد العلماء الظرفاء أنه سئل عن رجل زنى في المنام أيجب عليه الحد؟ فأجاب: نعم، يجب عليه أن يحد في المنام!!!

وهذه هي الأبيات:

وليلة طال سهادي بها فزارني إبليس بعد الرقاد
فقال لي: هل لك في (زوجة⁽¹⁾) هندية من أهل (أكبر آباد)؟
قلت: نعم، قال وفي شانن إذا غئى يرقص له الجماد؟
قلت: نعم، قال، وفي قهوة عتقها العاصر من عهد عاد؟
قلت: نعم، قال: فتم آمنا ياكعبة الفسق، وركن الفساد

على أنني لا أحق أن تكون (أكبر آباد) التي ذكرها صفي الدين الحلي هي هذه المسماة (أقرا) إذ ربما كانت أقرا سميت أكبر آباد على اسم أكبر شاه الذي هو متأخر عن صفي الدين الحلي بطبيعة الحال، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قبيل قولهم (إن الشيء بالشيء يذكر).

مقبرة السلطان أكبر:

اشترينا تذكرة برويتين للشخص الواحد أي: أقل من ريال، واستأجرنا دليلاً بخمس روبيات، وهو هندوكي من أهل المنطقة.

وأول شيء تفقدناه في هذه المدينة هو (مقبرة أكبر شاه) الذي توفي عام ١٦٠٥م من أشهر ملوك المغول، وتتألف من مساحة واسعة تحيط بها الحدائق والأشجار الوارفة الظلال، وتسمى (باغ بهشت) أي: حديقة الجنة.

أول ما يشاهده المرء منها هو قبة المدخل التي يشبه بابها باب القلاع القديمة العظيمة، عليه قبة وبأركانها أربع مناير شاهقة، ومن هذا المدخل ينطلق ممر مرصوف رصفاً جميلاً بأحجار ضخمة متقنة كل أفاريزه وما

(1) وضعت هذه الكلمة بدلاً من كلمة أخرى فاحشة.

يحددها في أطرافه قد صنعت من الحجارة المنقوشة ليس فيها ملاط.

وهذا الممر يقودك في وسطه إلى نقطة تقع في قلب مدخل القبر الرئيسي بحيث أن الذي يكون في المقبرة يقع نظره على وسط البوابة الخارجية، وقد بنيت المقبرة بإشراف مهندس يسمى قاسم خان واستغرق بناؤها ثلاث عشرة سنة، ويلاحظ أننا نذكر ما شاهدناه في هذه المقبرة وأمثالها من باب ذكر الواقع، وليس من باب استساغتها شرعاً، وهذا ظاهر.

وعلى قبة المدخل على المقبرة الرئيسية كتابة آيات قرآنية كريمة.

أما هندستها فهي الهندسة المغولية المتميزة التي هي في الواقع تعتمد أكثر ما تعتمد على فن تركستاني أصله عربي ولكنه مختلط بفن هندي.

وأما القبر فهو في القبة الرئيسية ذات أربع منائر شاهقة، وأروقة عظيمة كل شيء في هذه القبة، أو قل: في هذه القباب المتجاورة مبني بالحجارة الحمراء، ومزين بآيات قرآنية كريمة، بعضها بخط فارسي وبعضها بخط نسخي جميل، وبجانب قبر أكبر قبر لبنته المسماة (آرام بانو) من زوجة له فارسية، وقبر ابن له صغير ليس على ظهر قبره سنام قالوا: إنه لم يسم لأنه مات قبل ختانه وتسميته لأنهم كانوا يسمون المولود الذكر يوم ختانه، وفي رواق من قبة أخرى قبر ابنة له تسمى (شاكل النساء بيغم) كما أن هناك أمكنة مخصصة للدفن ولكن لم يدفن فيها أحد.

طوق من الحيات:

عند باب المخرج رأينا حاوياً معه ثعبان عظيم أرقط في غلط يد الرجل القوي، لا يكاد يحمله وعندما رأيناه بادر فطوق نفسه بذلك الثعبان ليرينا مقدرته، ثم قربه منا ليحمله طوقاً لأحدنا فنفر الأصحاب، أما أنا

فقد وجدتُها فرصة سانحة لأثبت شجاعتي لإخواني فتقدمت منه وتركته يجعله كالطوق حول رقبتِي وقد أحسست بنقله على كتفي، وبحرارة من جسمه حول رقبتِي.

وأهمس للقارئ الكريم أنه لم يكن الذي يحملني على فعلي ذلك هو الشجاعة، وإنما هو شيء من الاعتقاد إذ كنت قد رأيت بعض الناس يفعلونه من قبل.

فتح بورسكري:

قال السيد عبدالحى الحسني: فتح بور: مدينة كبيرة مصرها أكبر شاه التيموري على جبل شاهق بمقربة سيكري- بكسر السين المهملة، وكانت قرية جامعة، وبنى بها القصور العالية له، وبنى جامعاً كبيراً ومدرسة وحماماً، وبنى أصحابه قصوراً عالية لهم بأمره، ثم هجرها السلطان فهجرها.

توجهنا بالسيارة من (أقرا) إلى قرية تبعد عن أقرا مسافة ٣٧ كيلا، ذكروا أن فيها آثاراً مهمة تستحق الزيارة، على أمل أن نعود إلى أقرا بعد ذلك لنستكمل رؤية معالمها الأثرية التي أهمها تاج محل والقلعة الحمراء فوصلنا قرية تسمى (شاه قنچ) وهي قرية أول ما رأينا منها هو جزؤها الشعبي أو قل القروي مبني بالطين، وبالآجر فيها مستنقعات أسنة خضراء اللون رأيت امرأة قد أضناها الهزال من المرض، وربما الجوع وهي تغرف من هذا المستنقع الأسن بجرة من الفخار وتحمله إلى بيتها ولا أدري ماذا تصنع به وهو هكذا، وعندما تصورت أنها ربما تشرب منه تقززت نفسي إلا أنني رأيت بعد ذلك بئراً قد ازدحم عليه عدد من النسوة للاستقاء، ثم أكثر من بئر مثله يجلب منها الماء.

أما الأهالي والقرية ففي غاية التخلف، ومن الغريب أنني لاحظت في أكثر أنحاء الهند أن هذه المستنقعات تحفر في الأرض حفراً فيه شيء من العمق على مسافة متر أو متر ونصف أو نحو ذلك، وينزل إليها نزولاً طبيعياً فتترك مياه الأمطار تتجمع فيها يمنعها تشعب الأرض بالرتوية من أن تمتصها، ويستعملها الأهالي وهي هكذا آسنة متغيرة لا تتزح ولا تغير.

ثم وصلنا إلى الجزء الحديث من القرية وفيه سوق البيع والشراء فوجدناه أحسن حالاً حافلاً بالفاكهة والخضروات، وفي هذه القرية وحولها آثار إسلامية مهمة من مبان وبقايا مقابر، وقلاع ونحوها.

ثم واصلنا سيرنا حتى وصلنا إلى حاجز للسيارات هو حد ولاية راجستان من ولاية (إتر براديش) التي كنا فيها، وكنا نرى على يميننا آثار سور ضخمة من الحجارة والفخار ممتد لمسافة طويلة، إلا أن أكثر حيطانه قد تهدمت مع أن بعض أبراجه لا يزال قائماً.

هذه فتح سكري:

ودخلنا تلك القرية أو قل تلك المدينة الأثرية العجيبة من بوابة عظيمة سورها كلها وما حولها من الحجارة الحمراء المنقوشة كأنما فرغ منها الصانع أمس، وسرنا في طريقنا إلى قصر السلطان ومقبرة شيخه سليم الشسستي، فصعدنا تلاً مرتفعاً تقع عليه تلك الأبنية.

ومن العجائب أننا وجدنا عند باب القصر قطعة من عمود من الصخر إما أن تكون قد سقطت من إحدى البنايات أو تكون قد أحضرت للبناء ولكنهم استغنوا عن البناء بها، ويستعملها الهنود المحدثون الآن رصاصاً للزفت الذي تبلط به الطريق، وقد رأيت تحتها دعامتين من الحديد لكي تتدحرج

فوقهما، وهكذا يعود المسؤولون عن الطريق إلى الأدوات القديمة في هذا العصر لعجزهم عن إحضار رصاصة حديثة للأسفلت.

وفتح بور سيكري: قرية صغيرة لم ندخل وسطها، ولم نتجول فيها لأن رؤية هذه الآثار شغلتنا عن غيرها.

قصر الشاه:

بعد حروب وقعت عام ١٥٢٧م بين السلطان المغولي محمد ظهير الدين بابر أول ملوك المغول في الهند وأحد أعدائه المسمى (راناسانقا) في هذه المنقطة أسس هذا المكان وسماه (فتح بور) أي: بلد الفتح أو موضع الفتح، وبنى فيه بعض الأبنية، ولما ولى حفيده الملك أكبر شاه بنى هذا القصر، والمسجد الجامع القريب منه، وقبر شيخه الصوفي سليم الشستى، وجعل (فتح بور) عاصمة له. وتأنق في هذا البناء.



منظر من فتح بور سيكري

أما القصر فإنه كله مبني بالحجارة الحمراء المنحوتة قبابه وممراته، وسقفه وعمده، والدعائم التي تقوم عليها السقوف والبلاطات الأرضية حتى أفاريز البركة، ونقوش الرواشن وتزيينات الجدران حتى لو كان ذلك عمل من الخشب لعد من الفن الدقيق الباهر فكيف به وهو قد قُدَّ من الحجارة قُدًّا؟

وقد بقي الملك أكبر وهو يتخذ هذه البلدة عاصمة لملكه مدة ١٦ سنة، قبل أن ينتقل عنها ويضم ذلك القصر ديوانه الخاص، ويسمونه الآن (ديوان خاص) أي كما هو بالعربية وديوان عام بهذا اللفظ العربي أيضاً، ومسكن لزوجاته الثلاث اللاتي هن من أديان ثلاثة إحداهن مسلمة، والثانية نصرانية، والثالثة: هندوكية، المسلمة: اسمها (سلطانة رقية)، والمسيحية: مريم، والهندوكية: اسمها مريم الزماني.

إلى جانب بركة جميلة وساحات واسعة مفتوحة إلا أنها كلها مبلطة بالحجارة للاستعمالات الخاصة.

هذا إلى جانب المرافق الأخرى اللازمة والتي لا يمكن وصفها في هذه العجالة القصيرة، إلا أنه مما يلفت النظر في بنايات القصر منارة قصيرة بناها على قبر فيله الخاص عند ما مات الفيل، وقبة صغيرة مبنية على قبر نديمه المدعو (راجه بيربل) وعلى هذا فقس.

المسجد الجامع:

وبنى في جنوبي القصر مسجداً جامعاً هائلاً على مرتفع من الأرض الجبلية تطل أرضه على ما حوله فكيف بها بعد بنائه؟ وجعل بوابته الجنوبية على مرتفع متدرج وهي فيما يقال أعرض بوابة في آسيا

ذات ثلاثة أبواب، وقد قست عرضها فبلغ أربعين متراً، تصور بوابة مسجد بعرض أربعين متراً.

وفي هذا الجامع أروقة واسعة وبلاطات عديدة، وأكثر من محراب في قبلته، أما قبابه العجيبة فإن كل واحدة منها تخالف الأخرى في تفاصيل الصنعة والنقش بالحجارة، وإن كانت تماثلها على وجه العموم بحيث لا يتنافر مرآها مجتمعة.

وكل بنائه وقبابه وسقوفه، ليس فيه غير الحجارة شيء كأنما الحجارة انقلبت بين أيدي المهندسين لدائن من العجيين يصنعون منها ما يشاؤون لاسيما إذا عرفنا أنهم لم يقتصروا على البناء والتشييد بالحجارة، وإنما تأنقوا ما شاء لهم التأنق وبالغوا إلى أقصى حدود المبالغة في تزيين هذه الحجارة ونقشها بالنقوش الكثيرة المتعددة ذات الفن الرفيع الذي لا يتصور المرء قبل أن يراه أنه كان موجوداً في ذلك الزمان، وقد زينت الجدران والقباب والبوابات كتابات عربية معظمها آيات قرآنية منها ما هو مكتوب على البوابة الخارجية العالية، جعل الكاتب الكتابة في أسفل الجدار أصغر منها في أعلاه، وجعلها كلما أرتفع الجدار يكبر حجمها في ذلك حتى تبدو للناظر موحدة الحجم رغم بعد أعلاها عن أسفلها.

ويقال إن المسجد مبني على مثال بناء المسجد الحرام في مكة المكرمة بناءً على إشارة من الشيخ سليم الشستى.

وسليم الشستى هذا له دالة على الشاه أكبر وله مقام عظيم عنده، وسبب ذلك فيما يقال أن الملك الشاه أكبر لم يكن يولد له ولد فخاف على العرش أن يذهب من عقبه فدل على هذا الشيخ الصوفي.

وكان يتعبد في مغارة قرب هذا المكان فجاء إليه وطلب منه الدعاء له بأن يولد له ولد ذكر فدعا له، فاستجيب الدعاء وولد للشاه ولد سماه (سليم) على اسم الشيخ.

وليس هذا فحسب وإنما بنى له في ركن من صحن هذا المسجد الجامع قبراً كله بالمرمر الأبيض الخالص حتى الشبابيك التي يخيل للمرء إذا رآها أنها من الخشب المدهون كلها من الممرمر، وليس ذلك فحسب، وإنما جعلوا لكل منها نقشاً خاصاً، أي تشكيلاً خاصاً من الممرمر وحتى قبابه وعمده من الممرمر.

وجعل باب القبر من خشب الأبنوس أقوى الأخشاب وأفخرها وفي داخل المقبرة أحاطوا القبر بقبة صغيرة من خشب الصندل المطعم بالصدف، قالوا: إن عمله استغرق ٨ سنوات.

وقد دخلنا القبر من باب الإطلاع إلا أنه أزعجنا ما رأيناه من سجد امرأة تدعي أنها مسلمة لهذا القبر وذلك بإشارة من سادن عليه ملابس تشبه ملابس الصوفية، قالوا: إنه ملازم القبر أي سادنه ومعه رجل آخر ربما كان من أعوانه، وعندما رأنا وعرف من ملابسنا أننا مسلمون قال لنا بالأردية نماز، نماز، أي: الصلاة الصلاة: يريد منا أن نركع أو نصلي عند هذا القبر، فقلنا له نماز حرام ثم أمرنا المترجم أن يفهمه أن السجود أو الركوع لا يجوز لغير الله تعالى، وإن الصلاة لله وحده، ولكن المترجم ألقى ذلك بسرعة ربما كان ذلك خوفاً من مغيبته، وخرجنا من باب قبره لنرى طائفة من أتباعه يغنون ويضربون بالدفوف، آلات الطرب وهم يتمايلون في صحن المسجد وقال لنا مرافقونا: إنهم

يفعلون ذلك كما كان الصوفية يفعلونه، وإن الناس هنا في الهند يطربون لهذا النوع من الغناء وينسبونه للشيسئية، وهم يفعلون ذلك يطلبون من السياح الكثيرين أن يحضروا معهم ليستمعوا غناءهم وموسيقاهم ثم ينفحونهم بما شاؤوا، ولكننا لم نقف عندهم رغم ما لاحظناه من تطعمهم إلينا إنكاراً منا لضرب الدفوف والآلات الموسيقية في المسجد الذي ينبغي أن يتلى فيه كتاب الله مع إن هذا المسجد بالذات يفعل فيه من الأمور الشركية والبدعية عند قبر الشستي الشيء الكبير، وقد وجدنا في صحن هذا المسجد قريباً من قبر الشستي قبوراً كثيرة بعضها لاتباعه، وبعضها لأقاربه وذويه، ورأيت فيها قبراً حديثاً إلا أنه لم يكن مزفوعاً عن الأرض وقرأت عليه بالأردية أن صاحبه اسمه الحاج بهادور اختر عادل وإنه توفي عام ١٣٨٢م، وقال لنا الدليل: إن هذا من نسل الشيخ الشستي وإن بينه وبينه اثني عشر جداً مع ملاحظة أن الشيخ الشستي مات عام ١٥٧١م أي منذ أكثر من أربعة قرون.

وإننا نصف ما رأيناه هنا من حال هذا القبر وما عنده ليس من باب الإقرار حاشا وكلا ولكنه من باب الإخبار عن أمر أبتلي به بعض المسلمين على مختلف أقطارهم وأمصارهم وذلك من البناء على القبور وتعظيمها والصلاة عندها، وسؤال المقبورين والخوف منهم ورجاءهم مع أنهم المحتاجون للدعاء والاستغفار لأنهم خرجوا من دار العمل أي الحياة الدنيا إلى دار الجزاء في الآخرة، ولكنه الجهل والبدع.

والأمل أن يهدي الله قادة المسلمين ويبصرهم في أمور دينهم حتى يرجعوا إلى ما كان عليه السلف الصالح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتباعهم الصالحين الذين فهموا الإسلام فهماً صحيحاً

فاعتمدوا على العمل الصالح دون الاتكال على أحد إلا على ربهم، وبذلك فتحوا البلاد وسادوا العباد، ونشروا العدل بين الناس فاقتدى الناس بهم، ودخلوا في دين الله أفواجا.

هذا وقد خرجنا من (فتح بورسيكري) بعد أن قضينا فيها ثلاث ساعات من أمتع ساعات العمر رغم التنقل على الأرجل من مكان إلى مكان، والصعود إلى سطوح بعض المحلات مثل المبني المسمى ذي الدرج الخمس في قصر الشاه الذي يطل من صعد إلى سطحه على المنطقة كلها.

مُغَلُّ هَوْتِيل:

خرجنا من (فتح بورسكري) في تمام الساعة الثانية بعد الظهر فقررنا أن نتناول طعام الغداء ونرتاح في محل نظيف قفيل لنا: إن فندقاً جديداً أيقنا افتتح منذ أشهر في أقرأ وأن اسمه (مغل هوتيل) أي فندق المغول.

دخلناه وفي أذهاننا عن المغول وعن ملك المغول أكبر شاه ما شغلها وملأها بالتفكير وتوقعنا أن يكون في فندق المغول شيء مما يدل على المغول، ولكن لم يكن شيء من ذلك، كان أول من رأيناه على مكتب الاستقبال فتاة هندية جميلة، وما أقل الجميلات في هذه البلاد استقبلتنا بابتسامة أوروبية تسألنا عن عدد الغرف التي نريد؟ فأجبناها بأننا لا نريد غرفاً وإنما نريد طعاماً واستراحة فهدتنا إلى مكان الطعام.

وكان مطعماً أوروبياً الطراز، حديث الرياش، ليس فيه مما للهند من نصيب إلا الفلفل الكثير في الطعام، والدسم الجم في الإدام، وما كان على بعض الخدم من الهندام.

واسترحنا من التعب، وأطلقنا فيه المكث، ثم غادرناه لنستأنف جولتنا في مدينة (أقرا) التاريخية قاصدين أبرز معالمها، وأظهر آياتها، وأشهر بناياتها، بل نكاد نقول أشهر أبنية آسيا هو تاج محل.

وكلماته عربيتان فصيحتان، فقد بناه الملك شاه جيهان أي ملك العالم قبرا لزوجته (ممتاز محل) وهذه كلمات عربية وإن كان فيها تقديم للمضاف على المضاف إليه.

"تاج محل" كتب عند الكاتبون، وقال فيه القائلون، ما جعله يكاد يكون معروفا للجميع وإذا لماذا الإطالة؟ وربما تكفي عنها الإحالة، وإن كان لابد من مقال فلا ينبغي أن يكون مما طال.

كان لشاه جيهان بن الملك جهانكير أحد أباطرة المغول العظام الذي اتخذ من مدينة أقرا عاصمة لملكه زوجة عزيزة لديه، أثيرة عنده أحبها حبا عظيما، وعاش معها دهرا لا يكادان يفترقان حتى دهمها مرض وهي تشرف على الولادة فلما دنا أجلها طلبت منه أن يعتني بأولادها وألا يتزوج بعدها فوفى بذلك كله لها، وبنى لها هذا القبر الذي أصبح معلما من معالم البناء في العالم جلب إليه المهندسين من أقطار الدنيا، وأحضر مواد البناء من أقاصي البلاد وأدانيها مما هو تحت ملكه ومما هو خارج نطاقه يشترى ذلك بما غلا ونفس من مال، أما الجواهر والأحجار الكريمة فقد جمع منها ما لم يجمعه غيره في زمانه ليزين بها هذا البناء، ويكمله كل ذلك في فن خلاب للأفئدة أخاذ للقلوب، ولا يزال رغم مضي زهاء أربعة قرون عليه تتجدد روعته ويزيد تألقه في القلوب والأبصار، فقد زرناه هذه المرة بعد العصر فأرانا الدليل وهج الشمس منعكسا على صفحته الخارجية كأنها المرأة لم تجعله القرون يخبو ولا يصدأ.

أول ما دخلنا البوابة الخارجية رأيناه يحيط به من جهة الغرب جنات من البساتين خلالها عقود من الزهور، ويخترق الممر الرئيسي نافورات تتراقص مياهها مع نسيمات الأصيل الذي يحاول أن يعانقها فيغلبها الحياء فتعود منكسة ذوائبها إلى الأرض، ويطل من جهة الشرق ومن علو زاؤه على ضفة نهر جمنى المقدس عند الهندوكيين.

وقد دفعنا مبلغ روبيتين اثنتين رسماً للدخول عن كل شخص، وقلنا: ما أرخص المتعة ولو طلبوا منا مائتين لدفعناهما طائعين، ولكنهم فعلوا ذلك ليغروا الهنود بقلة النقود على زيارته ثم ليجمعوا من ذلك أضعاف ما يجمعونه منه إذا كان لا يزوره إلا القادرون النادرون.

وجدنا دليلاً من المسلمين شيخاً هزيلاً ذا قلنسوة كلوية الشكل مزركشة بنقوش من الخيوط حمر وزرق فسألناه: كم رسمك يا شيخ على الهداية والشرح؟ فأجاب بالأردية: بانج، أي خمس، فقلنا له: وماذا تحسن من اللغات؟ فقال: ما شئتم من إنكليزية وأردية وكان معنا الشيخ عبدالحميد بن عبدالجبار السلفي وهو باللغتين العربية والأردية عليم، فقال: ليكن بالأوردية لغته الأصلية، فذلك أبعد عن التكلف وأوفى للشرح وأنا بترجمة ما يقوله إلى العربية زعيم.

قصدنا أول ما قصدناه المسجد الجامع الواقع في جهة الغرب من المبنى الرئيسي الذي فيه القبر وبينه وبينه ساحة واسعة مكشوفة مفروشة فرشاً محكماً ببلاطات من الحجر الأحمر تتوسطها فسقية، أي بركة يتوضأ منها من أراد الصلاة، ولم يكن في المسجد فراش فجاء رجل ربما كان المؤذن فأعطانا الفراش وبعد الصلاة أخذ الفراش، وما تيسر من حلوان (بخشيش).

أخذ الدليل يقص علينا من قصص هذا البناء ومن قصص بانيه شاه جيهان أي ملك العالم، وزوجته ممتاز محل قصصاً شيقة لا شك في أنه طعم ما لا طعم له منها بالخيال ومن ذلك قوله: إنها أنجبت للملك أربعة عشر ولداً ماتت عند ولادتها الرابع عشر وإن الملك حنط جثتها وأبقاها حتى تم هذا البناء، وقال: في هذا المكان وأشار إلى جهة الغرب بقى جثمانها المحنط ست سنوات.

أقول: أكثر العلماء المحققين ذكروا أنها ولدت له أربعة أبناء وثلاث بنات.

ثم قال الدليل: إن عشرين ألف عامل استمروا يعملون فيه لمدة اثنتي عشرة سنة وستة أشهر.

ثم دفن فيه زوجته المسماة (أرجمند بانويقم) والملقبة (ممتاز محل) وهو لقب شرف لها حل محل الاسم وقد ماتت عام ١٠٤٠هـ، أما زوجها الوفي لها (شاه جيهان) فقد مات في عام ١٠٧٦هـ، هكذا مكتوب بالأردية أو الفارسية على قبريهما لا أدري في أي اللغتين ولكنني قرأته وفهمت الأسماء والتاريخ لأن الكتابة هي بالحروف العربية بطبيعة الحال.

القلعة الحمراء:

هذه قلعة عظيمة سميت بالحمراء لأن أسوارها وأبراجها الخارجية، بل ومعظم أجزائها بنيت بالحجارة الحمراء.

أول ما راعنا منها بعد منظرها العام الرائع، خندق عميق ملئ بالمياه حتى الآن لا يمكن تجاوزه إلا بوسائل العصر الحديث، عليه جسر صغير لمن يدخل من البوابة الرئيسية، ومن غرائب هذه القلعة أنه يوجد

داخل بوابتها الرئيسية هذه بكرتان ضخمتان من الحديد عليهما أسلاك ضخمة غاية في القوة والضخامة أعدتا لجر هذا الجسر الموضوع على مدخل القلعة ليصبح الخندق محيطاً بها فلا يستطيع العدو أن يصل إلى الباب، ولكن كيف يمكنهم تحريك هاتين البكرتين الضخمتين؟

الجواب: إن ذلك يتم بقوة فيلين اثنين أعدا لهذا الغرض، إذ لا تستطيع قوة معروفة في ذلك العصر غير الفيلة أن تقوم به.

وتقع القلعة على مرتفع جبلي يصعد إليه بعد الدخول من البوابة الرئيسية في ممرات رصفت بالحجارة الخشنة من غير درج.

قالوا: إن فائدة ذلك أنه إذا افترض أن دخل العدو فإنهم يكونون قد أعدوا أعداداً من الحجارة الكبيرة المتدرجة يرسلونها عليه من هذا الارتفاع فترد العدو أو تصده.



القلعة الحمراء

وقد استأجرنا دليلاً تبين أنه هندوكي الديانة بخمس روبيات وقال:
إنها بناها أكبر شاه في مدة ثمان سنوات وإنه عمل في بنائها سبعة عشر
ألف عامل، وإن ولده سليم الملقب جهان قير قد بنى فيها أشياء كما أن
الملك أورنج زيب قد أكمل شيئاً من بنائها، وكان المهندس المشرف على
بنائها من قبل أكبر شاه هو قاسم خان، وكمل بناؤها في عام ١٥٤٧م.

وقد جعل لها سورين أحدهما داخلي، و الآخر خارجي زيادة في
المنعة والقوة.

وقد تحولنا في هذه القلعة وقضينا ساعات ممتعة في مشاهدة
محتوياتها الرائعة من ذلك: مسجد اللؤلؤ بناه الشاه جهان قير واستغرق
بناؤه ٧ سنوات، وكله من المرمر قيل إنه بناه من المرمر الذي كان قد
بقي من بناء (تاج محل) زائداً عما احتاج إليه، وجميع ما في المسجد من
سقوف وأعمدة وبلاط أرضيات ومنازل حتى الزينات والزركشات كله
بالمرمر الأبيض.

ومن الأشياء اللافتة للنظر في هذه القلعة الحمراء البيت المثلث أي
ذو الأضلاع الثمانية فيه مجلس خاص به نافورة مرمرية جميلة قالوا:
إنهم كانوا يصبون ماء الورد في خزان في أحد السقوف البعيدة فتبدأ هذه
النافورة برش ماء الورد على هذا المجلس ومن فيه، وجميع أعمدة هذا
البيت مطعمة بالجواهر والأحجار الكريمة.

وقد رأيت بعض ما بقي منها مما لم يقلعه اللصوص والسراق رائعاً
إلا أنه صغير الحجم لأنه في أصل النقش مجعول ليملاً فراغاً صغيراً
وهو من أنواع من الجواهر كثيرة.

ومكان آخر هو مجلس لشاه جيهان بناه في هذه القلعة ولكنه مقابل لتاج محل، كان يجلس فيه يشاهد تاج محل موضع قبر زوجته العزيزة وهو في مكان مرتفع يطل على نواح بعيدة لا يحد البصر فيه حاجز ومن تحته أسوار القلعة العظيمة، وضفة نهر جمني الشهير، وأرانا الدليل جداراً مرمرياً صافياً فيه قال إن شاه جيهان كان يحضر عنده المصحف الشريف ليلاً ليقرأ القرآن على ضوء القمر المنعكس على هذا الجدار لشدة صفائه ولمعانه، وقال: إنه كان طول الدهر يذهب كل يوم جمعة لزيارة قبر زوجته ويقرأ الفاتحة عندها، وإنه لما أسرف في الإنفاق سجنه ابنه سليم جهان قير في هذه القلعة، فكان يجلس في هذا المجلس يقرأ القرآن عوضاً عن الذهاب إلى قبرها.

ومن أغرب ما في هذه القلعة موضع يسمونه (شيش محل) أي: بيت الزجاج وهو مكان مكون من غرفتين بينهما ممر إذا أوقدت فيه مصباحاً لامعاً أخذ يلمع كله بما في ذلك سقفه ويكفيه ذلك المصباح الواحد، والسبب أن جدرانه وسقفه مغطاة كلها بمرايا لامعة تحت النقوش تعكس الضوء وفي وسطه حمام لا يصل إليه الهواء.

وفي هذه القلعة مكان ذو بوابة عالية بناه أكبر شاه، ورسم عليه نقوشاً تمثل الأديان الخمسة المعروفة في بلاده في ذلك الوقت وهي الإسلام والهندوكية والبوذية والنصرانية واليهودية، فجعل الفن الإسلامي ممثلاً في نقوش إسلامية عربية بديعة وبقية الأديان بفنونها، وقالوا: إن هذا من الدلائل على أن أكبر شاه لم يكن متحمساً للإسلام، بل قيل: إنه اخترع ديناً لفته من الأديان المعروفة في عهده وسماه (الدين الالهي)، يريد بذلك أن يجمع جميع أفراد رعيته على ذلك الدين، وبعضهم يقول:

إن مراده من ذلك هو سياسي لكي يتألف الناس، ولكن هذا التفسير إذا صح يدل على عدم إخلاصه للإسلام لأنه لو كان مخلصاً لدينه لما تألف الناس بما يخالفه.

هذا وقد خرجنا من هذه القلعة الحمراء وأجسامنا قد تعبت، ولكن مشاهدتها متعة ما بعدها متعة.

وكانت الشمس قد قاربت الغروب، فذهبنا إلى أماكن تباع التحف والهدايا المصنوعة في تلك المنطقة فأنفقنا فيها بعض الوقت.

العودة إلى دلهي:

بدأنا العودة إلى مدينة دلهي وقد أظلمت السماء بالسحاب حتى أربدت ثم جاء البرق كالشهب المتلاحقة المتلاصقة، أعقبه الرعد القاصف، وبعدها جاء المطر الجود فانهمر كأفواه القرب وغمر الطريق حتى لا تعرفه من غيره فأوقفنا السيارة في انتظار وقوفه لأننا فوجئنا بسحابة تأتي ومعها المطر والبرد، الذي أخذ يصقع سيارتنا بأصوات تحطم الأعصاب وخشينا على زجاجها وطلاتها فاستمر مدة مديدة، واصلنا بعدها السير حتى وصلنا استراحة (كوسي) فلبثنا فيها بعض الوقت وتعشنا ولم نصل إلى فندقنا في دلهي إلى عند منتصف الليل.

يوم الأربعاء ٤/٥/١٩٧٧م في مقر الجماعة الإسلامية:

ذهبنا في الساعة الثامنة والنصف إلى المقر الرئيسي للجماعة الإسلامية في الهند بدعوة من رئيسها الشيخ الجليل المجاهد محمد يوسف قواه الله ووقفه للخير، فوجدنا في استقبالنا كبار المسؤولين في الجماعة ورؤساء تحرير الصحف التي تصدرها الجماعة بالإنكليزية والأوردية والعربية والهندية إلى جانب عدد من العلماء.

وقدموا طعام الإفطار وتخلل ذلك أحاديث شيقة مستفيضة عن حالة الإسلام والمسلمين في الهند استفدنا منها كثيرًا.

وأطلعونا على المطبوعات التي يقومون بنشرها بلغات كثيرة مستعملة في الهند وقضينا عندهم أكثر من ساعتين تجولنا أثناءها على أقسام المقر وعلى المطابع التي تطبع الكتب الإسلامية وتبيعها بثمن التكلفة ومستودعات الكتب وودعناهم شاكرين.

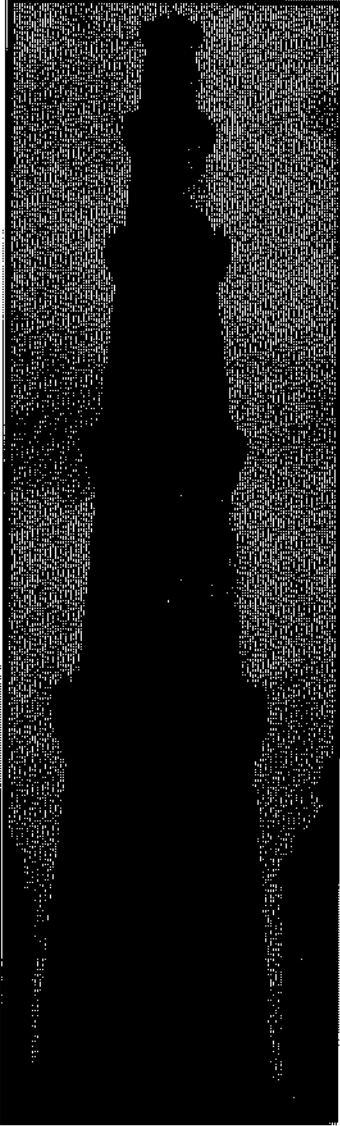
ويقع مقر الجماعة في حي إسلامي قديم يسمى (بازار شتلي قبر) وشتلي: صوفي قبراً هناك فسمي الحي على اسمه، وهذا الحي قريب من جامع دهلي العظيم، الذين يسمونه (جامع مسجد).

قطب منار:

هكذا اسمها عندهم والوجه في العربية أن يقال (منار قطب) لأنها منارة هائلة منسوبة إلى قطب الدين إيبك فاتح دهلي أو دهلي كما كانت تسمى قديماً وهو أحد الحكام العظام الذين تولى الحكم في الهند وعملوا

إصلاحات واسعة فيها وبخاصة ما يتعلق بإشاعة العدل والمساواة في الحقوق بين الرعية.

وهذه المنارة شاهقة رائعة بل هي من عجائب الدنيا، و اعتقد أنها



قُطْب منار في دلهي

جديرة بالرؤية مثل جدارة تاج محل ذلك بأنها يصح أن توصف بأنها جبل صناعي شاهق في السماء مبني بهندسة عجيبة إذا رأيت الخطوط العربية والآيات القرآنية التي قُدت في صخورها قَدْأ قلت في نفسك إنك أمام مبنى عربي، وإذا رأيت الهندسة بمجموعها أيقنت أنك أمام مبنى هندي مطعم بالفن العربي، فالطراز المغولي الذي تشتهر به البناءات في الهند لم يكن قد ولد بعد عندما بنيت هذه المنارة، فهي قبل المغول وعهدهم و إنما هي في عهد يصح أن يدعى عهد المماليك لأنه تولى الحكم في الهند خلاله عدد من الملوك الذين أصلهم مماليك كالذين تولوا الحكم في مصر والشام.

وقطب منار هي الباقية الظاهرة من مسجد عظيم اسمه (مسجد قوة الإسلام) بناه قطب الدين أيبك هذا وقد بقيت منه بقايا عظيمة مبنية بالحجارة الضخمة من الأعمدة وبقايا الأقواس، وأصل منارة أخرى عظيمة قالوا: إنه كان من المقرر أن تكون أعظم وأضخم من المنارة الحالية ولكن بانيتها عجز عن إتمامها فبقيت كما هي في ارتفاع لا يتجاوز سبعة أمتار في الوقت الحاضر، والذي حاول بناء هذه المنارة التي لم تتم هو علاء الدين الخلجي ولكنه مات قبل أن تكمل وتقع مقابلة لمنارة قطب منار من جهة الشمال.

وتتألف منارة قطب أو (قطب منار) من خمسة أجزاء يركب بعضها بعضاً الجزء الأعلى أصغر حجماً من الذي أسفل منه صعداً إلى الجزء الأسفل منها فوصلنا أعلاه بعد تعب وبعد أن صعداً فيه مائة وثلاثاً وخمسين درجة.

ويقال: إن قطب الدين بنى الجزء الأسفل منها ثم أكملها غيره من الملوك، ولكنها بقيت منسوبة إليه (قطب منار).

أسطوانة السعادة:

في ساحة هذا المسجد العظيم اسطوانة واقفة أي: عمود من الحديد الخالص الذي يقولون إنه لا يصاب بالصدأ وشكلها على غير شكل الأعمدة الأخرى تسمى عند المتأخرين من أهل هذه البلاد أسطوانة السعادة.

وذلك لاعتقاد العامة والغوغاء فيها بأن من وقف عندها فجعلها خلفه وحاول أن يجعل يديه تحيط بها وهو مستدبر الأسطوانة بحيث تلتقي طرف أصابع يديه فإنه يكون سعيداً أما من لم يستطع ذلك فإن هذا يعني أنه ليس من أهل السعادة.

ومن الغريب أنني رأيت أعداداً من أهل البلاد يقفون ملاصقين للعمود المذكور وقد أولى الواحد منهم ظهره للعمود ثم يلف عليه يديه يحاول أن يحيطا بالعمود من ورائه فلا يستطيع، ورأيت منهم من يعاونه بعض الذين معه، وتسمى هذه الأستوانة (أستوانة راجاسندر قتباً) قالوا: إن عمرها ستة عشر قرناً!

وعندما تقدمت من باب التسليّة إلى فعل ما فعلوه أحطت بها بسهولة بحيث تلامست أصابع يدي حول العمود فصفق الحاضرون من أهل البلاد.

وربما كان هذا يدل على قصر قليل في أيديهم أو طول قليل في أيدينا أو هو شيء غير هذا أو ذاك ولكنه شيء في غذائهم يجعل أيديهم غير مرنة والله أعلم.

والواقع أن هذه الأستوانة أقدم عهداً من المسجد إذ يقال: إن من أقامها هو أحد ملوك الهند في القرن الرابع الميلادي.

و(مسجد قوة الإسلام) وما حوله يعتبر في الحقيقة بقية من مدينة (دهلي) الإسلامية الأثرية القديمة، إذ هناك غير بعيد منها سور حجري مبني بالحجارة الحمراء المتقنة البناء وعلى أحد الأجزاء من هذا السور الحجري العالي كانت هناك حمامات من (القمرى) تتوح ذكرني نواحيها بمجد إسلامي أولى بالمسلمين أن ينوحوا عليه إذا كان نواحيهم سيوقظ في نفوس إخوانهم من المسلمين في البلاد الإسلامية الغيرة والنخوة الإسلامية حتى يسارعوا إلى نصر إخوانهم في هذه البلاد بعد أن يكونوا هم قد عملوا لأنفسهم العمل الإسلامي الخالص.

وجميع ما في منارة قطب يذكر بالمجد الإسلامي الضائع وأظهر ذلك في الكتابات العربية البارزة في هذه الحجارة الحمراء الضخمة وكلها آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو عبارات إسلامية شائعة.

وقد أصبحت الآن أثراً يراه الناس ومنهم المسلمون يتفرجون بشكله على قوة للإسلام زالت ودولة للمسلمين في الهند دالت، نسأل الله تعالى أن يعز الإسلام والمسلمين.

قال السيد عبدالحى الحسنى من علماء الهند في كتابه (الهند في العهد الإسلامي):

قطب الدين أبيك:

الملك الكبير قطب الدين أبيك الدهلوي السلطان البانل الفاضل، كان من مماليك السلطان شهاب الدين محمد الغوري، أمره على عساكره بالهند سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وأقطعه بعض البلاد والقلاع في ناحية دهلي، فضبط قطب الدين تلك البلاد وأحسن السيرة في الرعية وسار إلى ميرته فملكها، ثم سار إلى دهلي وقاتل صاحبها أشد قتال فهزمه.

دخل دهلي سنة تسع وثمانين وخمسمائة وجعلها دار ملكه، ثم سار إلى كول، ففتحها عنوة، وأخذ الغنائم الكثيرة، ولحق بشهاب الدين حيث قدمه إلى الهند سنة تسعين وخمسمائة، فجعله شهاب الدين طليعة لعساكره، وبعثه إلى قنوج، فلقبه ملكها جي جد، فقاتله أشد قتال حتى قتله، وأقام بقلعة أسنى مدة من الزمان، فما استقر بتلك البلاد أراد أن يرجع إلى دهلي فسمع أن هيمراج خرج على كوله ولد برتهى راج، فسار إلى أجمير وانتزع البلاد من يده، وولى على أجمير واحداً من

خواصه سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، ثم سار إلى كجرات ووصل إلى "تهرواله"، فلقبه عساكر صاحبها.. فقتل مقدم العسكر.. ثم عاد إلى الهند وأتم بناء الجامع الكبير ببلدة دهلي سنة ٥٩٢هـ إلى أن قال: ومات سنة ٦٠٧ ببلدة لاهور، فدفن بها.

وقال الشيخ سليمان الندوي في كتابه: (تاريخ الصلات بين البلدان العربية والهندية):

كان قطب الدين أيبك- أحد مماليك شهاب الدين- الذي تولى حكم "دهلي" بعد سيده الذي كان أكثر المماليك الثلاثة قوة وجدارة وعظمة، فقد سبق له أن ساهم مع سيده مساهمة كبيرة في فتوحاته بالهند كقائد أعلى لجيشه.

وسرعان ما استولى قطب الدين على بلاد ناصر الدين قباجة إثر وفاته: وهي السند وما جاورها من البلدان وضمها إلى دهلي العاصمة وأسس دولة المماليك بالهند في سنة ٦٠٢هـ- ١٢٠٦م.

وكذلك كان قطب الدين يمتاز بالتدين والصلاح والتقوى، وقد أعاد فعلا للإسلام في الهند رونقه وصفاءه وهيبته وعظمته، وذلك لأنه تربى أول ما تربى- قبل شراء شهاب الدين الغوري له- على يد القاضي فخر الدين عبدالعزيز بنيسابور، وكان هذا القاضي من سلالة الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه.

وقد تولى بالإضافة إلى القضاء بنيسابور- مهام إدارة شئون ضواحي نيسابور.

مغادرة الهند:

كانت مغادرة الهند في مساء هذا اليوم على طائرة للخطوط الجوية الباكستانية، وفي الدرجة الأولى التي تتسم معاملة المضيفة فيها بالذوق الرفيع، والخدمة الممتازة والسخاء في تقديم الطعام والشراب حتى لا يكاد المرء يصدق بأن هؤلاء القوم كانوا في وقت من الأوقات يتقاسمون مع أهل الهند بلداً واحداً ويعيشون معيشة متشابهة.

ولم ينقص من متعة السفر مع الباكستانيين إلا تقديم الخمر لركاب الدرجة الأولى بالمجان كما تفعل الشركات الأخرى التي تملكها بلاد غير إسلامية.

وما كان أجدر إخوتنا في باكستان بتحريم تقديم الخمر على طائراتهم كما فعلنا نحن ولم ينقص ذلك من عدد الركاب الأجانب عندنا، بل إن خطوطنا السعودية هي من أكبر الشركات الناجحة في الشرق الأوسط حتى في نقل غير المسلمين كما هو معروف.

عَوْدٌ إِلَى شَمَالِ الْهِنْدِ

كنت قدمت إلى الشمال الشرقي من الهند وذلك لافتتاح مبان إسلامية للجمعية السلفية في بته عاصمة ولاية بيهار، وقد ذكرت ذلك في كتاب: (الشرق الشمالي من الهند) وهو كتاب مطبوع.

وفيما يتعلق من تلك الرحلة بشمال الهند وجدت في مذكرتي الأوراق التالية:

**يوم الاثنين: ١٨/٦/١٣٩٩هـ - ١٤/٥/١٩٧٩م:
من بته إلى لکنو:**

كان هذا اليوم في بته حاراً جداً حتى إنه ذكرني بحر المدينة المنورة في فصل الصيف، وقد أخبرني إخواني أنه من أشد الأيام التي عرفوها في هذه السنة حراً.

ومع ذلك خرج إلى المطار لتوديعي طائفة من الإخوان والمحبين فيهم عدد كبير من الشيوخ، وزاد الطين بلة، أو قل زاد الحر حراً أن أبنية المطار ضيقة جداً فكان الناس فيها وقوفاً لكثرتهم، وقد تأخر وصول الطائرة من كلكتا وكان من المقرر قيامها في الثالثة وعشر دقائق ظهراً، فلم تقم إلا في الرابعة والثلاث عصراً.

وكان وداع الإخوان في المطار حاراً معني وحقيقة، ولم يكن معي أحد من إخواني السعوديين إذ السفير الشيخ صالح الصقير كان قد عاد إلى دلهي أمس والشيخان مندوبا الجامعة الإسلامية غادرا بته إلى كلكتا صباح هذا اليوم.

قامت الطائرة الهندية من طراز بوينج ٧٣٧ وأكثر مقاعدها ملئ بالركاب غير أنه كان لا تزال فيها بقية من مقاعد خالية.

وكان قيامها حاداً متعباً واتضحت لنا بعد أن استقلت من المطار ضواحي مدينة (بنته) جميلة منسقة فيها مبان متفرقة بين حدائق وليست كالأقسام التي تمسينا فيها من البلدة القديمة.

ويقع في جانبها نهر (قانقا) أقدس الأنهار المقدسة عند الهندوكيين ولكن مياهه في هذه الأيام قليلة لأنها هي أيام الجفاف، ولذلك لم تشغل المياه من مجراه العريض إلا حوالي الخمس والباقي أرض رملية أو طينية جافة.

كان ارتفاع الطائرة سريعاً حاداً وكان الجو فوق سطح الأرض حاراً لذلك كانت هناك (مطبات) هوائية ولكن الطيار لم يبال بها أو بما قد يسببه ذلك للركاب من مشقة، وزاد ذلك مشقة عندما وصل إلى منطقة سحب كانت موجودة فأخذ ينطحها برأس طيارته نطحا فتهتز الطائرة وتضطرب، ولكنه لا يبالى بذلك.

ولم تستقر الطائرة في الجو إلا بعد أن ارتفعت فوق السحاب وعندما فعلت ذلك صرنا لا نرى الأرض الهندية بوضوح مع أن منظرها لم يكن مريحاً في هذا الفصل لأنه يبدو على البعد وكأنه منظر الأرض الجافة التي توشحها أشجار خضر غير كثيفة.

كان المضيفون في الطائرة من الإناث كما كانت في الطائرتين الهنديتين اللتين ركبت فيهما منذ وصولي إلى كراتشي، وكانت ثلاث مضيفات إحداهن ذات ملامح مغولية، كما كانت معظم الطائرات لا تخلو من هذا الجنس الذي هو من شمال الهند من منطقة جبال الهملايا، وكلهن لسن على قدر مناسب من الجمال.

أما الضيافة في هذه السفرة التي أعلنت المضيضة نفسها أنها سوف

تستغرق خمسين دقيقة فكانت كأساً غير مليء من عصير التمر الهندي، وهذه هي أول مرة أراهم فيها يقدمون هذا العصير الذي لا يكلفهم كثيراً فهو من إنتاج بلادهم ليس معه إلا قليل من السكر، وفكرت بهذه المناسبة في عصير التمر العربي لماذا لا نصنع من التمر عصيراً يكون شراباً لذيذاً حلواً ويكون في الوقت نفسه بمثابة الشعار في الشرب لبلادنا؟

في مطار لكنو:

لكنو هي عاصمة ولاية (ترابراديش) أكبر الولايات الهندية من حيث عدد السكان وقد ذكرت ذلك فيما سبق ومعنى إترا: الشمالية ومعنى براديش: ولاية فهي إذا الولاية الشمالية ويبلغ عدد سكان مدينة لكنو نفسها مليوني نسمة.

وهي واقعة على نهر قمتي، فيها أبنية رفيعة للأمرء، وبيوت لمآتم الشيعة انتقل إليها آصف الدولة من فيض آباد فصارت مقام الأمرء.

ولكن ليس هذا هو الذي حدا بي إلى التعرّيج على هذه المدينة في هذه الرحلة فذلك أمر لو كان وحده لم يحملني على زيارتها لأنني سبقت لي زيارتها منذ أربع سنوات، وإنما حملني على زيارتها هذه المرة هو ابتغاء اللقاء بصديقي الشيخ أبي الحسن الندوي وتجديد العهد بزيارة ندوة العلماء التي يشرف عليها.

ورغم ما بيني وبين الأستاذ أبي الحسن الندوي من صلة قوية قديمة فإنني لم أشأ أن أبرق له بوصولي وإنما كنت قررت أن أتصل به بالهاتف بعد أن أكون قد وصلت إلى الفندق في لكنو إلا أن أحد الإخوة الذين يعرفونني في بلادنا، وسبق أن زارني بصحبة الشيخ أبي الحسن

السندوي وكان هذا الأخ قد حضر إلى بته مندوباً عن ندوة العلماء لحضور الاحتفال عرف بعزمي على السفر فأبرق لندوة العلماء بذلك فلما وصلت إلى مطار لكنو وجدت فيه الأخوين الجليلين محمد الرابع الندوي والشيخ سعيد الأعظمي الندوي رئيس تحرير مجلة (البعث الإسلامي) ومعهما سيارة الندوة.

وكان الجو في مطار لكنو حسناً وقد زادت الساعة على الخامسة عصراً إلا أن هناك سحاباً يرسل نسمات مقبولة أخبرني إخواني أن الجو قد تغير في عصر هذا اليوم بسبب هذا السحاب الناشئ وإلا فهو كان حاراً شديد الحرارة في الظهر.

سارت السيارة مع طريق كنت أعرفه من قبل ولم يتغير منه شيء وهو طويل أكثره في البلدة وإن كان ذلك بمثابة الامتداد لها وليس الاختراق لوسطها ويبلغ طوله من المطار إلى الفندق (١٧) كيلاً.

وكانت هذه الساعة هي ساعة الازدحام إذ هي وقت انصراف الناس من أعمالهم في الشركات وبعض المتاجر كما أنها ساعة الخروج إلى الشوارع وفيها وفي أمثالها جاء المثل الهندي المشهور (صبح بنارس ومساء لكنو) فصبح بنارس شهدته وذكرته في كتاب (الشمال الشرقي من الهند) وهذا هو مساء لكنو وإن كان المكان الذي عني به ذلك المساء ليس هو هذا الشارع الطويل الامتداد فإن له منه نصيباً فغواني لكنو وغير الغواني من أهلها قد خرجن، وخرج معهن غيرهن من يستطيع الخروج حتى الجواميس شاركت هذا الشارع الطويل الامتداد، وقد أخذت الغواني زينتهن من ملابس فضفاضة إلا فوق الصدر وما حاذى أسفل الصدر من الظهر ومن مساحيق على وجوه بعضهن وكحل في عيون بعض كان

الشارع إذا مزدحماً ولكن كان أشد ما يضايق فيه ليس زحام السيارات كما هو عليه الحال في أكثر البلدان، وإنما هي الدراجات الهوائية التي تسير بأرجل الأدميين، يسيرونها بها وهي على قسمين أحدهما الدراجة العادية التي يسيرها الرجل بقدميه في نفسه لنفسه، والأخرى التي تسمى الركشا وهي التي يستعملها الرجل بمثابة (التاكسي) أو عربة الأجرة فهو يؤجرها ليركب بها الناس ويسيرها بهم، فتراه وقد نفرت عروقه وبان التعب على وجهه وبخاصة إذا كان الراكب الذي يحمله بعربيته ثقيل الجسم سمياً، وهذه العربات (الركشافية) هي كثيرة بشكل لافت للنظر.

أما العربات الأخرى فأظهرها وأكثرها مضايقة هي حافلات الركاب الكبيرة التي تملأ الجو بسحب الدخان الكثيف تنفثه من أنابيب الدخان الفاسد فيها وهي من التي يسيرها وقود الديزل، فتلوث الجو، وأحياناً تؤثر على عيون السائقين الآخرين لفترة قصيرة.

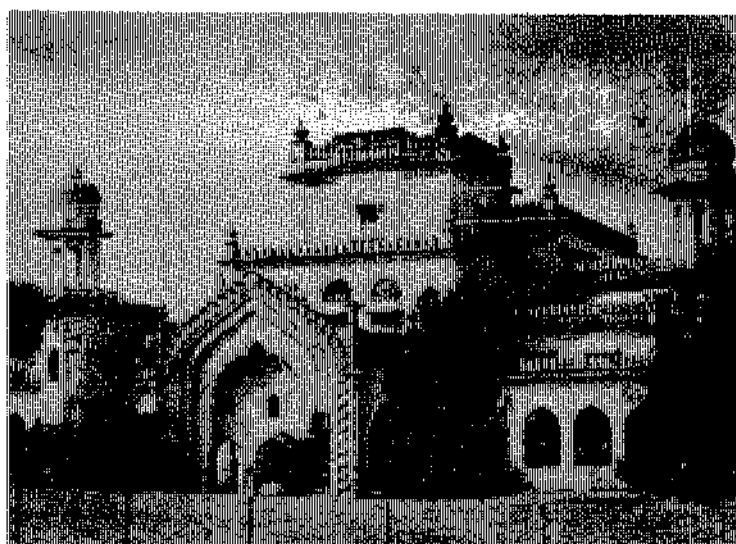
أما السيارات الصغيرة وهي سيارات الركوب والأجرة فهي قليلة جداً هنا، وقتها لافتة للنظر أيضاً، ذلك بأن معظم الشعب الهندي لا يعرف امتلاك السيارات بل إن امتلاك المرء عندهم دراجة نارية لهو مما يجعل له منزلة في قلوب الآخرين من المشيين على أقدامهم.

وقد نزلت في فندق (كلاركس) وهو فندق سبق لي أن نزلت فيه مرة قبل أربع سنوات وهو من الدرجة الأولى، ويقع في حي يعتبر حديثاً من أحياء مدينة لكنو (عاصمة ولاية اترا براديش) لأنه كانت فيه مزارع وأبنية قديمة فأزيلت ونسق تنسيقاً جديداً فكانت أنظر من نافذة غرفتي في الطابق السادس منه فأرى منظراً جميلاً يشعرني أنني في إحدى المدن الأوروبية إذ يقع نظري على دائرة جميلة تتوسط ميداناً صغيراً قد نسقت

فيها الحشائش والأشجار بشكل جيد وإن كان لا يوجد فيها أزهار، ويقع قريباً منه ملعب رياضي محاط بالمدرجات قد فرشت أرضه بالعشب الأخضر، وهناك بناءان اثريان شامخان من مخلفات ملوك الشيعة الذين كانوا قد حكموا هذه المدينة وما حولها مدة طويلة من الزمان. وليس فيه من البيوت الهندية القديمة المتلاصقة شيء.

ندوة العلماء:

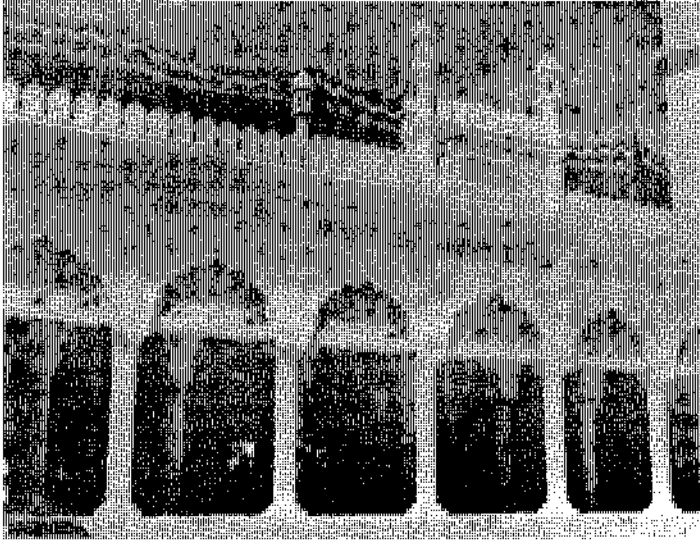
كان موعد اللقاء بالداعية الإسلامي الكبير الشيخ السيد أبي الحسن الندوي في الساعة الثامنة من هذا المساء وقال الأخ محمد الرابع الندوي: إن السائق سيأتي إليك في الموعد المحدد فيأخذك إلى مقر ندوة العلماء فهو ليس من الفندق ببعيد.



ندوة العلماء في لکنو

وعندما حان الموعد كانت السيارة قد جاءت وجاء معها السيد أبو الحسن الندوي بنفسه وهو يعتذر بأنه قد قدم هذا اليوم من دلهي وأنه ليس على يقين من قدومي بالطائرة وإلا لكان خرج إلى المطار فشكرت له ذلك وقالت له: إنني أسف لكون إخواني خرجوا إلى المطار دون رغبة مني فكيف أَرْضَى بأن تخرج أنت إلى استقبالهم والمهم عندي هو السلام عليك والاستفادة من ذلك.

ثم توجهنا إلى مقر ندوة العلماء فأجلسونا في فناء خارجي من الدار لأن الكهرباء كانت قد انقطعت عن المنطقة منذ دقائق معدودة وكان هناك عدد من إخواننا المشايخ وطلبة العلم من الذين حضروا المجلس، وكان مجلس الشيخ السيد أبي الحسن لا يمل بل إنه المجلس الممتع لأنه يضم أطرافاً مفيدة من الحديث، ونكتاً شيقة من المسائل العميقة التي يتناولها السيد أبو الحسن بنظرته الواسعة البصيرة إلى الشؤون الإسلامية كل ذلك بروح مرحة وأسلوب بعيد عن التعقيد فهو من العلماء الظرفاء، والعلماء الظرفاء في الهند ليسوا بالكثير، فقد يجد المرء من المشايخ الزهاد والعباد والمحدثين والمحسنين والفقهاء في أهل الهند العدد الكثير، ولكنه لا يجد العدد الكثير من الظرفاء واللطفاء في الحديث ولو حاول ذلك.



مسجد (دار العلوم: ندوة العلماء) في لكنو

وعندما حان موعد صلاة العشاء وكان أذان العشاء قد صدح في أرجاء ندوة العلماء هذا المعقل المنيع من معاقل الإسلام في القارة الهندية.

قمنا إلى المسجد الذي هو في الحقيقة جامع كبير، وقد عادت الكهرباء إلى المكان، فدارت مراوحه وسطعت أنواره، فوجدنا العشرات من الشيوخ وعشرات العشرات من الشبان الذين هم في وقار الشيوخ ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وهم في خشوع لخالقهم، وقد جللت وجوههم سيما العبادة، وانطبعت على جباههم آثار السجود.

وهؤلاء القوم من إخواننا الأوابين في هذه البلاد ليسوا كغيرهم من أهل البلاد التي قد يجبر الإنسان فيها على حضور الصلاة فهو هنا إذا لم

تكن لديه الرغبة الصادقة والنية الصالحة للصلاة لم يكن خلفه من يسوقه إليها سوقاً، أو يقوده إلى أدائها قياداً وقد أمَّ الناس لصلاة العشاء الشيخ سعيد الأعظمي فصلى خلفه من القوم عدد لا يراه المرء عندنا في مساجدنا المعتادة كثرة إلا في يوم الجمعة.

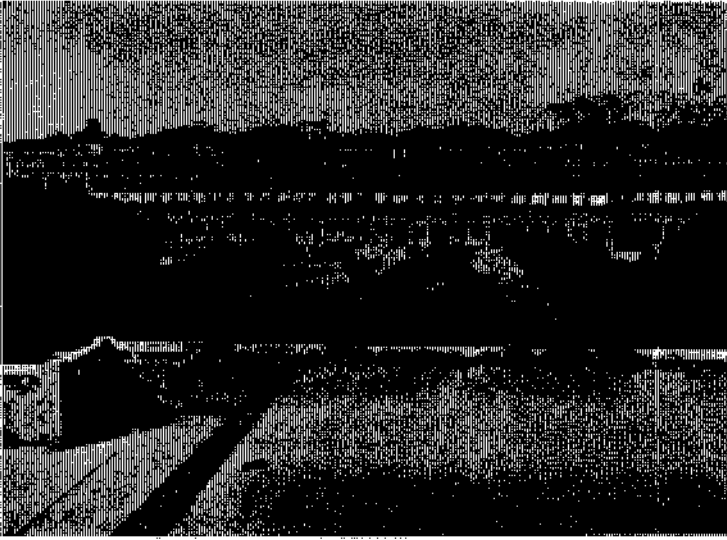
وليس ذلك فحسب وإنما العجب أن القوم أخذوا بعد الصلاة يتنفلون ويركعون ويسجدون وهم خاشعون.

أما أنا فقد حقرت نفسي وعملي عند عملهم، لأنني قد ضليت النافلة ركعتين ثم جلست منتظراً إياهم أن يفرغوا ولكنهم ظلوا يصلون ويواصلون الركوع والسجود فترة من الوقت بعد ذلك.

من مثل هؤلاء فانتعلم:

وبينما كنت جالسا دون صلاة انتظر فراغ القوم من نوافلهم كنت أتأمل وجوه بعضهم وأرقب حركاتهم فيملؤني العجب من كون هذه المدينة الحافلة المسماة (دار العلوم ندوة العلماء) كلها إنما قامت على التبرعات الخاصة وأن جميع العاملين فيها والقائمين على أمرها يعملون بإخلاص وتفان فيها وهم لا يرجون ثروة ولا يأملون في تجارة، وإنما هي الكفاية التي لا تزيد على الكفاف.

فأتذكر أن القصد الصالح هو الأساس للعمل الصالح، وأن القلب إذا عمل بإخلاص كان العمل مثمراً.



مساكن الطلبة في دار العلوم: ندوة العلماء

ثم قلت في نفسي: إن هؤلاء الإخوة قد سلموا من أمرين فظيعين ابتلينا بهما مع ما ابتلينا به من أمور أخرى في البلدان العربية هما فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات، أما الأولى فإن الذين هم الأكثرية من أهل هذه البلاد يعتنقون الديانة الهندوكية وهي ديانة ضعيفة في نفسها مخالفة للعقل، بل إن أول شروط الإيمان بها ألا يحاول معتقها أن يربط بينها وبين العقل فهم يقولون إن الدين شيء والعقل شيء آخر، وقد أذكر أشياء في ختام هذا الكتاب من مخالفتها للعقل فهم في هذا الأمر مثل المسيحيين الأوروبيين الذين يقولون: إن الدين شيء والدولة شيء آخر، وإن الدين للعاطفة، والعقل للحياة، لذلك فإن المسلمين هنا لا يتأثرون بهذه الديانة، ولا يذكرون أن أحداً من المسلمين (تهندك) أي أصبح هنوكياً بل إن العكس هو الصحيح الذي كان قد حدث ولا يزال يحدث منذ أن دخل الإسلام إلى هذه البلاد لأول مرة.

وفتنة الشبهات هذه هي التي أثرت وأحياناً تكون قد سيطرت على عقول الناشئة في البلدان العربية فهي تأتيهم من غزو الثقافة الغربية، ومن المذاهب الاجتماعية التي نبتت في المجتمعات الأوروبية مثل الحرية الديمقراطية الغربية والاشتراكية والشيوعية، فأصبحوا وأمتهم في حالة من الضعف الفكري وفي تأخر من الأخذ العملي بالإسلام وبخاصة في المعاملات وسائر شؤون الحياة التي لا تتعلق مباشرة بالعبادات أصبحوا في شك من دينهم وفي حيرة من هذا الشك حتى غدا بعضهم يعتقد أن الدين الإسلامي مثل الأديان الأخرى التي حكم عليها أصحابها بأنها غير صالحة للحياة.

والأمر الثاني أو الفتنة الثانية التي سلم منها إخواننا في أكثر هذه البلاد هي فتنة الشهوات فالتربية الصارمة في الهند وشدة التمسك بالتقاليد إلى جانب تنمية الوازع الديني في النفوس وتأكيد الحكمة القائلة (إن من العصمة ألا تجد) قد عصمتهم في الأغلب من الركون إلى الشهوات ومن غلبة الترف عليهم الذي يمنعهم من الصبر على أداء الواجب.

لذلك ينبغي لنا نحن العرب الذين لا نستطيع أن نبرأ أنفسنا من الأمرين كليهما أو من بعضهما أو على الأقل لا نستطيع أن نبرأ طائفة كبيرة منا من ذلك أن نرجع إلى إخواننا هؤلاء فنستشيرهم فيما ينبغي عمله لأمر ديننا المتصلة بالحياة الغربية أو بالمعاملة مع الكافرين، كما ينبغي لنا أن نتوقف ما يقوله مفكروهم في كتبهم ومنشوراتهم نتفحصه ونمعن النظر فيه.

الطعام المبارك:

بعد الصلاة بقليل قال الشيخ السيد أبو الحسن: إلى العشاء، فجلسنا على الأرض حول خوان ممدود قد أكثر عليه من الصحون وكان عدد الصحون الفارغة أكثر من عدد الأواني المملئة بالطعام.

فلإخواننا في الهند طريقة حميدة في الأكل هي أن يأخذ كل واحد بصحن له منفرد شيئاً قليلاً من الطعام حتى إذا أتى عليه أخذ غيره، وإذا فرغ نظف صحنه بأصابعه حتى يبدو كأنه لم يستعمل، وذلك لئلا يفسد على من قد يكونون بحاجة إلى الأكل من الطعام بعده شيئاً من الطعام الذي لم يأكله.

كانت المائدة تحوي من الطعام شيئاً لو قدمه أحدنا لضيف ذي مقام متوسط لعدده قليلاً ولرأه ذلك الضيف نفسه إذا كان من قومنا أقل من ذلك، وقد قال الشيخ أبو الحسن الندوي: إن هذا هو عشاؤنا لم نزد عليه شيئاً، وإنما حضرته أنت حضوراً فقلت له صادقاً، ومعتقداً ما أقول: أيها السيد الجليل: إن هذا هو الذي أريده وهذا هو الذي أدعو إليه أصحابي، ومن أستطيع أن أتكلم معهم في بلادي.

ذلك بأن الناس في بلادنا حتى طلبية العلم بل العلماء يسرفون في تقديم الطعام إلى درجة أنهم لا يجدون من يأكل بقاياها، فيرمون بها في الشارع أو في مكان النفايات، بل إن بعض الجهال كان يعتمد أن يرى الناس ما يرمي به من بقايا الطعام، حتى يقال: إنه ليس ببخيل أو ما هذا معناه.

أما هذا الطعام فإنني عندما رأيته وقد استعد للأكل منه حوالي اثني عشر شخصاً خشيت ألا يكفيهم ثم قلت في نفسي: ربما إذا رأوا أنه لا يكفيهم يحضرون غيره ولكنهم أكلوا منه حتى اكتفوا وكنت أحدهم وقد

أكلت حتى شبعت بل شعرت بشبع لم أشعر به عندما أفرغ من طعام فندق غالٍ من فنادق الدرجة الأولى.

ولم أجد ما أفسر به ذلك إلا أن البركة قد حلت فيه، وقد يتساءل بعض القراء بحق عن البركة ما هي؟ وربما لا يستطيع أن يستوعب ذهنه أن البركة تجعل الطعام القليل كثيراً في نفس الأكل أو في بطنه.

والجواب يكون بمثل عامي نجدي، وحكمة العوام ربما لا يستطيع المرء أن يجد لها دليلاً ولا تعليلاً ولكنه في الوقت نفسه لا يشك في أنها مبنية على تجارب عديدة لأناس كثيرين حتى جعلت من يأتي بعدهم يقتنع بما جاء فيها ويصدقها، وذلك المثل هو قولهم: (البركة جند) وبعضهم يقول: جند خفي، وتفسير المثل على كلا اللفظين هو أن البركة التي تحل في الأشياء هي من جند الله الذي لا يرى، وهي بذلك لا يستطيع الرجل العادي تعليلها.

إن هذا الطعام الذي قدمه الشيخ أبو الحسن وتناول منه بعض العلماء والمشايخ في ندوة العلماء حتى اكتفوا كان أكلاً هنيئاً مرثياً وكان خالياً من أهم مميزات الطعام الهندي، أو قل من أهم عيوب الطعام الهندي الأصيل وهو كونه مليئاً بالفلفل الحار أو بالدمس الثقيل فقد برئ من ذلك، وكان من بين الأنواع المقدمة منه: خبز رفاق هندي يسمى (شباتي) وخبز غليظ يسمى (روتلي) أوانان، وأرز هندي ولحم دجاج قليل مع المرق، وأطباق من البامية الصغيرة الثمرات، وأطباق من السلطة الخضراء، وشيء من اللبن الرائب.

أما الفاكهة فكانت من التفاح الهندي الذي يجلب من الشمال وطبيعته أنه أقل من التفاح اللبناني جودة بكثير.

وكان هذا الطعام الهني المرئ يصحبه طعام عقلي أيضاً هنيئاً مرئياً ذلك هو حديث السيد أبي الحسن الندوي وابن أخته وتلميذه الأستاذ محمد الرابع الندوي، وإخوانهم وتلاميذهم من أهل ندوة العلماء فجزاهم الله خيراً وأثابهم.

إنه لجدير بي أن أقول أيضاً بهذه المناسبة: ما أوجنا نحن طلبة العلم والمحبين للخير من العرب إلى أن نتعلم من إخواننا هؤلاء أدب المائدة وأن نقوم بحملة لذلك حتى نوفر ما نبذله من نفود تضيع في الإسراف في الطعام وأن نخصص لها صندوقاً لإرسالها إلى إخواننا المسلمين الجائعين في أماكن كثيرة في العالم ربما كان من أقربها إلى هذه البلاد الهندية (بنغلاديش) وبورما ونيبال إلى غير ذلك من أنحاء العالم.

يمسحون الرصيف بأجسامهم:

أنشاء العودة من (ندوة العلماء) إلى فندق (كلاركس) وكان معي في سيارة الندوة بعض الإخوة من بينهم الشيخ محمد الرابع الندوي رأينا جماعة من الفتيان قد انبطحوا على وجوههم وهم يزحفون على رصيف الشارع بشكل غريب لافت للنظر، وليس على أجسامهم إلا سراويل قصيرة جداً والرصيف الهندي كما هو معروف يكون في الغالب بعيداً عن النظافة، ولكنهم يفعلون ذلك تقريباً لأحد آلهة الهندوكيين الكبيرة ألا وهو القرد المسمى (هنومان).

قال إخواننا: إن معبد القرد هنا ليس ببعيد وقد رأيتُه بالفعل على البعد يتوسط واجهته صورة مجسمة ملتصقة بالجدار لذلك القرد العجيب بسننته القبيحة، وطلعتُه غير البهية وقد خيل إلي أنه قد أخذ يتباهى ويتفاخر وهو القرد نفسه الذي كان يضرب به المثل في القبح في أكثر

البلدان يعبد هنا في الهند، وليس ذلك فحسب وإنما يتجشم عابده المشاق حتى يرضوه ويظهروا له الإخلاص في عبادتهم مثل هؤلاء الفتيان الذين أخذوا يمسحون الرصيف بصدورهم وبطونهم وهم يزحفون عليها زحفاً حتى يصلوا إلى معبده الذي لم يكن بعيداً منهم ولكن السير أو على الأصح الزحف على البطون بهذه الطريقة صعب جداً، ولو كان على الديباج فضلاً عن أن يكون على رصيف شارع هندي تكثر فيه الحفر والنقر وقد لا يخلو من فضلات بعض الناس والحيوانات.

وقد أخبرنا إخواننا أن هناك في لكونو معبدتين للقرود أحدهما هو هذا في المدينة والثاني يبعد عنها بثلاثة كيلات، وأن ذلك قد يحدث أن يزحف بعض الهندوكيين إليه زحفاً على البطون والصدور وهم منبطحون على وجوههم وفاء بنذر يكونون قد نذروه إذا حصل لهم محبوب أو زال عنهم مكروه.

أما في الأحوال العادية فإنهم لا يذهبون إليه بهذه الطريقة، وإنما يفعلون ذلك بهذا المعبد القريب في المدينة.

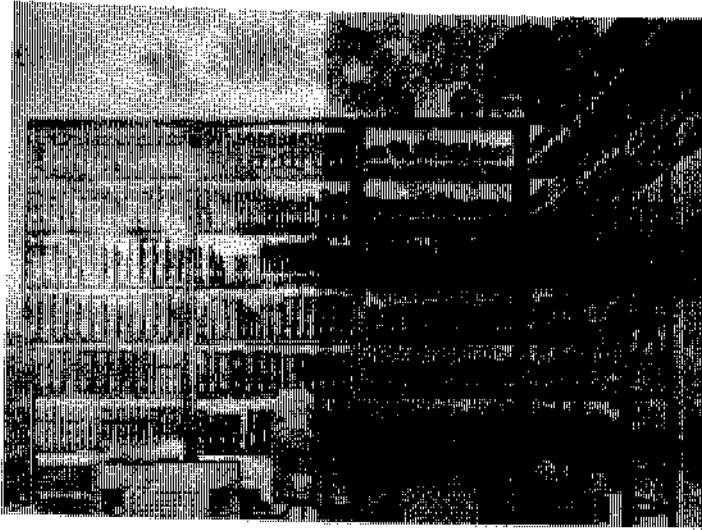
وبطبيعة الحال إن الذين يفعلون ذلك ليسوا كل السكان الهندوكيين، وإنما هم طائفة منهم رأيت بنفسي منهم عدداً.

وقلت لإخواني: لا شك في أن هؤلاء لا تشوب محبتهم لهذا القرد القبيح شائبة من الرغبات الجسدية فلو كان يزحفون ليصلوا إلى تمثال فتاة جميلة أو حتى ذكرى فتاة جميلة لكان ذلك مما قد يقدر في رغبتهم الروحية ولكنهم يفعلون ذلك مع هذا القرد فإنهم في الحقيقة إنما يزحفون ليصلوا إلى مظهر من مظاهر قبح الخلقة وإن كانوا هم في مشاعرهم يعتقدون غير ذلك، لأنهم يعتقدون أن هذا القرد هو الذي أنقذ سياتاً زوجة كبير آلهم (رام) في خرافة ليس هذا مكان ذكرها.

يوم الثلاثاء ١٩/٦/١٣٩٩هـ - ١٥/٥/١٩٧٩م:

جولة في ندوة العلماء:

بدأت هذه الجولة في الثامنة صباحاً، وكان الرفقة فيها جماعة على رأسهم الشيخ محمد الرابع الندوي والشيخ سعيد الأعظمي الندوي جزاهما الله وإخوانهما عني خيراً.



مكتبة ندوة العلماء في لكو

وبدأت بزيارة قاعة المطالعة الرئيسية في الندوة وهي قاعة واسعة ذات قبة بداخلها أي القاعة شرفات تأتي من الطابقين الأول والثاني الذين يقل ارتفاعهما عن ارتفاع القبة الرئيسية وتسمى هذه القاعة (العباسية) لأن الذي قام على بنائها شخص يسمى العباسي وقد مضى على بنائها الآن أكثر من خمسين سنة.

ويرى المرء المطالعين المستفيدين من هذه المكتبة العامرة وهم أكثر قد انكبوا على المطالعة والمراجعة وقد علت وجوههم روح الجد والمثابرة، وهم إلى ذلك ذوو مظاهر دينية واضحة وتمسك بذلك حتى لا يكاد يجد المرء فيهم من أخذ من لحيته أو عارضيه شيئاً ولو كان شاباً غض الإهاب.

وقبل أن نغادر هذه القاعة الرحبة كان السيد أبو الحسن الندوي قد حضر وقد طلب مني الجلوس على منصة للجلوس في صدر القاعة ثم أمر بإحضار الشراب البارد وفي أثناء ذلك كان ينثر فرائده وفوائده العلمية المتعلقة بالهند وأهله المسلمين في زمان غيرهم وفي محنتهم الحاضرة، وقد أهدى إليّ نسخة من كتاب مفيد ألفه والده السيد عبدالحى عنوانه (الهند في العهد الإسلامي) وكانت النسخة غير مجلدة فسألته عما إذا كان عندهم نسخة مجلدة فأجابوا: إن الأمر سهل إذ يمكن تجليد هذه نفسها بعد ثلاث ساعات ثم نادوا مجلداً كان منكباً على عمله عندهم فجلبوها وأحضرها إليّ بعد الظهر.

ثم انتقلنا إلى مكتبة تباع الكتب الإسلامية للمشتريين وأغلبها باللغة الأوردية وهي تسهم ببيع هذه الكتب في إشاعة الثقافة الإسلامية في الهند لاسيما أن بيعها لا يستهدف الربح الزائد. وقرب هذه المكتبة فصول دراسة للقسم العالي في الندوة، ولا أعرف ما هو مستواه بالنسبة إلى جامعاتنا الإسلامية.

ومن هناك انتقلنا لنرى المطبعة التي تستعملها الندوة فهي مطبعة قديمة ومبناها أيضاً يحتاج إلى تجديد ومن مشروعاتهم المقبلة معالجة هذين الأمرين كليهما.

كما مررنا بمقر المعهد المتوسط والابتدائي وهو بناء جميل من طابقين تحيطان بفناء مفروش بالحشائش المنسقة التي تدل على الذوق الرفيع، وفي المعهد المتوسط معمل جيد مجهز بالمجهر وعدد كبير من القوارير وأوزان العقاقير.



مبنى المدرسة الثانوية في دار العلوم: ندوة العلماء

ثم سرنا مع الفناء الواسع بين المباني الشامخة للندوة حتى وقفنا على بناء جديد وقوي للمكتبة العامة ولا يزال العمل سائرا في أساسه، وقد رأيتهم أكثروا فيه من الحديد حتى يخيل إليّ أن ذلك يكفي في بلادنا لبناء ذي عشر طبقات، ولكنهم قالوا: إن المياه الجوفية هنا قريبة من السطح والتربة طينية هشة لذلك لا بد من تقوية الأساس، ووضع مقادير إضافية من حديد التسليح حتى يطمئن إلى أن البناء لن يتأثر.

المجمع العلمي:

وهذا مآثر من مآثر هذا العمل الأهلي العجيب الذي لا أشك في أن الله سبحانه قد بارك فيه من واقع ما أعرفه من سير الأعمال في بلادنا العربية وقد خلعت من عمري في الأعمال الإدارية ما زاد على ثلث قرن، وفي هذه القاعة موائد ممتدة عليها أفواج المطالعين من الأساتذة والطلاب وهي تقضي إلى الخزانيتين الرئيسيتين لكتب المكتبة العامة لندوة العلماء.

ومن أطف ما فيها وأمتعته أن حيطان هذه القاعة الواسعة قد زينت بقوائم كل واحدة تحوي أسماء المبرزين في أحد الحقول الثقافية في الهند فمثلا هناك قائمة بأسماء أئمة المحدثين من أهل الهند، وأخرى باللغويين وثالثة بالأدباء، ورابعة بالأطباء... الخ.

وقد وضعت بعض المعلومات المهمة المختصرة أمام اسم كل واحد منهم والحقيقة أن ذلك تقليد مفيد جدا لو أخذ به أهل بلادنا العربية في سرد أسماء الشخصيات التي أسهمت إسهاماً فعالاً في أحد الفروع البارزة في فنون العلم.

ثم يلي هذه القوائم من جهة داخل وسط القاعة معرض لبعض نفايس المخطوطات التي تتميز بتميز عن غيرها من المخطوطات كأن تكون بخط أحد العلماء المشهورين مثل مجلد بخط السيد صديق حسن خان، أو بكونها قديمة الخط، أو جميلة التنسيق، وقد سألتهم بهذه المناسبة عن عدد المخطوطات في مكتبة الندوة؟ فأجابوا: إنها أربعة آلاف ونيف، فقلت لهم: فأقدمها كتابة ما هو؟ فأجابوا: إنه مؤرخ في ثمانين وستمائة للهجرة، وقالوا: إن مجموع محتويات المكتبة العامة من الكتب يبلغ (٧٥) ألف مجلد أكثرها بالعربية ويليهما الأردنية، فالفارسية، ثم الإنكليزية.

وكان من بين المعروضات الموجودة في المكتبة (اسطرلاب) وهو آلة معرفة النجوم عند القدماء من العرب وقد صنع في عهد الملك شاه جهان وكان ذلك في عام ١٠٥٩هـ في مدينة لاهور صنعه المنجم ضياء الدين محمد بن قائم محمد بن ملا عيسى بن الشيخ الدواد الاسطرلابي اللاهوري وهو كرة نحاسية عليه رموز واصطلاحات من علم التنجيم ومعها كالطبق المدور من النحاس أيضا مقسم على زوايا وأبعاد معينة.

وبعد القاعة انتقلنا لمشاهدة خزانتى الكتب الرئيسيتين وهما جناحان من البناية قد صفت فيها الكتب صفًا لا يتسع ما بينها إلا للمرور لكثرتها، وقد وضعوا المخطوطات في خزائن من الخشب وأغلقوا عليها حتى لا تخرج إلا بإذن من القيم عليها، وتحت مسؤوليته.



مجلات ودوريات لدار العلوم: ندوة العلماء في مكتبتها

إنه لا يقوم مثله إلا بعدد مضاعف عدة مرات من الموظفين،
وبنفقات مضاعفة عشرات المرات من المال.

وقد استقبلنا فيه القائمون عليه وقدموا قائمة ببعض المطبوعات
ونماذج من المطبوعات نفسها وهي بالإنكليزية بالدرجة الأولى تليها
العربية والأوردية.

وقد أخبرونا أنه قد أتم حتى الآن نشر زهاء ثلاثين ومائة كتاب ما
بين صغير ومتوسط الحجم، وفي أثناء ذلك قدموا القهوة ومعها شيء من
(البسكويت) وأنه قد بدأ عمله عام ١٩٥٩م.

مواصلة الجولة:

وكان ذلك على الأقدام في أفنية واسعة لا تزدحم بالأشجار التي قد
يحتاج إلى ظلها في أيام الحر في هذه البلاد الحارة، ولكنهم قالوا: إنها
كانت موجودة وكثيرة ولكن أكثرها قطع، وإن كان لا يزال بعضها قائماً
مثل بعض أشجار العمبة (المانجو) مع أن التشجير لا يكلفهم كثيراً، إذ
الماء قريب من سطح الأرض لأن موقع الدار مجاور للنهر الذي هو
عليه مدينة لكتو، ويوجد في فناء الدار بئر يستقون الماء منها لحاجات
سكان الندوة الذين هم في الحقيقة كسكان قرية صغيرة في غير بلاد الهند
التي تعد المدن الكبيرة في غير بلادهم بمثابة قرى.

ومررنا بالمطعم فإذا بأكوام من الأخشاب التي أحضروها
لاستعمالها في الوقود لأن الغاز عندهم ليس بموجود ثم مهاجع للطلبة،
وببناء جديد جميل لم يكتمل بعد قالوا: إنه مهاجع جديدة للطلبة.

وقرب مهاجع الطلبة كان مقر جمعية الإصلاح الطلابية وقد كتب في حديقة صغيرة من ميدان أمامها بالأزهار والحشائش كلمة (الإصلاح) وهي من الأوردية التي وافقت العربية.

وهناك أبعد من هذا المكان في الندوة طائفة من مساكن الأساتذة إلا أنها فيما أخبرونا غير كافية، ويأملون في أن يتمكنوا من زيادتها في المستقبل.

وكان مسك الختام لهذه الجولة على أقسام ندوة العلماء التي هي جولة في أفنيته صعدنا إلى سطح أحد مهاجع الطلبة لاستجلاء المنظر العام من هناك.

وكانت أرضها تبدو على سعتها غير كافية لأقسام الندوة إلا أن الأرض المجاورة لها التي ربما يحتاجون إلى شرائها يقوم على بعضها مساكن لبعض الهندوكيين الذين قد لا يرغبون في بيعها للندوة لئلا تتوسع وتزدهر وهذا ما لا يريدونه.

عيد القرد:

هذا اليوم يسمى (عيد القرد) ويوم القرد وقد عطلت المدارس الحكومية والمؤسسات الرسمية في منطقة لكنو بهذه المناسبة (القردية) وليس ذلك عامًا في الهند.

وليلة البارحة لمحت معبد القرد ورأيت الذين يذهبون إليه زحفاً من فوق الأرصفة، وفي صبيحة هذا اليوم تجلّى الاحتفال بالقرد فقد تجمهر أعداد كبيرة من الناس حول معبده الذي يضم تمثاله بينهم نسبة من

الطلاب الذين عطلت مدارسهم من أجله، وأكثر الناس رأيتهم من بعيد وهم يدخلون معبد القرد ويقرّع الواحد منهم جرساً من الصفر معلقاً وبعضهم يضم كفيه أحدهما إلى الآخر ويضعهما أمام وجهه علامة التحية، ولم أر غير ذلك من الخارج إذ لا يسمح بدخول الأجانب إلى هذا المعبد وبخاصة لمثلي الذي يرتدي الملابس العربية، وفي هذه الأيام المشحونة بالاضطرابات الطائفية في بعض البلدان الهندية وقد وقف عدد من الجنود وسط الحشود مما يلي الرصيف خارج المعبد حتى يحافظوا على النظام بين هذا الجمهور الذي لم يقتصر الحضور إليه على غرض العبادة وإنما جاءت طوائف من الناس لغرض آخر قد يكون مع عبادة القرد وقد يكون وحده مثل صف طويل من المستجدين و(الشحاذين، الحفاة الأقدام، النحيفي الأجسام، المتسخي الهندام إن كان ما عليهم يصح أن يطلق عليه الهندام.

ومثل طائفة من باعة المأكّل الرخيصة غير النظيفة، إلى غير ذلك وأحدهم رأيتّه ينفخ بمزمار له يشبه الناي أخبرت أنه من الآلات التي يتعبدون بعزفها لهذا القرد وغيره.

ورأيت سائر الناس من المتعبدين وبخاصة من النساء يخرجن وقد وضعت كل واحدة منهن لطحّة من صبغ أصفر بين عينيها علامة على أنها قد نالت شرف العبادة فيه، وبعضهم رأيتّه يقدم الماء البارد للمارة تبرعاً بهذه المناسبة.

وقد أصبح المرور صعباً في هذه النقطة من الشارع بسبب كثرة الأدميين وكثرة الدراجات وعدم مبالاة بعضهم أو عدم وعيهم بأداب المرور.

إلى حديقة الحيوان:

من معبد القرد إلى حديقة الحيوان في (لنكو) كان طريقنا يمر بشارع تجاري اسمه (حضرة كانج) مسفلت نظيف يفصل بين طريق الذهب والأيب فيه رصيف ضيق جداً منقط بأبيض وأسود ويزدحم بالدراجات العادية وعربات الركشا التي تؤجر للركوب وبعض الدراجات النارية وكان مزدحماً بذلك ازدحاماً شديداً بحيث أنني لاحظت أنه عندما أضيئت إشارة المرور الحمراء كان ما قبلها قد امتلأ بحيث يصعب المرور من خلاله، ولكن لم يكن في ذلك كله إلا سيارة واحدة هي سيارة (ندوة العلماء) التي نركبها، أما بقية العربات التي أغلقت دونها الإشارة فكانت من الدراجات بنوعها (الركشا) الذي هو الأكثر والعادية والنارية.

وقد لاحظت ذلك عند إشارة مرور ثانية فلم يكن في الموكب المزدحم سيارة أخرى غير سيارتنا رغم الزحام الشديد بالدراجات التي تضايق المرور كما تضايقه السيارات أو أكثر لأنها تلجأ إلى المرور مع الممرات التي يسير فيها المشاة، وهي كذلك تطلق نفيها الذي يكون في بعض الأحيان مزعجاً، ويكون الأمر أكثر إزعاجاً من جهة السيارات الموجودة لأنها بسبب قلتها ليس عند الناس وعي بشأنها فيظل سائقها يطلق نفيها بصوت مستمر مزعج، وإذا لم يفعل ذلك لم تبعد الدراجات والمشاة عن طريقه بل لا بد من أن يلح عليهم في ذلك مع أن صوته عالٍ يكونون بالضرورة قد سمعوه من قبل.

وصلنا (حديقة الحيوان) التي هي في البلدة نفسها وليست في ضاحية من ضواحيها، أو ربما كان ذلك في القديم فأمتدت إليها العمارة.

وبقينا فترة عند شباك التذاكر لأنه كان عليه زحام بسبب عطلة المدارس والمصالح الحكومية هذا اليوم من أجل (عيد القرد) ثم جاء الأخ عمر الفاروق الندوي الذي كان معنا بتذاكر أربع لنا كل تذكرة قيمتها (ستون بيذا) أي: ربع ريال سعودي والبيزا هي الجزء الواحد من المائة من الروبية.

إن أول ما يرى المرء فيها طائفة من الغزلان الشبيهة بالغزلان العربية، ثم زوجاً من حمار الوحش المخطط المسمى بحمار الزرد، ثم بركة آسنة المياه غير بهيجة المنظر فيها بط كبير الحجم.

وحَوْشاً آخر فيه بقر الوحش وهو صغير الحجم بالنسبة لما هو معروف منه في أماكن أخرى، وبركة ماء أخرى فيها طيور كبيرة جداً أشبه بطيور الرهو يسمونها (سارس) وقال أحد مرافقينا إن الهنادك يقدسونها وإن المسلمين إذا أمسكوا بها ذبحوها وأكلوها.

وبينما كنا نتجول في الحديقة وأياً كان القفص الذي نقف عنده أو نسير حوله فإننا لم نفقد الطائر الهندي الذي حلت البركة في أفراده أكثر مما حلت في أي طائر آخر يطير إلا وهو الغراب فهو هنا كما في عموم الهند يسرح ويمرح، وينعب ويصرخ، يكاد يغلب بذلك أي صوت يصدر من أي مخلوق في هذه الحديقة حتى قطار الأطفال الذي يسير فيها.

وقد لاحظنا أن الحديقة غير جيدة النظافة، بل هي قذرة في أكثر الأحيان، وبخاصة ما كان من ذلك حول أقفاص الحيوان، كما أن الأعشاب فيها غير منسقة، ولا تلقى العناية اللازمة.

وفي ركن آخر من الحديقة وقفنا عند الوعول، وأنواع كبيرة من الغزلان، ثم عند دب ضخم أسمر اللون وآخر أسود صغير الحجم.

أما أشد الزحام فإننا شاهدناه عند قفص الأسود التي هي من أقل ما يهمننا أن نراه لأنها مألوفة لنا وهي موجودة بكثرة في حديقة الحيوان بالرياض.

ولكن الشيء الذي أعجبنى جداً ولم أشاهده بهذه الكثرة وهو يتناول غذاءه من الأسماك الصغيرة طيور البجع جمع بجعة البيض الكبيرة الحجم وهي في بركة كبيرة قد وضعوا فيها أعداداً من الأسماك الصغيرة التي هي في حجم كف الإنسان، وهذه الطيور تلتقطها بمناقيرها غير الرشيقة حتى تكاد تغلت منها فإذا لم تستطع البجعة أن يتسع منقارها لهذه السمكة فإنها تستعين بقسم مطاط في حلقها تضع فيه السمكة بمثابة المرحلة الأولى لابتلاعها، ثم بعد ذلك تبتلعها وهي في كل ذلك تجاهد حتى تمسك بالسمكة دون أن تسقط منها، وذلك كله في حركة ثقيلة بطيئة.

وفي مكان آخر كان هناك زوجان من الجاموس البري لا يختلفان عما رأيته منها في إفريقية إلا في الحجم لأن هذا الهندي أصغر قليلاً.

وبعدها وصلنا إلى حوض من الماء يطل عليه المرء من علو قليل، ويسبح فيه كلب البحر، أو القندس كما كان يسمى في بعض البلدان العربية في القديم، وهو حيوان يعيش في الماء وخارجه، ويتغذى على الأسماك وأكثر ما يعيش في المياه العذبة.

بين القرد الذي عبده، والقرد الذي قيده:

بينما كنت أفرج مع رفقائي على أنواع القرود المحبوسة داخل أقفاصها في هذه الحديقة، وهي حية تسعى وتلهو ذكرت تمثال القرد (هنومان) في معبد القرد الذي مررت به اليوم، ومن أجل عيده عطلت الدوائر والمدارس الحكومية أعمالها، وكيف ينظرون إلى هذا القرد الحي

الذي لم يستطع أن يخلص نفسه من قيوده وأسرته، فكيف ينفع غيره؟
وإنهم إن فعلوا ذلك قد يعرفون أن التقرب وطلب النفع من القرد الميت
أو الصنم القردى هو من أبعد الأشياء عن العقل، لاسيما إذا ذكرنا القصة
التي يروونها عن الكيفية التي أصبح بها ذلك القرد مقدساً عندهم.

والقرود الحبيسة هنا أنواع إلا أن أكثرها مألوف ما عدا وأحداً
كبيراً أسود قالوا: إنه إفريقي، وآخر أحمر أصغر منه كتب عليه: إنه
عربي، ولعل المراد بذلك أنه مجلوب في الأصل من البلاد العربية
الجبالية التي تكثر فيها القرود كبلاد اليمن، وهناك قرد صغير من النوع
الذي يسمى قرد (مدغشقر).

الطاووس بدون ألوان:

من أغرب ما رأيته في هذه الحديقة نوع من الطاووس الأبيض
الذي لا يخالط لون ريشه لون آخر غير البياض، ومع ذلك فهو
كالطاووس المعتاد ذي الريش الملون في الحجم، وفي المظهر وفي كل
شيء، حتى إنه إذا سار منتشياً متبختراً قد نفش ذيله وجعله على شكل
المروحة، فإنه يبدو وكأنه لا يقل جمالاً وروعة عن الطاووس العادي
الملون إذ هناك في ريشه زغب صغير ينكسر عليه الضوء فيصير لامعاً
ذا منظر بهيج.

وعلى ذكر الطاووس الأبيض غير الملون أو ما يصح أن يطلق
عليه باللفظ العامي (سادة) وهي كلمة ساذج في الفصحى هناك طائفة من
الطيور الملونة البهيجة الألوان منها ببغاوات كبيرة وصغيرة وطيور برية
صفرة وخضرة.

ومن الغريب أنهم قد وضعوا قفصاً في مساحة معينة للأرانب البيض الأهلية التي توجد في أكثر البلدان مثل ما يوجد فيها الدجاج وليست غريبة الشكل أو لافتة للنظر، ولكن الناس هنا يقفون عليها، ويتفرجون برؤيتها.

والأغرب من ذلك أنني رأيتهم قد عرضوا جماعة من الوبر وهو حيوان جبلي حجمه أصغر من الأرانب بمقدار النصف ولا يبعد في الشكل عنها كثيراً إلا أن قوائمه قصيرة وهو معروف عندنا في نجد كان يصطاده الناس، وقد أصبح نوع منه يربي الآن في البيوت مثلما تربي الأرانب، ولكنهم هنا قد كتبوا عليه إنه (خنزير كذا) مع العلم بأنه صغير ولا يمت إلى الخنزير بصلة ولعل هذه تسميته غريبة خلعوها عليه لعدم معرفتهم باسم له خاص عندهم.

وكان أسفنا بالغاً عندما رأينا متحف الحيوانات المحنطة في الحديقة مغلقاً بعد أن سرنا إليه في شمس تحرق الرؤوس حتى تأثرت صحتي من السير فيها في قافلة هذا النهار الصيفي في الهند مع أن المطر كان قد هطل في الليلة البارحة فلطف الجو وأذهب الحرارة الشديدة وذلك لأول مرة هذا العام بعد موسم الجفاف مما حمل إخواني في الندوة على مجاملتي بقولهم: لقد نزل المطر عند قدومكم لأول مرة فتلطف الجو، وانكسرت حدة الحر فقلت لهم شكراً على ذلك، ولكن لا تنسوا أن قدومي إلى (بنته) كان قد سبب اشتداد الحر إلى درجة لم يكونوا قد رأوها منذ أيام بل منذ عام، هذا إذا كان لقدوم أحد، أو رحيله علاقة بالجو، وليس له علاقة به بطبيعة الحال.

إلا أن الشمس في هذه البلاد الهندية الحارة هي الشمس سواء هطل المطر أم لم يهطل فهو تحرق الرؤوس وتؤذي الأجسام بدليل أنها قد فعلت بأجساد أهلها ما أصبحوا به يعرفون بين سائر الأنام.

دور الحيات غير الحيّة:

في الحديقة قسم للحيات والأفاعي إلا أن أكثر الآبار المخصصة لها أو الخزائن التي توضع فيها داخل الحيطان لا يوجد فيها حيات مع أن آثار وجودها كانت ظاهرة، وهي هنا بحالة مزرية من عدم العناية والاهتمام مثلها في ذلك مثل منظر بعض أقسام الحديقة في الإهمال من النظافة، وكثيراً ما كان يضايقني ما أجده من رائحة كريهة لأماكن الحيوانات سواء من فضلاتها أو من الأرض المحيطة بها.

على أن أهم ما يرى هنا زوجان من الحيات الرقط الكبيرة قد انطوت كسل واحدة منها على نفسها مرتين مرة عندما انطوت انطواء حسياً فكورت نفسها في عدة طيات، والأخرى عندما انطوت على نفسها انطواء معنوياً فاخترت زاوية من زوايا دارها منفردة عن شريكها أو زوجها فيها، دون أن نحس منها أدنى حركة أو رغبة في الحركة.

ومن الطف ما وضعوه في قسم الحيات أنني رأيتهم قد نحتوا تمثالاً لساو وهو الرجل الذي يصطاد الحيات ويجعلها ترقص وتلعب وقد وضعوا أمامه حية كأنها ترقص.

وأسرعت بعد هذه الجولة الممتعة المتعبة بسبب الحر والشمس إلى غرفتي في الفندق أستريح.

وكان همي في كيفية مغادرة لكنو في هذا اليوم لأنني أكون قد قضيت منها ما أردت وقد أخبرت من قبل أن الحجز في الطائرة فيه صعوبة لأن الطائرة تأتي مليئة من كلكتا وبنته ولكن إخواني وعدوني بأن يحاولوا في الأمر ما وسعهم ذلك.

إلا أنني عندما أرسل السيد أبو الحسن الندوي جزاء الله خيراً السيارة إلى لتناول طعام الغداء معه كما هي عادته التي لم يتركني فيها أكل عند غيره أخبرني الشخص المؤكل بالسعي للإركاب أنه لم يستطع الحصول على مركب لي بالطائرة، وأن عدد المنتظرين كثير، وأنه لم يبق لهم من المحاولة إلا أن يتصلوا بأحد المسؤولين، فقلت لهم: إن هذا أمر لا نريده جميعاً لأن معنى ذلك أن نظلم غيرنا، لأنهم إذا استجابوا لرغبتنا فإن ذلك سيكون على حساب غيرنا ممن حجزوا قبلنا وهذا أمر لا نريده.

وقالوا: إنه إذا لم يتيسر السفر بالطائرة فيمكن أن يكون ذلك في القطار فالدرجة الأولى فيه مكيفة، وفيها سرر للنوم، وهو يسافر في التاسعة والنصف من لكنو ويصل إلى دهلي في الثامنة صباحاً، فقلت لهم: هذا مناسب لأنني يهمني أن أحاول السفر إلى مدينة سرينقر عاصمة كشمير في صباح اليوم نفسه لأن الطيران إليها كله في الصباح، ومعنى هذا أنني إذا لم أسافر إلى كشمير صباحاً فإنني سوف أبقى يوماً آخر في دهلي وهذا ما لا أريده لأنني لست بحاجة إليه.

جلسة عمل:

بينما كان الطعام يعد للتقديم في (ندوة العلماء) وقد دعا السيد أبو الحسن الندوي إليه طائفة من المشايخ والعلماء جزاء الله خيراً، ذهبت معه إلى غرفة خاصة فتحدثنا حديثاً خاصاً حول الحالة الحاضرة لإخواننا

المسلمين في الهند، وكان حديثه مفيداً لي لأنني أثق بتقديره للأمور، وعدم مبالغته في وصف ما يصيب المسلمين في هذه البلاد، وقد استرسل في الحديث وطلب مني أن أبلغ المسئولين في المملكة الحالة الحاضرة التي شاهدها، وعرفتها بالوسائل المختلفة التي أراها والتي هي من طبيعة عملي كما يعرفه عني.

فشكرته على ذلك وأطلعته على بعض الكتابات السرية التي سلمها إليَّ بعض المسلمين حول هذا الموضوع.

إمام بارا:

ومعناه (مبنى الإمام) وهو بناء عجيب بناه أحد أمراء الشيعة الذين تناوبوا على حكم مدينة لكنو وما حولها فترة من الزمن، كأنما كان هذا الحاكم الشيعي يريد أن ينافس بناء تاج محل الذي بناه أحد ملوك المغوليين العظام الذين هم من أهل السنة، أو كأنما بناه لينافس مسجداً شهيراً هناك يقع إلى الشمال الشرقي من هذا البناء اسمه (بير محمد جامع) ويعتبر معقلاً من معاقل أهل السنة هنا، هذا إذا لم يكن الدافع إلى ذلك هو إظهار شعار المذهب الشيعي هنا ليس غير، وعلى أية حال المهم في الوقت الحاضر هو البناء نفسه.

وقد بناه آصف الدولة بن شجاع الدولة تذكراً للحسين بن علي رضي الله عنه وكان بدأ بعمارته في عام ١٧٧٣م وانتهى منها في عام ١٧٨٤م أي استغرق العمل في بنائه إحدى عشرة سنة، والحقيقة أنه بالنسبة إلى وسائل البناء في ذلك العصر، وإلى ضخامة المبنى نفسه فإن المدة المذكورة ليست كثيرة عليه.



مسجد إمام بارا

إن المبنى هو مجموعة من الأبنية ذات القباب العالية، والمنابر المتعددة وأظهر ما فيها قباب الحسينية وهي المسجد لأهل المذهب الشيعي، يصل بين ذلك كله أفنية يدخل إليها من بوابات عالية محكمة البناء، وقد أعترض شارع قديم بين المبنيين فأنشأ بانيه بواية ضخمة، بل هائلة البناء اسمها الرومية نسبة إلى أنها ذات طراز رومي، والحقيقة أنها ليست كذلك فطرازها مثل غيرها هنا هو الطراز المغولي الذي يميل أكثر إلى طراز البناء العربي المملوكي أي الذي ازدهر في عصور المماليك.

دخلنا مع البوابة الرئيسية إلى فناء واسع قد نسقت فيه الزهور وأحاطت به أروقة ذوات طابقين وأقواس جميلة البناء، إلى أن وصلنا إلى درج عالٍ يفضي إلى فناء مكشوف آخر الظاهر أن علوه بسبب طبيعة الأرض لأن البناء قائم على ربوة مرتفعة، وذلك البناء مفروش بالحجارة المهدبة التي هي كالرخام في صقل جميل.

وهنا وصلنا إلى درج المدخل إلى البناء الذي يشبه المسجد على البعد وما هو بالمسجد فاخترنا دليلاً من أهل لكنو الذين هم أعرف بشعابها.

قال الدليل وهو يرينا القاعة التي تلي المدخل وهي مسقوفة: إن مهندس هذا البناء هو إيراني اسمه (كفاية الله) وإن عرض هذه القاعة التي تلي المدخل هو ٤٠ قدماً وطولها ١٣٠ قدماً وليس فيها خشب أو أي شيء آخر وإنما هي بعقد معقود من الأجر الأحمر الصغير، ولكن الذي أقامه وجعله يبدو متماسكاً قوياً لأكثر من مائتي سنة هو دقة الهندسة، وجودتها وقال: إن عرض جدار البناء هو (١٥) قدماً.

وقال: إن هناك ألف طريق في الطابق الثاني من هذا البناء، وإنه لا يهتدي إليها إلا خبير وقد عملها آصف الدولة حتى يتمكن من تضليل الذين يريدون به سوءاً، وإنه بلغ بها الأمر أن ناساً دخلوها من غير دليل فهلكوا فيها ومنهم بعض الإنكليز في أول دخولهم للبلاد لأن بعضها مظلم لا يدري المرء إلى أين يهتدي للخروج منه.

وفي جنوبيه قاعة في شرفة داخلية فيها عالية كانت زوجات هذا الحاكم وغيرهن من نسائه يجلسن فيها يستمعن الوعظ من الشيخ الذي يكون في الأسفل حوله الرجال.

أما القاعة الرئيسية الكبيرة التي هي بمثابة المصلى الرئيسي في المساجد العادية فإنها كبيرة يبدو سقفاها كداخل القباب العالية إلا أن ظهره مسطح من فوق، وكان فيه نقوش وزخارف عليها صحائف ذهبية قال الدليل والمرافقون الذين معي: إن الإنكليز أخذوها عندما حكموا هذه البلاد.

وأهم ما فيها إن لم تكن قد بنيت له فقط هو ما سماه الدليل لنا بلفظ

(التعزية) العربي وهو تمثال لقبر الحسين بن علي رضي الله عنه الموجود في كربلاء بالعراق، وهو مبني من خشب الصندل الغالي ومطلي بطلاء أبيض لامع، وهو بمثابة المحراب في وسط مقدمة البناية، وأمامه قبر صاحب البناء (أصف الدولة) وهو لاصق بالأرض محاط بحاجز من الخشب ويحيط به شمعدانات نحاسية كبيرة بعدها أحران صغيران وقد انتقلنا بعد ذلك إلى قاعة شمالية تقابل الجنوبية إلا أنها على شكل ثمرة البطيخ الشامام الذي يسمى في الحجاز الخريز ويسمى في لغة أهل هذه البلاد (الخربوز) وهو غير بعيد عن اللفظ الحجازي، لأن أصل التسمية من الفارسية فيما أعلمه، أما القاعة الجنوبية فإنها تسمى (الصينية) ليس لأنها منسوبة إلى الصين ولكن لأنها بنيت على شكل الصينية وهي الطبق الذي يقدم فيه الشراب وأنواع معينة من الطعام.

ووجدنا في ركن البناء الشمالي (تعزية) على حد تعبير المراقبين، وهي تمثال لقبر الحسين تسمى (تعزية العجوز) قال الدليل: إن سبب وجودها هنا هي أن الحاكم احتاج إلى أرض هذا المكان وكانت تملكه امرأة عجوز فلم ترض أن تبيعه له بالمال، رغم محاولته ذلك، وإنما رضيت أن تعطيه إياه بالمجان بشرط أن يضع فيه تعزية باسمها، وهكذا كان.

إلى الطابق العلوي:

قال لنا إخواننا: إن رؤية الطابق العلوي مهمة جداً، وإن كان الصعود إليه صعباً ودفعنا التذاكر لكل واحد روية واحدة وقادنا الدليل إلى درج عالٍ شبه واقف حديث البناء قد وضعوا بجانبه في الحائط قضيباً من الحديد يستعين به الصاعد التعب على الصعود.

وعندما وصلنا إلى الطابق أو قبل أن نصل لا ندري فإننا وجدنا ممرات في الجدار تتسع لشخص واحد بدين وتسمح بمرور اثنين إذا التقيا وهذه الممرات التي هي داخل الجدار في الحقيقة هي تهبط وتصعد وتلتوي وقد وضعت لبعضها كوى- جمع كوة- إلى القاعة الرئيسية لتسمح بالهواء دون أن يكون في ذلك خطر من أن يدخل منها أحد لأنها ضيقة ولأن موقعها عالٍ، وأحيانا لا يكون في الممر نور، فلا يهتدي المرء إلا بنار أو نور يضيئه ، وهي لهذا الأمر أعدت، إذ ينزل من هذه الأماكن المظلمة أو يصعد درج يفضي إلى أماكن مجهولة لا يعرفها إلا أهلها الخبراء بها، قال الدليل: إن الملك أو الحاكم أصف الدولة صنع له ذلك حتى لا يدركه من يستطيع أن يصيبه بأذى.

والأغرب من ذلك أن بعض الزوايا البعيدة تسمع فيها أدنى حركة ممن يمرون بها حتى صوت التنفس وقد أرانا الدليل مثلا على ذلك بأن ذهب في أحد الممرات واختفى فجعلنا آذاننا على الجدار وكان قال إنني سوف انتفس فإذا سمعتم صوت تنفسي فتتفوسوا أنتم حتى أسمعهم ويكون هو الجواب على تنفسي، وقد وضعنا آذاننا على الجدار فأسرع أصحابي يقولون: إنهم سمعوه أما أنا فلم أتيقن منه ولعل ذلك بسبب ضجة كانت تصدر عن جماعة من الزوار غير بعيدة منا.

ثم صعدنا مع الدرج إلى طبقة ثالثة ثم إلى السطح العلوي ويشرف على ما حوله في منظر رائع، إذ ترى منه مناظر مبان ضخمة قد حافظ بانوها على المسحة الجمالية فيها مع القوة، ومن أبرزها مسجدان أحدهما اسمه (المسجد الأصفي) أو الحسينية نسبة إلى أصف الدولة هذا وهو للشيعنة والآخر أقدم منه اسمه (بير محمد جامع) أي: جامع بير محمد،

وقد بني في عهد الملك أورنزيب، وهذا المسجد مشهور في المنطقة ومن أهم الحوادث فيه أن السيد أحمد الشهيد خطب فيه بقوم من الشيعة وبين في خطبته مذهب أهل السنة ومذهب الشيعة فرجع على يده قوم عديدون منهم إلى مذهب أهل السنة.

وقد عرفنا أنه قد حدثت اضطرابات بل وقتال طائفي بين السنين والشيعة في هذه البلاد، وهو أمر مؤسف وبخاصة في هذه العصور التي أصبح فيها المسلمون على اختلاف طوائفهم أقلية من الأقليات التي لا حول لها ولا طول.

أما المسجد الأصفي فإنه فاخر البناء ذو طراز مغولي يغلب عليه الطابع الفارسي وقد بني على تلة مرتفعة يصعد إليه من درج طويل جداً يفضي إلى بناء مفروش بالمرمر، ثم يفضي ذلك إلى المسجد.

وعندما انتهينا من هذه الجولة نقدنا الدليل عشر روبيات هندية وهي حوالي أربعة ريالات سعودية فأظهر امتنانه لذلك بأن حنى رأسه إلى الأمام علامة التحية والاحترام.

إلى جامع بير محمد:

كان إخواني ونحن قاصدون إليه بعد أن رأينا بناءه على البعد يحدثوني عن أهميته للمسلمين من أهل السنة في القديم حتى وصلنا إليه في منطقة كلها تعتبر منطقة أثرية لذلك لم يبن حولها بناء حديث، وإنما هو المسجد ومرافقه ثم ساحات شاسعة مفروشة بالأعشاب المنسقة وقد وضع على بعضها مقاعد حجرية لمن يريد الجلوس.

والمسجد بني فوق ربوة عالية يصعد إليها من درج قديم هناك وهو ذو منائر مغولية الطراز مبني بالحجارة القوية، ومما يؤسف له أن في الجهة الشمالية خلف المسجد قبة بنيت على قبر (بيير محمد) الذي بنى المسجد.

وقد رأيت حوله جماعات من السكان من المسلمين يظهر لي أنهم من القائمين على شؤون المسجد، ورغم أن المسجد على تلة مرتفعة فإنني رأيت بئراً قربها عندها رجل يخرج الماء منها بدلوا يشرب منها القادمون وقد عرض علي أن أشرب فلم أقبل ذلك، وقد رأيت البئر مطوية بلبن الأجر طياً محكماً مستديراً يبدو أنه أكثر بقاء واتقاناً من الطي بالحجارة.

ودخلنا المسجد فوجدنا جماعة يصلون على حصر مفروشة في ركن منه أما باقيه فإن حصره مطوية وهو ليس واسع المساحة من الداخل. ويبدو داخله متقن البناء في غير إسراف.

ويقع المسجد على الضفة الغربية لنهر (قمتي) الذي هو نهر لكنو وهو بطرازه وبنائه أثر خالد من الآثار الإسلامية ويقابله من جهة الجنوب الشرقي جسر أثري قديم من الآثار الإسلامية أيضاً، إذ مضى عليه فيما قال لنا مرافقونا أكثر من ثلثمائة سنة وما زال على هذا النهر تمر فوقه الآن سيارات الشحن المحملة، ولم يتضعض، ولم يحتج إلى تعمیر مع أن وسائل بناء الجسور في تلك العصور كانت محدودة جداً كما هو معروف ويسمى هذا الجسر (بل شاهي) وبل: معناها جسر فهو إذا الجسر الملكي، لأن شاهي هي الملكي أخذاً من الكلمة الفارسية (شاه) بمعنى ملك، وقد صادف مرورنا بسيارتنا فوق هذا الجسر على نهر

(قمتي) بالتاء لا بالنون لأن نهر قمتي بالنون هو الذي عليه مدينة دلهي عاصمة الهند وهو غير هذا النهر وأكبر منه صادف أن قابلتنا قافلة من سيارات الشحن العسكرية محملة بالجنود وهي تمر متصلة بهذا الجسر الإسلامي القديم دون أن يتأثر بذلك.

النصب التذكاري للجنود:

ولم نكد نفارق هذه المنطقة الأثرية الإسلامية حتى وقفنا عند النصب التذكاري لمن أسموهم بالشهداء وهم الذين قاتلوا في مقاومتهم للإنكليز قبل الاستقلال، وقد بني حديثاً على شكل مسلة تتوسط مربعاً مرتفعاً وتحيط بها أربعة تماثيل لرؤوس أربعة من الفيلة وقد رفعت خراطيمها إلى أعلى.

ويحيط به من الأسفل حديقة منسقة فيها مقاعد للجلوس، وأشجار منسقة وهي على الضفة الغربية لنهر قمتي يقابلها تماماً من الجهة الشرقية ذلك الصرح الإسلامي العريق في هذه المنطقة وهو (ندوة العلماء) وترى مبانيها من هذا المكان واضحة، وقد رأيت قوارب صغيرة يجدف بها عامل بيديه تنقل الركاب بين الضفتين قال لي الأخ عبدالله الحسني الندوي أحد من كانوا معي: إن أجرة ركوب الشخص فيها هي ربع روبية أي: قرشان من عملتنا السعودية.

مساء لکنو:

عدت إلى الفندق قبل الغروب وأخذت استجلي من نافذتي مناظر الناس وعربات الركشا التي تزدهم بها الشوارع وأرتال الجواميس التي

خرجت في هذه الأمسية اللطيفة التي هطل مطرها قبل أوانه فلطف الجو،
أو كأنها خرجت لتشارك الغواني اللاتي ضرب بهن المثل لمساء لكنو .

وعلى ذكر الغواني في هذه المدينة أقول: إن أهلها يبذون من
الجنس الهندي الوجيه الذي نعرفه في بلادنا فهم لم يخرجوا من الطابع
الهندي العام، ولكن ألوانهم أكثر بياضاً من ألوان سكان الجنوب في ولاية
(ناميل نادو) مثلاً الذين يسمون (دراور) وأكثر وجاهة واستقامة في
التقاطيع من أهل الشرق في البنغال وما حوله، إلا أنني لم أر على وجوه
الغواني فيها ما يستحق أن يضرب به المثل في الحسن إلا إذا قلنا إن
الحسن أمر نسبي، وهو كذلك.

وعندما حان وقت الصلاة بعد غروب الشمس صليت المغرب
والعشاء جمعاً وكانت الساعة قد بلغت السابعة والنصف وهتف بي أحد
الإخوة من ندوة العلماء فأخبرني أن الحجز في الدرجة الأولى من القطار
قد تم أمره، وأن الشيخ أبا الحسن ينتظرني الآن وأن الأفضل أن أعد
أمتعتي لأننا من هناك سوف نذهب إلى محطة القطار .

فصدعت بالأمر وجاءت السيارة وودعت أهل فندق كلاركس
وودعني الموظفون في مكتبه وفيهم فتاة مرحة الطبع، واسعة العينين
شاعت أن تجاملني ربما كان ذلك لكونها رأت جواز سفري (دبلوماسياً)
أو لأن بعض إخواني قد رفعوا من قدرتي عند هؤلاء حتى لا يقصروا في
شيء من أمر الخدمة فيه، وهذه الفتاة هي من القليلات في الهند التي
ترى عيني فيها شيئاً من الجمال لأن الجمال نسبي كما قلت، ولكن هذه
وهي تودع مع غيرها وبحضور إخواني المرافقين سألت وعلى فمها

ابتسامه غريبة الدار في هذه البلاد التي لا تنتشر البسمة على وجوه أهلها وهم يحدثون الغريب أو حتى يحدث بعضهم بعضاً فقالت: ما رأيك في لكنو؟ وعسى أن تكون قد أحببتها، فأجبت بين عجب من مرافقي من الشيوخ الذين لا يتحدثون مع مثل هذه الفتاة الشابة كثيراً: نعم، لقد أحببت أهل لكنو أكثر مما أحببتها هي وكان هذا هو الصحيح.

وعندما وصلت إلى ندوة العلماء وجدت الشيخ أبو الحسن حرسه الله وزاده من الخير قد أحضر طائفة من المشايخ والوجهاء عنده ومنهم الوزير المسلم محمد مسعود وزير الأوقاف والإسكان في ولاية (إتراباديش) وهي ولاية يبلغ عدد سكانها كما قلت (٩٣) مليوناً، ولكن أهميتها في كل شيء لا تصل إلى أقل كثيراً من ذلك العدد.

وسألت وزير الأوقاف في هذه المناسبة والشيخ أبو الحسن يسمع مع طائفة من المشايخ عن أوقاف المسلمين وما هو موقف الحكومة الهندية منها؟ فأجاب: إن الحكومة الهندية لا تتدخل في شؤونها مطلقاً ولم يحدث أن صادرت منها أي شيء، وسألته عن أهل الأديان الأخرى مثل الهندوكية التي هي ديانة الأكثرية في هذه البلاد: أ لهم أوقاف كما للمسلمين؟ فأجاب: نعم ولكن ذلك على نطاق ضيق جداً.

وعلق الشيخ أبو الحسن الندوي على ذلك بأن الحكومة الهندية لا تتدخل في أوقاف المسلمين وإنما لها لجنة خاصة تنظر فيها، وعدم الاستفادة منها استفادة كاملة يرجع إلى المسلمين المشرفين عليها إذ إنهم لو استفادوا منها كما ينبغي لأنفقت على كثير من المدارس والمشروعات الإسلامية في هذه البلاد.

وقال الشيخ أبو الحسن: إن الأخ محمد مسعود هو وزير الأوقاف وشؤون الإسكان في هذه الولاية في الوقت الحاضر، وكان قبل ذلك وزيراً للمواصلات في الولاية، ولذلك هو يعرف أكثر من غيره هذا الأمر.

وأضاف الشيخ أبو الحسن: لقد جاء لتحييتك عندما علم بقدمك فشكرت لهما ذلك وقلت: إنني لا أود أن أجسمه مشقة الحضور ولو كنت أعلم بوجوده قريباً مني لذهبت للسلام عليه فعلق أحد الإخوان الحاضرين وقال: إننا عندما لم نستطع الحصول على مكان لك في الدرجة الأولى من قطار هذه الليلة اتصلنا به نطلب منه المساعدة في ذلك حذراً من أن يكون أحد من الموظفين قد تلاعب بالأماكن، فتدخل في الأمر وحجز لك مركباً أو على الأصح سريراً للنوم في القطار، وإنه لهذا السبب علم بوجودك فجاء.

هذا وقد أسرع الشيخ أبو الحسن يدعو الجميع إلى قاعة الطعام في الداخل وهي قاعة مفروشة يستند الجالس فيها على الأرض إلى أرائك خلف ظهره لمن هم في مقمة المجلس فمدوا السماط وأحضروا الطعام المبارك فكان شهياً بورك فيه أكل منه عدد منهم وكنت من بينهم إذ أكلت بشهية لا أدري مصدرها أهو طيب الطعام، أم اعتقادي بطيبه أم الأمران كلاهما.

وبعد صلاة العشاء قمنا مباشرة إلى السيارة التي وقفت بجانبها سيارة الوزير محمد مسعود، وركب الإخوان وهم الشيخ أبو الحسن بالركوب للذهاب إلى المحطة فمنعته من ذلك فلم يمتنع حتى أقسمت عليه ألا يفعل جزاء الله خيراً، ولكنه أناب طائفة من الإخوان على رأسهم الشيخ محمد الرابع الندوي والشيخ سعيد الأعظمي والوزير محمد مسعود فذهبوا إلى المحطة، ولم يتركوني إلا وأنا في مكاني من القطار.

وذلك أمر عجيب من إخواننا مسلمي أهل الهند فهم يقومون لضيفهم بإكرام عجيب، إذ لو كان رجل من أهل الهند في مقدار مقامي الضعيف جاء ضيفاً على جماعة في المملكة لأكرموه بتقديم مقادير هائلة من الطعام ثم تقدموا إليه من مراسم الاستقبال والتوديع ومن السعي في شؤونه ما يقل عن الكفاية بكثير.

ليلة قطارية أخرى:

كانت محطة القطار عندما وصلناها تعج بالألوف المؤلفة من الخلق، وتكاد الأصوات فيها تصم الأذان ويرفع الناس أصواتهم بالكلام، وبالنداء حتى يتغلبوا على ذلك ولكنهم يصبحون أيضاً بهذا الأمر من أقوى أدوات الضجيج.

والمحطة بأدواتها ومظاهرها والنظافة في أرضها وجدرانها هي دون المتوسط مثلها في ذلك مثل القطارات نفسها إلا أن مبنى المحطة كبير جيد المظهر من الخارج.

وبين هذا الجمع الحاشد من الناس انتشرت أعداد كبيرة من جنود الشرطة بشكل لافت للنظر وهم يحملون سلاحهم الوحيد من العصي الخليطة الطويلة التي هي أطول من قامة الرجل، ربما كانوا قد جعلوها بهذه المثابة من الطول لكي يتمكن الشرطي من ضرب من يهرب منه ولو على مسافة أبعد مما تصل إليه يده.

تحرك القطار في موعده المحدد في الساعة التاسعة والدقيقة الأربعين.

وكان سريري في الطابق العلوي من مقصورة فيها ٤ أسرة معدة لأربعة أشخاص شغل أحدها رجل جالس وامرأة مسنة جالست بجانبه،

وقد اختصما في السرير كل واحد منهما يقول: إنه هو صاحبه وأحق به حتى جاء المفتش بعد أن سار القطار قليلاً فحكم بأن السرير هو للمرأة بموجب تذكرتها وليته حكم بأنه للرجل ذلك بأنها امرأة مسنة تسعل وتتأوه في بعض الأحيان وتنظف أنفها بأصابعها، وإذا وقع النظر عليها انقلب خاسئاً وهو ليس بحسير، أما بقية المقاعد فهما لرجلين من الهندوكيين من متوسطي العمر.

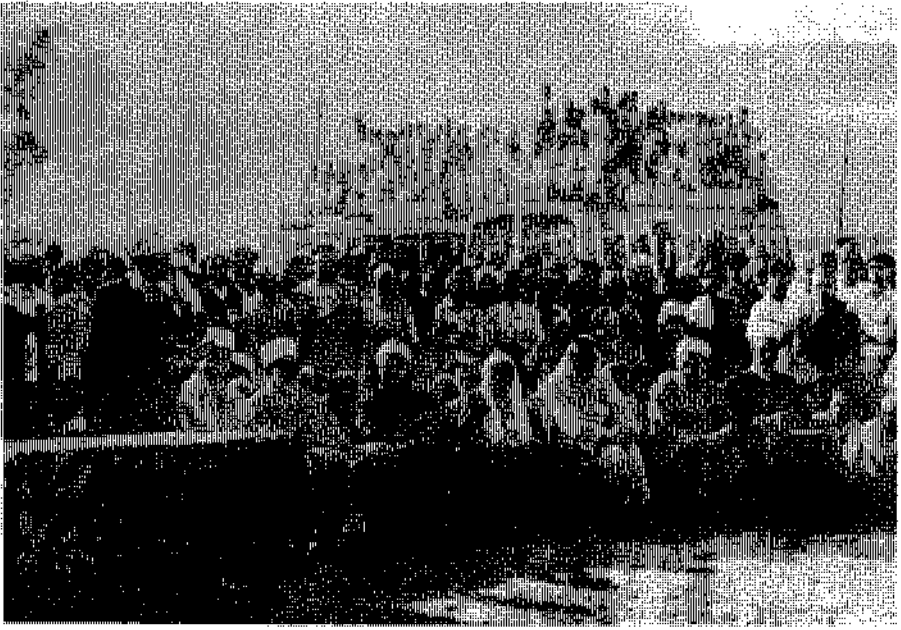
وعندما كنت في سريري لم أكن أرى شيئاً لأنني فوق مستوى النافذة من جهة ولأن الظلام في الخارج دامس من جهة أخرى.

ولم تكن العربة مكيفة الهواء وإنما كانت فيها أربع مراوح متحركة يستطيع كل راكب أن يوجه واحدة منها إلى سريره، ولم يكن الجو حاراً لأن الوقت ليل، وبسبب المطر الذي سقط في عصر هذا اليوم.

وتأملت هذا القطار فإذا هو القطار الذي ركبته منذ سنتين في جنوبي الهند من مدينة مدراس إلى مدينة كليكوت في بلاد المليبار أو (كيرالا) كما تسمى اليوم أو شبيهه به، فهو غير مريح ومعظم ما فيه قديم.

تكريات في لكنو:

بينما كنت أحاول النوم فتمعني منه حركة القطار غير المرنة التي كانت تخض الجسم خضاً متواصلًا كنت وأنا أغادر مدينة لكنو، وأذكر بالتقدير هذا الإكرام الذي قابلني به الشيخ أبو الحسن الندوي وتلاميذه فيها كنت أعود بذاكرتي إلى الوقت الذي كنت فيه في هذه المدينة لأول مرة عام ١٣٩٥هـ — حين كنت أحضر المهرجان الذي أقامته ندوة العلماء لمناسبة مرور خمسة وسبعين عاماً على إنشائها.



الشيخ أبو الحسن الندوي يتكلم في المهرجان عام ١٣٩٥هـ

وكان قد حضر ذلك الاحتفال عدد كبير من العلماء والأدباء وكبار العاملين في العلم والثقافة من أنحاء العالم.

وذلك لما يتمتع به الشيخ أبو الحسن الندوي من مكانة وما يتحلى به من خلق رفيع ولباقة نادرة، وأصدقائه ومحبيه وعارفو فضله كثير.

كان المسئولون عن الاحتفال قد حجزوا غرفاً للضيوف من خارج الهند في الفندق الذي نزلت فيه اليوم (كلاركس) في لكنو، وهذا ليس فيه من العجب إلا أن تقوى جمعية خاصة على تحمل هذه النفقات ولكن العجب كان في توفير الركوب ما بين الفندق وندوة العلماء، بل حتى التجول في المدينة والتسوق منها فذلك يلزم له عدة مئات من السيارات أنى لهم باستئجارها غير أنهم حلوا هذه المشكلة بطريقة عجيبة.

ذلك بأن المسلمين من مالكي السيارات تبرعوا بسياراتهم لخدمة ضيوف الندوة فكانت في أي وقت تخرج فيه من بوابة الاحتفال تجد أناساً قد وكل إليهم أمر المواصلات فيركبونك في سيارة من السيارات التي ينتظرك أصحابها أو سائقوها يحملونك إلى حيث تريد، وذلك كله بالمجان بطبيعة الحال.

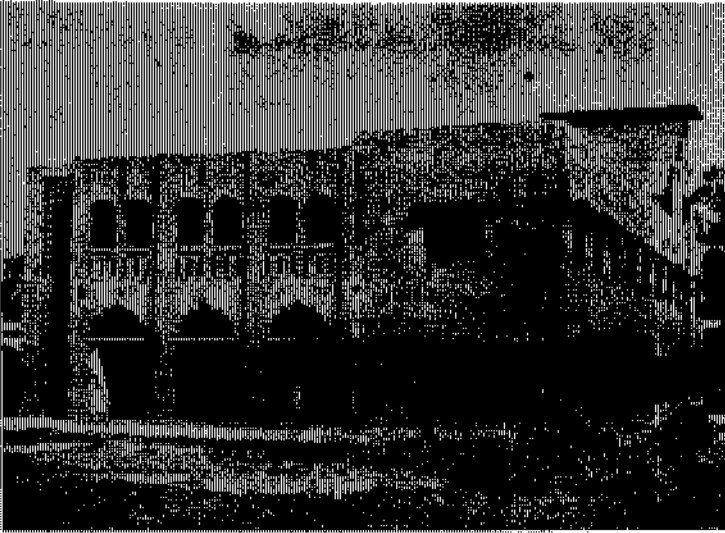
وإن كنا مع بعض أصحابنا قد انتبهنا لهذا آخر الأمر وكنا نظنها قبل ذلك من سيارات الأجرة أو السيارات الخاصة التي استأجرتها ندوة العلماء فكنا توفيراً لجهد هؤلاء الإخوة وسياراتهم إذا كان في الوقت متسع نعد إلى سيارات الركشا فنركبها بأجر زهيد إلى الفندق.

وكان احتفال (ندوة العلماء) هو الاحتفال الكبير الأول الذي أحضره في الهند ولذلك كان عجبي ومن كان مثلي من زملائي عظيماً من روعة تنظيم الاحتفال، وعشرات الألاف التي حضرته ومن توفير الأدوات لذلك، حيث كانوا قد أقاموا له سرادقاً واسعاً عظيماً لا تستطيع أن تتبين وأنت في المنصة الرئيسية وجوه الذين في الصفوف الخلفية فيه.

وذلك حتى يتسع للناس لأن المنشآت الكثيرة الموجودة في أبنية الندوة لا تتسع لذلك، وكان الشيخ أبو الحسن الندوي هو نجم الاحتفال بحق فكان تارة يخطب وتارة يعلق على خطب الآخرين وكان يزور كبار الزوار في الفندق ويؤانس صغارهم فهو قليل النظير في الهند بل في العالم الإسلامي.

التعريف بندوة العلماء:

كان السيد أبو الحسن الندوي ألقى الكلمة الآتي نصها بالعربية في ذلك المهرجان التاريخي، وتوضح تاريخ الندوة وأشياء كثيرة مهمة من أحوال المسلمين في الهند.



جانب من (دار العلوم: ندوة العلماء) في لکنو

قال السيد أبو الحسن:

ندوة العلماء تاريخها ونشأتها:

صارت قيادة المسلمين في القرون المتأخرة إلى أناس لم يكونوا جامعين بين الدين والدنيا، فحدث في الإسلام بدعة فصل الدين والدنيا، فاستبد الملوك بدنياهم وانقطع العلماء بدينهم، وبقي العامة لا قائد لهم ولا رائد، وصار الإسلام كالنصرانية، عرش وكنيسة ولكل رجال، وقصر

والإله ولكل نصيب، ولكن عرش بدون قوائم، وكنيسة بغير حراس.

ولما طال بعد العلماء عن الحياة صاروا أجنب عن الحياة وعن الدين وعن السياسة، حتى إذا تدخلوا في شأن من شئونها كان ذلك حجة لأهل الدنيا على أهل الدين، لعدم خبرة العلماء وقلة مهارتهم في شئون الحياة وعلوم العصر.

وتشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، وبمسائل لا تجدي نفعاً، وتشاغلوا في الزمن الأخير بالجدل والشقاق والتكفير والتضليل، وصاروا يجاهدون في غير جهاد، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فكم سالت دماء وكم جرت محاكمات لأجل مسائل فقهية في محاكم الكفار، وكم وقع من إهانات ذلت لها رقبة المسلمين في الهند.

استولت أوربا على الأرض، وكانت كما وصف الله سبحانه وتعالى (من كل حدب يشعلون) فهجمت على الإسلام من طريق العقل والنقل والفلسفة والحكمة والتاريخ والأدب، ومن طريق السياسة وباسم الحضارة والثقافة، وعجزت الآلات التي حارب بها أسلافنا علوم اليونان عن مقاومة العلوم الغربية، فاقتضى الحال أن يجدد علماء الإسلام آلات الدفاع عن الإسلام، ويحدثوا آلات أخرى للهجوم على العدو.

هذا، والمسلمون في الهند بين طائفتين، طائفة قد آمنت بالعلوم الغربية بالغيب وأمنت بعصمة الغربيين في علومهم وبسيادتهم وإمامتهم في كل شيء، ودعت إلى قبول نظامهم في التعليم على علاته، وطائفة قد آمنت بعصمة العلماء المتأخرين في منهاج درسه وترتيبهم للكتب، لا يرون عنه بديلاً ولا يجدون عنه محيصاً، ويرون العدول عنه في شيء ضرباً من

التحريف ونوعاً من البدع فكاد الدين وكاد العلم يضيع بين جاحد وجامد.

أدرك هذا الخطر رجال من أهل الدين المتين والعلم الراسخ والنظر الثاقب، في مقدمتهم العالم الكبير والشيخ الصالح مولانا السيد محمد علي المونكيري رحمة الله عليه، وكثير من أصحاب الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن السكج مراد آبادي وتلاميذ الأستاذ الكبير مولانا لطف الله العليكرهي، ينتهي نسبهم العلمي إلى بيت الشيخ ولي الله الدهلوي، واجتمعوا وشاوروا في الأمر، وكانوا قد اجتمعوا في حفلة مدرسة فيض عام في كانفور التي أسسها المفتي عنايت أحمد (١٢٧٩هـ) أستاذ الشيخ لطف الله.

اجتمعوا في هذه الحفلة سنة ١٣١٠هـ وبحثوا في مسائل التعليم الديني ومستقبل المدارس العربية وشئون المسلمين الاجتماعية والخلقية، وصحت عزيمتهم على تأسيس جمعية دينية علمية تعنى بمسألة التعليم الديني وإصلاح المسلمين الاجتماعي الخلق، والجمع بين طبقات المسلمين عامة وطبقات العلماء وأحزابهم خاصة.

أسس هؤلاء العلماء - وهم نخبة علماء الهند - جمعية باسم "ندوة العلماء" وعقدوا حفلتها الأولى في كانفور سنة ١٣١١هـ تحت رئاسة الأستاذ الأكبر الشيخ لطف الله العليكرهي، وأرسلوا دعوتهم إلى جمع كلمة العلماء ورفع الشقاق والنزاع من بينهم، وإصلاح المدارس القديمة والتغيير اللائق في منهاج المدارس.

اجتهد أعضاء الندوة في ذلك واجتمعوا وتشاوروا وكتبوا وراسلوا وخطبوا وكتبوا في هذا الموضوع، ولكن علموا بعد الاختبار أن ذلك لا يتم إلا إذا أسسوا مدرسة خاصة تكون مثلاً عملياً للمدارس الأخرى.

فأمسوا في لکنو عاصمة الولايات المتحدة في الهند- على دعوة السرى
المخلص الشيخ أظھر علي الكاکوري (م ١٣٢٦هـ) دفين البقیع- مدرسة
دینیة عربیة هی دار العلوم التابعة لندوة العلماء، وكان ذلك سنة ١٣١٢هـ-
تولی إدارتها والإشراف علی شئون مدرستها رجال یمتازون بمتانة فی الدین
مع تسامح فی الخلافیات والفروع، ورسوخ فی علوم الدین مع إطلاع واسع
علی شؤون العصر، ومحافظة علی الشرع والتقوی مع حب الجمع بین
طبقات الأمة، وهم من بیوتات علم ودين، فكان مولانا السيد محمد علي
المونکیري (م ١٣٤٦هـ) خليفة الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن الكنچ مراد
آبادي أول مدير لندوة العلماء وخلفه مولانا مسیح الزمان الشاه جهان بوري
(م ١٣٣١هـ) أستاذ سمو نظام حيدر آباد السابق، وخلفه مولانا خليل
الرحمن السهارنبوري (م ١٣٥٥هـ) ابن المحدث الكبير مولانا أحمد علي
السهارنبوري صاحب حاشية البخاري، وخلفه مولانا السيد عبدالحی الحسني
(م ١٣٤٢هـ) صاحب "تزهة الخواطر" والمؤلفات العربية الجليلة من بيت
السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وخلفه مولانا السيد علي حسن خان
(م ١٣٥٥هـ) نجل الأمير المؤلف الكبير السيد صديق حسن خان ملك
بهوبال، وخلفه الأستاذ الدكتور السيد عبدالحی الحسني نجل مولانا السيد
عبدالحی مدير ندوة العلماء الأسبق.

وكان الإشراف علی شئونها التعليمية إلى الأستاذ الكبير والمؤرخ
الشهير الشيخ شبلي النعماني (م ١٣٣٢هـ) ثم إلى تلميذه النابغة الأستاذ
السيد سليمان الندوي.

تمتعت الندوة بحماية كبار الصالحين ورجال العلم والدين من أول

يومها، كمولانا ظهور الإسلام الفتح بوري، ومولانا نور محمد البنجابي ومولانا تجمل حسين البهاري من كبار أصحاب الشيخ سليمان البهلواروي، والسرى الفاضل مولانا حبيب الرحمن الشرواني رئيس الشؤون الدينية في إمارة حيدر آباد سابقاً من أقدم أعضاء الندوة ومن كبار حماتها، والشيخ رحيم بخش وصي إمارة بهاول بور سابقاً، والعلامة عبدالحق الحقاني صاحب التفسير المشهور، والشيخ سليمان المنصور فوري، والمنشي إحتشام علي الكالوروي وغيرهم.

وتولى التدريس في دار العلوم علماء كبار من مشاهير علماء الهند وخارجها، كالشيخ محمد فاروق الجرياكوتي والشيخ عبدالله التونكي والشيخ محمد طيب المكي، والشيخ شير علي الحيدر آبادي والشيخ محمد بن الحسين اليماني والشيخ أمير علي اللكنهوي والشيخ حفيظ الله البندولي، والشيخ شبلي الأعظمي، والشيخ حيدر حسن خان التونكي، والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي.

تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والإصلاح في نظام التعليم الديني وفي منهاج الدرس العربي، فحذفت وزادت وغيرت وأصلحت في منهاج التعليم.

حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفت الحاجة إليها في هذا العصر، وأعطت القرآن حقه من العناية فقررت دراسة متنه الشريف حرفاً حرفاً لغة ونحواً وأدباً واجتماعاً وفقهاً وكلاماً، هذا ما عدا التفاسير المقررة في الصفوف العالية، وألزمت تدريس القرآن والحديث بالترجيح في سنيها التعليمية.

زادت مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها لأن اللغة العربية والأدب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة والرابطة الأدبية في الشعوب الإسلامية، ووجهت عنايتها إلى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر وكلغة حية يكتب بها ويخطب، لا كلغة أثرية عتيقة ميتة، وألفت لذلك كتباً تساعد على ذلك، وقد أقر الناس بفضل الندوة في هذه الناحية.

قررت تدريس اللغة وبعض العلوم العصرية كالجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية والسياسة وعلم الاقتصاد، ليطلع العلماء على مقتضيات العصر، ويتسلحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين.

أنست ما كان بين أهل المذاهب والطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية وأهل الحديث من المشاجرات ودواعي العصبية ونجحت في ذلك نجاحاً تاماً فلا تشم في دارها رائحة الخلاف والحقد المذهبي وترى الطلبة من كل مذهب إخواناً متقابلين في قاعة درسه ودار إقامتهم جنباً لجنب.

مبدأ الندوة وشعارها أن تخرج من مدرستها رجالاً مبشرين بالدين القديم لأهل العصر الجديد، شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وبأسلوب يستهوى القلوب أمة وسطاً بين الجامدين والجاهدين.

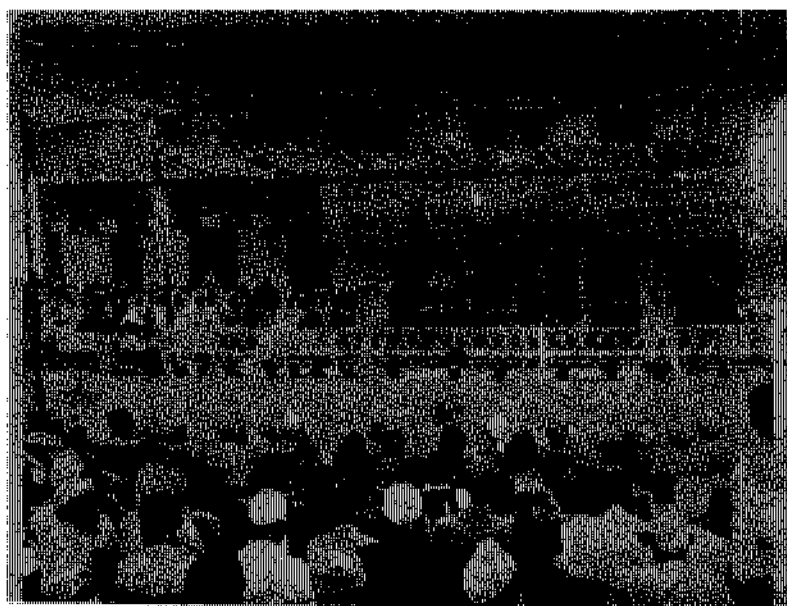
وقد أنجبت في مدة قليلة رجالاً هم خير مثل للعالم المسلم العصري الذين قد قامت بهم حجة العلوم الإسلامية على أهل العصر الجديد، ورفعوا رأس علماء الدين عالياً بين طبقات المتعلمين، ولهم آثار جميلة خالدة في الأدب الإسلامي، وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد، والسيرة النبوية والتاريخ ككتاب "سيرة النبي" في ستة مجلدات كبار وهي موسوعة إسلامية، وأكبر كتاب ألف في السيرة النبوية ومهمات الدين في

هذا العصر للعلامة سليمان الندوي، وكتب في تراجم الصحابة وسيرهم للمتخرجين من دار العلوم ورسالة قيمة في الدين والعلوم العقلية للأستاذ عبدالباري الندوي، إلى غير ذلك من الكتب والرسائل.

وقد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دار المصنفين في أعظم كره وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم "معارف".

ولدار العلوم بناية عظيمة على شاطئ نهر قمتي في مدينة لكنو، ومكتبة كبيرة تحتوي على ٨٠ ألف كتاب أكثرها غير مكرر و ٢٠٠٠ من الكتب الخطية النادرة، ودار لإقامة الطلبة ومسجد جميل.

انتهى كلام السيد أبي الحسن.



منظر من المهرجان الذي أقامته (دار العلوم: ندوة العلماء في عام ١٣٩٥هـ)

العودة إلى الواقع:

وبينما كنت مستغرقاً في التفكير إذا بقطار آخر يقابل قطارنا فيبيدي كل واحد منهما صوتاً مزعجاً متداخلاً مع صوت الآخر ولا سيما صوت عجلاتهما غير المرنة على قضبان الطريق، فأعود إلى واقعي في هذا القطار فيحدث ما يكدرني، إذ أن بعض زملاء المقصورة ربما كان قد أخذ بالحكمة الهندية القديمة التي نظم معناها أبان بن عبد الحميد بالعربية فقال:

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي مقالة أجاد فيها عندي
لا تحبس الضرطة إما حضرت وخلها واقتح لها ما استفتحت
فإن أدوا الداء في إمساكها والروح والراحة في إفكاكها

ولكن ماذا بهم؟ فالأمر على مضايقته مؤقت، وقد يكون علاجه في وضع شيء على الأنف لفترة من الوقت.

ولكن القطار يقف في المحطة ويطول في بعض الأحيان فيكون في ذلك راحة للجسم والأذن غير أن سائقه يبدو أنه يتذكر فجأة بأن عليه أن يقوم فينزع القطار من مكانه نزعاً غير مريح للراكب، وأحياناً يشق السكوت عندما يقف القطار صوت أحد الباعة المتجولين وهو يصرخ وينادي على بضاعته.

ومع ذلك لم يكن الليل كله سهراً بل تخللته غفوات لذيذة ولذتها في قصرها ولكونها في مكان غير معتاد.

وعندما صارت الساعة الخامسة كان الضوء قد غمر هذا الجزء الذي يسير فيه القطار من القارة الهندية.

يوم الأربعاء ١٩/٦/١٣٩٩هـ - ١٦/٥/١٩٧٩م:

وقف القطار هنيهة بعد الخامسة في محطة من المحطات التي كان يقف فيها كثيراً فنزلتُ من علياء السريير ووقفت بباب العربية فإذا بي أرى زحاماً من الناس رغم هذا الوقت المبكر، ولا عجب في ذلك لأن مثل هذه المحطة تكون مجتمعاً للناس الذين يسكنون في القرى والأرياف التي حولها لأن الأرض الهندية الخصبة هذه كلها مزروعة ومأهولة بالناس، وإذا بمنظر الشرطة بعصيمهم الطويلة وهم يتسكعون بين الناس، وإذا ببياعة الشاي ومعه قطع من الخبز وهم يصعدون إلى عربات القطار وينزلون وينادون مع أن مناظرهم ومناظر ثيابهم، فضلاً عن أوانيتهم وما معهم مما يصد النفس عن النظر فضلاً عن تناول والأكل.

وفي المحطة كان بعض أهل الأرياف من نساء ورجال يقفون أو يسرون، وكثير منهم يبين على وجهه آثار نقص التغذية، وعدم اكتمال النظافة، وبعضهم حفاة الأقدام وقد رأيت امرأتين مسلمتين متحجبتين تماماً في هذا الجو الهندي الذي يقل فيه الحجاب.

ومما يضايق في هذا الوقت المبكر أن الذين كانوا يذهبون إلى دورة المياه في القطار كانوا يجتهدون في أن ينظفوا حلقهم وصدورهم بأصوات مسموعة.

أما دورة المياه فقد كتب على بابها بالإنكليزية (مراحيض على الطريقة الهندية) وهي ما نسميه عندنا بالمراحيض العربية، ولا بأس بنظافتها والماء فيها متوفر يضغط الراكب على صنابير يقف ماؤها عن الجريان إذا كف عن ضغطه.

واسم المحطة هذه (هابور).

ثم تحرك القطار مواصلاً سيره في ريف هندي معتاد، تنتثر فيه في أحيان كثيرة أكداس القمح الحصيد الذي لم يتم دياسه وذريه بعد، ومنظر البقرات الرابضة وكأنها تمن على الجميع بذلك لأنها التي يقدسونها ويعظمونها إلا أنه إذا كان لها أن تفرح بذلك، فإن عليها أن تحزن لمنظر أبنائها وأشقائها من الثيران التي وضعت فوق غواربها حبال المحاريث يحرثون الأرض عليها، ويضعون على ظهورها من الأحمال ما تطيق وما لا تكاد تطيق، وكأنني بالبقرة على غباوتها في الفهم تلك الغباوة التي حملت العرب على أن يضربوا بها المثل في ذلك⁽¹⁾ وهي تتعجب بعقلها البقري (المقدس) من هذه العقول الأدمية الهندية التي لا تعرف المساواة بين الذكر والأنثى فتنقدس الأنثى، ولا تفعل ذلك بشقيقتها الذكر وليس الذكر إلا أخت الأنثى وولدها وأباها فهو إما أن يكون منها أو أن تكون منه أو يكون الأمران معاً.

وفي هذا الريف تكرر منظر الأهرامات وليست أهرامات مبنية من الحجارة أو الطين وإنما هي من اختاء البقر والجواميس أي: من أرواثها وهم يصنعون بها ذلك لكي تجف ، ولا يفسدها المطر إذا سقط عليها، وقد حافظوا عليها ليستعملوها في الوقود نظراً لانعدام الغاز عندهم ولأن الوقود عندهم ليس إلا بالطريقة القديمة من الخشب والروث ونحوه.

وهذا الريف كله معمور إلا أن عدد الناس العاملين فيه قليل، ولعل ذلك بسبب كون الوقت مبكراً على خروجهم للعمل مع أن الشمس كانت قد

(1) ذكرت الأشعار والأقوال في ذلك في كتابي: الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة.

أشرفت قبل قليل من الوقت، وإن الفصل هو فصل الصيف الذي يفضل فيه الفلاحون في البلاد الأخرى أن يبدعوا العمل مبكرين لبرودة الجو.

ومما لفت نظري في هذا الريف الهندي منظر ذكرني بشيبه له كان موجوداً في بلادنا وانقرض مع ما انقرض من أشياء فيها بعد الازدهار الاقتصادي الأخير ذلك هو منظر (المطينة) وهي الحفرة التي تحفر في الأرض يأخذ منها الناس الطين لبناء البيوت، ولغرض آخر من الأغراض، وقد رأيتهم هنا يحملون منها لبناً يابساً كانوا قد ضربوه وينقلونه على ظهر حمر - جمع حمار - كانت واقفة عندهم.

ثم مررنا بقرية كل بيوتها تقريباً مبنية بلبن الأجر الأحمر الجميل وهو أحمر حمرة لافتة للنظر، ربما تكون هذه القرية أنموذجية أو بنيت بعناية من شركة أو هيئة حكومية جعلتها تبدو كذلك.

ومع جمال هذه القرية فإنها لم تخل من البلاء المنتشر في أكثر البلاد الهندية على طولها وعرضها ألا وهو وجود البرك والمستنقعات التي تكون من المياه الأسنة الخضراء اللون المحاطة في الغالب بطين أسود قدر من أثر وطئ البهائم والأدميين الذين يترددون على ذلك الماء.

وبعد ذلك مر القطار بمزارع للخضروات منسقة جيدة، وبقرية أخرى بعدها رأينا أبراجاً ضخمة لنقل التيار الكهربائي، وأكثر هذا الريف ليس فيه أنهار فيما رأيناه وإنما هي قنوات للمياه وافرة المياه لا شك في أنها قد سقيت من نهر غير بعيد، وبالفعل مررنا بعد مسافة قصيرة بنهر غير كبير.

وبعد ذلك عادت المستنقعات الهندية الشهيرة إلى الظهور، ولكنها كانت في هذه المرة مليئة بالغرانيق البيض، وبطيور مائية أخرى تسرح

فيها وتمرح لا تخشى رصاص صائد ولا لومة لائم في هذه البلاد الهندية التي لا تؤذي فيها الغراب المؤذي لونا وصوتا وطبعاً مع أن (المؤذي طبعاً، يقتل شرعاً) كما تقول القاعدة المشهورة في أصول الفقه. ووصل القطار إلى محطة اسمها (دسنة) فوقف فيها هينهة.

غازي آباد:

ثم واصل سيره حتى وصل إلى محطة واسعة في بلدة جيدة المبانى، طيبة الاسم اسمها (غازي آباد) أي: بلد الغازي أو مدينة الغازي، والغزو عندنا نحن المسلمين وبخاصة عند مسلمي هذه البلاد الهندية هو مما يثير في النفس الذكريات المحيوية، ذلك بأن المسلمين عندما كانوا يغزون، وكان منهم الأمراء والزعماء الغزاة كان لهم المجد والظفر أما عندما تركوا ذلك فإنهم لم يفقدوا ذلك فحسب، وإنما أصبحوا مغزوين بعد أن كانوا غازين.

وفي محطة هذه المدينة مجمع كبير للطرق الحديدية، ومصانع ترتفع مداخلها عالية في الهواء ولا تعدم بعد ذلك أن تجد فيها المستنقعات الهندية، أي الحفر ذات المياه الأسنة وبجانبيها مما يلي (دهلي) إن لم تكن من ملحقاتها قرية سيئة العمارة متطامنة البيوت قدرة الشوارع لا أدري ما اسمها.

هذه دهلي:

في الساعة الثامنة إلا ربعاً وصلنا إلى مشارف مدينة دهلي فاستقبلنا منها مصانع، ومبان متفرقة، وفي الثامنة كان القطار يقف في محطتها.

وقلت في نفسي: ماذا أصنع بحقيبتني؟ وإذا بحشد من الحمالين يتسابقون إلينا نحن الركاب كل واحد منهم يحاول أن يفوز بالحمل الثقيل قبل أصحابه، وكان نصيبي فتى أردت أن يكون لي حمالاً، وأن يكون في الوقت نفسه دليلاً فقلت له: إلى (التاكسي) فقال: جي، أي نعم، أو لا بأس، بالأوردية.

وعرفت بعد ذلك أنه دليل له قيمته، إذ كيف أجد الطريق الطويل من موقف القطار إلى محطة (التاكسي) بدونه.

فقادني وسط حشد بل طوفان من الناس إلى درج عالٍ صعب المرتقى فصعد منه وقد حمل حقيبتني الكبيرة على رأسه وطلب أن أعطيه أيضاً الحقيقة اليدوية يحملها بيده فأبيت لأن فيها نقودي وأوراق الغالية، ولا يمكن أن أضعها ثقلت من يدي ليد هذا الحمال الذي لا أعرفه، كان الصعود مع هذا الدرج العالي الواسع ثم السير فوق محطة القطار وسط طوفان من الناس أيضاً أشققت منه أن يضع مني حاملي لولا أن منظر حقيبتني فوق رأسه وهو شاب طويل نحيل هو الذي يهديني إليه، ولأنه مع ذلك كان يسرع في السير، وأنا أحب أن أتأني محبة في التأني، وعدم إيذاء الآخرين، ومحبة في الإطلاع والاستطلاع.

وكان هذا الطوفان من الأدميين في المحطة فيه من الطوفان المائي شيء بل أشياء فكما تكون مياه الطوفان غير نقية ولا صافية كذلك هؤلاء القوم من الهنود لا تكاد ترى فيه أو في ما حوله منظرًا من المناظر التي يحب المرء أن يراها في الصباح حتى تظل نفسه مسرورة بها بعد ذلك لفترة من الوقت فالوجه والملابس ليست من هذا القبيل إلا أن القوم

والحق يقال على غاية من الأدب في معاملة بعضهم بعضاً وفي معاملتهم للغريب، فلا مضايقة ولا استعجال في السير، ولا اعتراض لسبيل الغريب في أي شيء.

وعندما كنت أصعد هذا الدرج العالي وأنا أرثي لمنظر شيوخ وعجائز كانوا معي يصعدون وهم يجاهدون في الصعود وحمالين كذلك بأحمالهم يلهثون، ذكرت الحالة التي عليها مثل هذه المحطات في البلدان الأوروبية، والأمريكية، حيث يكون تجاوز محطة القطار في الغالب بسلام كهربائية متحركة ما على الماشي أو الحامل لمتاعه إلا أن يقف وبجانبه متاعه قد وضعه تحت قدميه فتصعد به هذه السلالم ثم تهبط دون عناء، ولكنني ذكرت أنني في البلاد الهندية المشهورة عند الناس بالفقر والتخلف وإن كان الفقر الموجود فيها والتخلف الذي عليه أهلها هو أقل مما يتصوره الغرباء عنها بالنسبة إلى طائفة كبيرة من سكانها.

وعندما تجاوزنا سماء المحطة ونزلنا من الطرف الآخر مع درج مقابل كان لابد من السير في ممرات قبل أن نصل إلى موقف سيارات الأجرة وبجانبه موقف عربات الركشا النارية، وهي الدراجات النارية التي يكون لها عجلات ثلاث وتستعمل لنقل الركاب إذا كانوا قليلين، وسألني الحمال، أيها تريد. فقلت: السيارة.

ونقدته أجرة حمله حقيبتَي وهدايتي ثلاث روبيات أخذها مسرعاً ربما لئلا أعدل عن إعطائه إياها كلها وانحنى شاكراً مودعاً.

سألني سائق السيارة بلغته ما فهمت منه أنه يقول: إلى أين؟ فقلت بالإنكليزية: إلى المطار فصار مسرعاً ولقد عجبت كيف اهتدى إلي

الخروج من زحام البلدة إلى الجهة التي فيها المطار، ثم سار في الريف المفتوح فترة حتى أوقفتني في المطار وكانت المسافة طويلة بحيث أشفقت من أن يسجل العداد أرقاما كبيرة إلا أنه قال: خمسة وعشرون فقلت له: هذا كثير فأخرج أوراقا رسمية كانت عنده، وقال انظر التعريفة الحكومية من البلاد إلى المطار (٢٥) فقلت في نفسي (مصدق بلا حلف) إنما كنت أخشى أن يزيد على ذلك.

وجاء الحامل يسألني إلى أين؟ فقلت إلى سرينقار فذهب بي إلى مكتب كنت قد ركبت منه قبل ثلاثة أيام إلى بته، وهكذا تبينت أن مكاتب الترحيل هنا قليلة.

فوقفت في الصف مع الواقفين فلما نظر الموظف إلى تذكرتي قال، لم تحجز؟ قلت، نعم، قال: انتظر بعض الوقت حتى ينتهي أمر الركاب الحاجزين.

فانتحيت ناحية ووقفت طويلا، حتى انتهى أمر الركاب الحاجزين جميعا، وهنا تقدمت إليه مع عدد من المنتظرين فقال: انتظروا أيضا فانتظرنا إلى أن جاء ونظر إلى الجميع ثم بدأ بي وقال: أين حقيبتك؟

فقطع التنكرة وأنا لا أكاد أصدق لأنني لا أريد أن أبقى في دلهي بدون حاجة.

وتقدمت مع المتقدمين إلى الممر الذي يسلكه المسافرون فيمرون بالمفتشين وكل التفتيش يدوي، فلما وصلت إلى الذي يفتش الحقائق، وفتحت له حقيبتي وضع يده عليها، وقال بالأوردية: (كبرا) أي ملابس، فقلت: (كبرا) وكنت قد اعتدت في سفراتي أن أضع في حقيبتي اليدوية

ملابس احتياطية خفيفة، فإذا كنت مرتدياً الزي الأفرنجي وضعت بدلة عربية، وإذا كنت مرتدياً العربي وضعت سروالاً وقميصاً أفرنجياً، ولبست (الكوت) أو الصديري.

وكما جاملني الذي فنتش الحقيبة جاملني أيضاً الذي يفتش الأبدان فلم يلمس من جسمي إلا ظواهره، وبعد دقائق في قاعة الانتظار نادى المنادي على رحلتنا المسافرة إلى (سرنقار)، فخرج الركاب من البوابة يخرجهم جندي موكل بها لا يسمح لأي منهم أن يخرج إلا إذا أراه بطاقة دخول الطائرة عليها خاتم تفتيش الحقائب اليدوية وخاتم تفتيش الأبدان لأن كل واحد منهما يختم على بطاقة الصعود إلى الطائرة، ثم ركبنا حافلة متوسطة الحكم إلى الطائرة.

إلى سرنقار عاصمة كشمير:

جميع المقاعد في الطائرات الهندية مرقمة وفي داخل الهند لا توجد درجة أولى في الطائرات بل جميع مقاعدها تعتبر درجة سياحية.

وعندما صعدت إلى الطائرة دلتني المضيفة على كرسيّ فإذا به في الصف الأول بجانب فتاتين كنت رأيتهما وأنا واقف في الانتظار عند مكتب الترحيل فلفت نظري جمالهما الذي لا مثيل له بين الموجودات في المطار من أهل الهند، فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي من أين لأرض الهند هذا الجمال الذي لم أر له مثيلاً إلا في بعض أنحاء باكستان؟ وعندما تذكرت أننا مسافرون إلى كشمير وأنهما قد تكونان مسافرتين إلى هناك لأنهما من أهل تلك الولاية زال عجبني لما هو معروف في نساء أهل كشمير من صباحة في الوجوه ورشاقة في الأجسام لا يوجد له نظير في الهند.

وقامت الطائرة الهندية المعتادة من طراز بوينج (٧٣٧) ذات المحركين النفاثين وأعلنت المضيقة أن السفر سوف يستمر ساعة واحدة، وكان قيام الطائرة في العاشرة والثلاث.

وفي كشمير تجولت في أنحاء الولاية وذكرت ذلك في كتاب خاص اسميته: (سياحة في كشمير)!

ثم عدت إلى الهند حيث نزلت في مدينة أمرتسر كبرى مدن ولاية البنجاب الهندية، وإن لم تكن عاصمتها ودونت في مذكرتي كلمات ذكرت في كتاب: (الشمال الغربي من الهند).

عَوْدٌ أَخِيرٌ لَشَمَالِ الْهِنْدِ

يوم الخميس: ١٦ محرم ١٤١٨هـ - ٢٢ مايو ١٩٩٧م:

من الرياض إلى دلهي:

كنت قدمت من جدة إلى الرياض البارحة بعد أن أكملت العمل في مكثبي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة أمس وقصدت من ذلك البقاء مع أسرتي هذه الليلة وذلك لرؤية أولادي وأقاربي الذين سيجتمعون في مناسبة عزيزة عليّ وإن كانت تافهة عند غيري وهي أن ابنتي (مريم) قد أقامت مأدبة عشاء كبيرة لشقيقها ابني خالد الذي يعمل في وظيفة نائب المدير التنفيذي للبنك الدولي في واشنطن وقدم إلى الرياض مع زوجته وولديه في إجازة قصيرة.

وفي صباح هذا اليوم خرج معي إلى المطار ابني الأكبر المهندس المعماري ناصر فوجدنا صفوفاً ضخمة من الناس أمام مكاتب الجوازات أكثرهم من أهل الهند الذين سيسافرون بطائرتنا، وأغلبهم من العمال ولكن الموظف المسؤول في الخطوط السعودية صحبني حتى قدمني على الجميع ومن ثم دخلت إلى غرفة الدرجة الأولى في مطار الرياض وهي أقل غرفة للدرجة الأولى طعاماً وشراباً في العالم كله، وقد دخلت أكثر غرف الدرجة الأولى في العالم، وذلك فيما يختص بما تقدمه من شراب أو طعام خفيف وما رأيت أفخر وأنظف ترتيباً وإعداداً وطعاماً وشراباً من غرفة الدرجة الأولى في مطار البحرين، حيث يجد المرء فيها كل ما يتخيله ذهنه من طعام خفيف وحتى يجد مقادير قليلة من بعض الأطعمة الثقيلة ومن أنواع السلطات كل ذلك بالمجان.

أما غرفة الدرجة الأولى السعودية في مطار الرياض فليس فيها إلا

فنجان من القهوة أو الشاي أو كأس من شراب الفاكهة أو الماء.

ومنها بدأ المرء التمهيد لزيارة الهند لأن الموظف فيها هندي أظنه من ولاية كيرالا يعرف قدراً من العربية وأهل (كيرالا) أكثر أهل الهند انسجاماً في البلدان العربية، وعندما وصلت إلى حمامات المطار وليس في غرفة الدرجة الأولى حمام خاص بها رأيت عمال النظافة فيها من الهنود الذين كانوا يتراطنون بإحدى اللغات الهندية، ربما كانت البنغالية.

وعند الدخول إلى الطائرة كان موظفو الترحيل قد نظموا الركاب بصفوف طويلة، وقد أغلقوا باب الدخول إلى الدهليز المتحرك إلى الدرجة الأولى في الطائرة فصرت بينهم في صف طويل عند مدخل الدرجة السياحية وعادة الموظفين أن يدققوا معهم عند دخولهم إلى الطائرة السعودية لأن بعضهم يحمل بيده حقيبة أو حقائب كبيرة لا تكون بين المقاعد فيأخذونها منهم ويخزنونها في خزانة في الطائرة ويسلمونها لهم بعد الهبوط في مطار دلهي.

وفي الدرجة الأولى كان نصف الركاب من ذوي المظهر الهندي، وهذا طبيعي فأكثرهم من العاملين في الشركات أو المؤسسات الكبيرة في المملكة، ولكن المضيئة أيضاً هندية معها فتى سعودي قال لي وهو يتقدم لي يداني على المقعد مع أنني أعرفه: لقد كنت أتمنى أن أراك وأسلم عليك، لأنني قرأت بعض كتبك وهذه فرصة لأخدمك الآن، فشكرته.

قامت الطائرة من جدة إلى دلهي في العاشرة وخمس دقائق متأخرة ربع ساعة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهو العاشرة إلا عشر دقائق، وهذا لا يعد تأخيراً لاسيما إذا عرفنا أنها ضخمة من طراز بوينغ

٧٤٧ المسمى عالمياً بالجامبو وهي مليئة بالركاب حتى يعجب المرء من كونها تتسع لهذا العدد الضخم من الركاب ولأمتعتهم.

فالسياحية مليئة كلها فيما نظرت، والأولى ليس فيها إلا نصف المقاعد مشغولاً.

أعلنوا أن المسافة إلى دلهي ستكون أربع ساعات إلا ربعاً من الطيران، وذلك بالعربية ثم الإنكليزية فالأوردية.

عندما استوت الطائرة في الجو، وأعلنوا إشارة فك الحزام بسرعة لأن بلادنا في هذه الأيام خالية من السحب والعواصف جاءوا بقائمة الطعام للدرجة الأولى، فإذا بها كلها فيها الفلفل الحار وقد نوهوا بذلك والطبق الرئيسي ثلاثة أنواع لحم الغنم بالكاري الحار والدجاج كذلك والثالث: الأربيان أو الروبيان وهو الجمبري باللغة العامية المصرية ولكنه مطبوخ بالفلفل الحار.

وعندما جاء الطعام كان فيه الكاري المشبع بالكرم الأصفر وكنت عرفت من تجاربي السابقة أنه إذا نقطت منه نقطة على الثياب لم يذهبها منها الغسل، وبخاصة من المسافرين مثلي البعيد عن أهله فحاذرت ذلك، و أذكر أننا كنا في بلادنا لا نعرف الأرز أصلاً إلا في مناسبات نادرة وكنا نطبخه مع السمن ومعه الكرم ليحمله أصفر اللون محبباً للنظر ولا أدري منافع الكرم التي يجعله الهنود من أجلها في طعامهم.

وهناك نوع من الأرز غير الجيد كان يأتي إلينا من العراق نسميه التمن فهذا كان معروفاً عندنا ولكنه غير جيد لأنه إذا طبخ يصير كالعصيدة وليس شهياً الطعم وتبين لي بعد ذلك أن الأرز أنواع جيدة في العراق تسمى التمن أيضاً ولكنها لم تكن تأتي إلينا.

استمر الطيران هادئاً لأنه لا تكدير في الجو ولكن قائد الطائرة لم يوضح لنا خط السير ولا المدن أو المواقع المهمة التي تطير فوقها الطائرة واستمر عرض طائفة من الشرائط على شاشة أمام الركاب، وأكثرها معتادة لم أجد فيها شيئاً شائقاً أو مفيداً، وربما رآها غيري من الركاب غير ذلك.

وقبل الوصول جاءت المضيئة الهندية بمبيد للحشرات فرشت به أرفف الطائرة وأعاليتها حتى الدرجة الأولى، وذلك من أجل عدم انتقال حشرات ومكروبات تكون فيها.

وعجبت من ذلك وقلت في نفسي: ومن يرش الحشرات التي في الهند؟ مع أن بلادنا صحراوية وحشراتنا معروفة ليست كثيرة التنقل، إلا أنني ذكرت أنهم ربما كانوا فعلوا هذا لمناسبة موسم الحج، وما يخشون أن ينتقل بسببه من الأمراض إليهم، مع العلم بأن الحج خالٍ من الأمراض السارية كما هو معلوم.

وعندما تدنت الطائرة قليلاً ظهرت المنازل والقرى في الأرض متقاربة وظهر بعض القرى خالياً من الخضرة أو قريباً من ذلك، وربما كان سببه أننا الآن في موسم الجفاف.

وذكرت عندما رأيت تقارب المدن أن هذه البلاد الهندية أكثر بلاد الله سكاناً بعد الصين فسكانها يبلغ عددهم الآن ٨٩٠ مليوناً، ومن العجيب الغريب أنه عندما استقلت الهند عن بريطانيا في عام ١٩٤٧ حدثت فيها مجاعة بسبب نقص الحبوب وبخاصة القمح فصارت الولايات المتحدة الأمريكية ترسل إليها القمح، ثم استمرت على ذلك عدة سنوات حتى

قرأت في مجلة المختار التي هي الطبعة العربية من مجلة (ردرزدائجست) الإنكليزية مقالاً يتحدث عن نقص الأغذية في الهند التي يتزايد فيها السكان وإن فلاناً من زعماء الأمريكيين قال: إن على الأمريكيين أن يزرعوا لكي يطعموا الهنود.

ولكن أهل الهند قد بلغوا ما بلغوه من العدد الآن، وقد استغنوا عن أن يزرع لهم الأمريكيون بل عن أن يأخذوا أي شيء من الغذاء منهم حيث صارت الهند تنتج من الأغذية ما يكفيها حتى إنها أعلنت أنها سوف تصدر القمح أو تحد من زراعته لكونها تنتج منه أكثر ما تحتاجه.

لا شك أن السبب في ذلك تحسين أساليب الزراعة باستخدام الآلات والمعدات الحديثة واختيار البذور الجيدة.

وظاهر من حال أهل الهند في الوقت الحاضر أن العامة منهم يحصلون على ما يكفيهم من الغذاء - على الأقل - يحصلون من ذلك على أكثر مما كانوا يحصلون عليه منه في المستقبل.

وقبيل النزول في مطار دلهي رأيت جبلاً غير عالية ولكنها تتميز بالإخضرار، وفي سفوحها خضرة جيدة على خلاف المتوقع في مثل هذا الشهر من السنة.

ثم بدت أطراف مدينة دلهي ذات ضوايح جيدة مخططة حسنة المظهر تكثر فيها الأشجار وغير بعيد منها حي شعبي يبدو كأنما بني عشوائياً لأنه ليس في داخله شوارع رئيسية مستقيمة بخلاف الأحياء الجيدة، وليس بين بيوته حدائق أو أشجار خضر أما الريف الخالي من الأحياء السكنية فإن فيه أشجاراً صحراوية خضراً.

وبدا نهر (جَمَنِي) الذي يلفظ باسمه بعضهم (يَمَنِي) بالياء وفتح النون وهو أحد الأنهار المقدسة عند الهنالك وإن كان يغلب عليه الحنان عليهم في بعض الأحيان فتفيض مياهه على ما حول شطآنه من مزارع ومساكن فتغرقها فيكون في ذلك الشقاء لطائفة من الذين يقدسونه وغيرهم .
وعند اقتراب الطائرة أكثر من المطار تجلت طبيعة ضواحي دلهي الجديدة ذات حدائق منسقة وأشجار كثيرة وأبنية عالية متعددة الطوابق بينها الشوارع الواسعة المنسقة، إلا أنني رأيت فيها مصنعاَ ذا مدخنتين تنفثان دخاناً كثيفاً يلوث الجو ولا أدري أي شيء هو ذلك المصنع .
وكررت الحدائق قرب المطار، ولم يكن هذا غريباً على بلد نهري ذي أمطار موسمية كثيفة .

في مطار دلهي :

هبطت الطائرة في مطار دلهي في الساعة الواحدة والنصف بتوقيت بلادنا بعد طيران استمر أربع ساعات إلا ربعاً ويساوي ذلك الساعة الرابعة بتوقيت دلهي إذ الفرق بين توقيت دلهي والمملكة هو ساعتان ونصف .

ويسمى المطار الذي هبطنا فيه مطار انديرا غاندي على اسم رئيسة وزراء الهند وابنة الزعيم السياسي الهندي (جواهر لال نهرو) واسمها هذا هو من اسم زوجها (غاندي) وهو غير غاندي زاهد الهند المعروف .
كانت تحف بمدارج المطار أعشاب بريّة لا بأس بخضرتها، وعرفت أن سبب ذلك أن مطراً أصابها في غير مواعده .

عندما كانت الطائرة تدرج في المطار تصورت الماضي البعيد السعيد لنا نحن المسلمين وكيف كان أسلافنا قد حكموا دلهي لعدة قرون لم تكن توجد فيها طائرات ولا سيارات ولا وسائل اتصال حديثة، بل إن الطرق المعتادة في غير الهند هي صعبة السلوك في الهند بما يعترها من أنهار ومستنقعات وغابات تعيش فيها حيوانات مفترسة وحشرات تسبب الأوبئة والحميات.

ومع ذلك لم يمنع هذا كله الغزاة الدعاة من فتح الهند ولم يمنع العلماء الثقاة من أمثال أبي الريحاني البيروني أن يدونوا لأهل الهند ما كانوا عجزوا عن تدوينه حتى إن أبا الريحاني البيروني رحمه الله تعلم اللغة السنسكريتية لغة أهل الهند حتى يقرأ ما كتبوه فيها مما يتصل بعقائدهم ومثلهم التي يعتقدونها فكانت خلاصة ذلك كتابه العظيم الذي لم يؤلف في بابيه مثله في ذلك الزمان وهو (تاريخ ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة) وهو كتاب يشهد علماء الهند من غير المسلمين أنه قد حوى من العلوم والمعارف عن أهل الهند في ذلك الزمان ما لولاه لكان نسياً منسياً ولخفي أمره على أهل الهند لأنه نقل عن كتب فقدت، وسجل معارف لم تدون في كتب لأن أهل الهند لم يكونوا قد اعتادوا على كتابة تاريخ بلادهم، وإنما كانوا سجلوا ما يتعلق بكتبهم المقدسة عندهم وقد دخلها التحريف والتغيير مع مضي الزمان وتعاقب المفسرين على ما جاء فيها.

وعدت ببصري وفكري إلى هذا المطار فرأيت حاله وما حوله أحسن بكثير مما كان عليه عندما رأيت في المرة الأولى، فالمنطقة التي تحيط به خضراء وفيها أبنية بيض حسنة المظهر وأخرى صفراء معتنى بها.

أما مباني المطار فإنها بدت لي دون ذلك، بل إنها دون مطارات بلاد عربية صغيرة كالأردن فضلاً عن مطار البحرين.

ألصقوا باب دهليز متحرك بباب الطائرة، ووجدت عنده أي عند باب الطائرة رجلاً هندياً يسألني: أنت محمد ناصر؟ قلت: نعم، فسار معي إلى نهاية الدهليز مما يلي المطار حيث وجدت الأخ الأستاذ (نور محمد عباس مختار) المدير الإقليمي للخطوط السعودية في شمال الهند وهو سعودي الجنسية في استقبالي فرحب بي وأخذ جوازي هو والموظف الهندي وتجاوزت مكاتب الجوازات، ثم جاءوا إليّ بجوازي ومعه ورقة صغيرة صفراء تقضي بعدم التفتيش في الجواز (الدبلوماسي) وهكذا انتهيت قبل أن يستكمل الركاب وقوفهم في الصفوف المطولة وقال الأخ نور: إن السفارة أخبرتنا أنها سترسل مندوبين اثنين لها وربما عرقلهما المرور.

وعندما خرجت من المطار بسرعة وكان الأخ ومن معه بصحبتني جزاه الله خيراً وجدت حشداً من أهل دهلي وأسام منهم الأخ الشيخ عطاء الرحمن البهاري أحد تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وقد تخرج فيها في أول فوج عام ١٣٨٥هـ أي منذ ثلاثين سنة وقد صار شيخاً كبيراً أشيب الشعر، والأخ عبدالوهاب الخلجي الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية في عموم الهند والأخ عبدالمتين عبدالرحمن السلفي أحد قادة العمل الإسلامي السلفي.

ومن أهل آسام شخصان أيضاً.

وقد جاءوا بسياراتهم، فسلموا عليّ جزاهم الله خيراً، وأكثروا من السلام حتى استرعى انتباه الحشود في المطار فانطلقنا مع شوارع دهلي

الطويلة الحافلة بالسيارات والدراجات (الركشاوية) فرأيت شوارع دلهي الآن أحسن حالاً مما كانت عليه من قبل مثلما أن المستقبلين من أهل الهند أحسن حالاً من ناحية الصحة ومظاهر استكمال الغذاء مما كانوا عليه من قبل.

انطلقنا إلى فندق اسمه كانشكا كانوا حجزوا لي فيه، وقد كتب عليه أنه من مجموعة (أشوكا) و(أشوكا هوتيل) فندق كبير عريق كنت نزلت فيه عدة مرات، وقال المرافقون: هذا الفندق من فئات النجوم الخمس وقد وجدت مداخله وقاعات الجلوس والاستقبال فيه كذلك، إلا أن غرفه أقل من هذا المستوى.

جلست مع الإخوة الذين معي من أهل دلهي وأسأم وبحثت معهم البرنامج الذي ألحوا على أن يصحبوني فيه فصار لأهل دلهي وأكثرهم من جمعية أهل الحديث من الآن حتى ضحى يوم الاثنين القادم ولأهل أسأم من ضحى يوم الاثنين فما بعده حيث أسافر منهم إلى أسأم بإذن الله إلى أن تنتهي الزيارة هناك.

وجدت إدارة الفندق أعدت لي ضيافة العادة التي تقدم إلى كبار النزلاء أو من يعتبرونهم كذلك، وهي صحن فيه بعض الفاكهة المحلية من الموز والعمبة (المانجو) وثمره واحدة من الكيوي ثم جاء موظف بصحن آخر فيه موز وبرتقال أخضر كالبرتقال الاستوائي.

ومن الطريف الذي عجبت له أن العامل دخل عليّ الغرفة دون أن يستأذن حتى بقرع الباب قرعة خفيفة أو بالنحفة وقصد إلى السرير يسوي وسادته ويبعد عنه غطاءه العام ثم يقف لا يبرح كأنما يستأذن في خروجه فتركته عامداً فلما طال عليه الأمر قال: أخرج؟ قلت: نعم.

وهذا ذكرني بما قرأته في كتاب العلامة البيروني (تاريخ ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرنولة) من غرائب العادات عند أهل الهند وهي أن يدخل الرجل عليك بدون استئذان ولكنه لا يخرج إلا باستئذان، وقد تقدم ذكر ذلك في الجزء الأول.

وهي عادات غريبة رأيت بعضها لا تزال موجودة عند أهل الهند رغم كونها مضى عليها ألف عام منذ أن كتبها البيروني رحمه الله.

ألقيت نظرة من نافذة الفندق فإذا بها تفتح على حدائق وأشجار ملتفة في منطقة خضراء ينتصب فيها فندق ميريديان الفرنسي.

من الأشياء الجيدة المستحبة في الهند أنهم رأوا جوازي وسجلوا المعلومات عنه وأعطونا إياه، وكانوا في السابق يرسلونه للشرطة أو يبقونه عندهم حتى يرحل النزيل، كما أن دخول الفندق قد تم بسرعة وسهولة والموظفون يستعملون آلات حديثة من الحاسبات الآلية ونحوها.

وأعطوني بطاقة الفندق وفيها أن الأجرة ٧٥ دولاراً إلا أنهم أخذوا مني عند الخروج ٩١ دولاراً، ولم انتبه إلا بعد أن تركتهم وكنت مستعجلاً حذراً من أن يفوتنا القطار إلى بريلي كما سيأتي.

مأدبة أهل الحديث:

ومأدبة أهل الحديث لا بد أن تكون شهية كالحديث كما قال أحد العلماء:

إلا الحديث فإنه مثل اسم أبدأ حديث

وكان بعض الناس في الهند يصفون أهل الحديث في القديم بالجمود وعدم التحرك في اتجاه المخالفين لمقابلتهم في منتصف الطريق فنحمد

منهم ذلك ونقول: إن هذا لزوم للحق وليس جموداً ومثله عدم التنازل للمخالفين في الاعتقاد.

أما بالنسبة إلى التعاون مع المخالفين فيما فيه مصلحة الجميع، كأن يقف المسلمون بطوائفهم المختلفة ومذاهبهم تجاه الهنادك بطوائفهم ومذاهبهم المتنوعة، أو أن يقفوا جميعاً للدفاع عن مصالح المسلمين فإن ذلك أمر مطلوب، وبخاصة في هذه المرحلة التي صار فيها جنود الشرطة إذا حصلت اضطرابات بين المسلمين والهندوك يسارعون إلى الانحياز إلى الهندوك لأنهم الأكثرية ولكونهم مثلهم في الدين فإن ذلك أمر مطلوب، لأن الهنادك المتعصبين يوجهون ضغوطهم، ويصبون غضبهم ضد المسلمين أيّاً كانوا وأينما كانوا لا يفرقون في هذا الأمر بين طائفة وأخرى، وحتى لو فرقوا لوقت أو بعض الوقت فإنهم لا بد من أن يرجعوا إلى من لم يؤذوهم بالأذى بعد أن يفرغوا من إخوانهم.

ولقد سمعت من صديقنا الشيخ مختار أحمد الندوي رئيس جمعية أهل الحديث لعموم الهند أنه يدعو إلى وحدة المسلمين تجاه المتعصبين من الهنادك حتى قال: إنه وجه دعوته هذه إلى الشيعة بأن يكونوا مع أهل السنة بدأ واحدة ضد من يتعصبون ضدهم ويؤذون المسلمين في أرزاقهم وأوطانهم، بل قد يحرقون متاجرهم ومساكنهم، ويعتدون على مقدساتهم، وما هدم المسجد البابري في (ايدوهيا) إلا مثل واحد من عدة أمثلة، لأن المتعصبين الهنادكة قد أعدوا قائمة بأربعمائة مسجد أو نحوها يريدون هدمها لأنها فيما يزعمون كانت معابد هندوكية، ومن يرضى من المسلمين أن تهدم المساجد فضلاً عن مساجد أثرية قديمة تعتبر رمزاً لتقافة المسلمين العريقة في الهند وشاهداً على تقدمهم الحضاري والثقافي.

ونحن إذ نذكر ذلك لا نهون من شأن جمعية أهل الحديث وإخوانهم السلفيين الذي كان المبتدعة بل كان مخالفاً لهم على وجه العموم إذا أرادوا التشنيع بهم سموهم الوهابيين ولو كان أولئك الأعداء يعقلون لسألوا أنفسهم عن الوهابية ما هي؟ بل عن الوهابيين من هم؟ وهو لقب لا يعرفونه ولا يعترفون به وما من واحد منهم يقول: إنه وهابي، فكأنهم بهذا قد جمعوا بين الافتراء والازدراء لقوم من السلفيين الذين كل نبيهم لديهم أنهم يدعون إلى اتباع ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة من الخلفاء الراشدين وغيرهم ممن تسبعمهم بإحسان وينكرون البدع المحدثّة في الدين.

في الساعة التاسعة مرّ عليّ الإخوان الشيخ عبدالوهاب عبدالواحد الخلجي الأمين العام لجمعية أهل الحديث والشيخ عبدالمتين عبدالرحمن السلفي مدير جامعة الإمام البخاري في كشن قنچ في ولاية بيهار فذهبا معهما مع شوارع في مدينة دهلي التي لا تزال تعج بها الحركة، وذلك لتناول طعام العشاء في مطعم في منطقة نظام الدين وهي منطقة كانت للمسلمين ولا تزال فيها نسبة كبيرة منهم.

الوثنية المجسمة:

وصلنا إلى منطقة نظام الدين فقال الإخوان: سوف نريك قبر الرجل الذي نسبت إليه هذه المنطقة من مدينة دهلي وهو الشيخ نظام الدين البدايوني تركنا السيارة ودخلنا مع أزقة مليئة بالحركة وأكثر ما استرعى انتباهي وجود طائفة من المرضى والأطفال المرضى وقالوا لي: إنهم ذاهبون إلى قبر نظام الدين أو قادمون منه.

وهذه الأزقة هي في الحقيقة أسواق فيها الحوانيت المتلاصقة ولكن أغلبها صغير ومن البضائع الشائعة فيها الزهور التي يبيعها أربابها للقادمين لزيارة قبر نظام الدين أو لطلب شيء منه حيث يشترونها وينثرونها على القبر أو على قبور بجانبه، كما أنها تبيع حلويات وكتباً وأذكراً بالأوردية.

أفضت بنا الأزقة المزدهمة بالأناسي إلى بوابة صغيرة رمزية لمقبرة الشيخ نظام الدين حيث يوجد فناء مكشوف فيه بعض القبور قد نثرت فوقها الزهور، وبعضها قبور أطفال ذكر أنها لأطفال له أو لأقربائه، ثم القبر أو لنقل إنه الذي اتخذ وثناً ولا نستطيع أن نلوم الشيخ نظام الدين إن كان بنى عليه البناء بعد مماته، ودون علم له بذلك في حياته.

ووجدنا عند مدخل الفناء رجلين مهنتهما حفظ نعال الناس لقاء مبلغ معين وأكوام النعال والخفاف عندها شيء كثير كلها لزائري القبر، والدليل على كثرتها أن أحد الرجلين يعطي صاحب النعل رقماً في قطعة من المعدن يبرزه إذا انتهى حتى يستدل على نعليه، ولكننا وجدناه كالعادة في رفع البناء فوق القبر، بل جعلوا البناء عليه قبة مشرفة، محكمة البناء في شباك يرى القبر من داخلها.

ومما يدمي قلب المسلم أنني رأيت امرأة تصلي إلى القبر منحرفة عن القبلة وهي تسجد أمامه ولا أدري أي شيء تريد بذلك الصلاة أو مجرد سجود للقبر.

ورأيت زحاما عظيماً حول القبر، وقد امتلأت الأرض بالزهور التي أحضرها المتبرعون وبعض الناس وبخاصة من النساء جالسون حول

الضريح متعلقين حوله، أما الرجال فإنهم كانوا يصلون في مسجد بجانب القبر وهذا هو سبب أنني رأيت النساء والأطفال حوله أكثر من الرجال.

وهناك أناس كان لهم وجود ظاهر وهم الشحاذون والزمى الذين اشتد بهم المرض وطال وأكثرهم جاء إلى القبر يرجو أن ينتفع بزيارته في شفاء مرضه.

وقد رأيت من مظاهر الوثنية عند هذا القبر ما أزعجني وأفسد عليّ سروري بزيارة الإخوة أهل الحديث واجتماعي بهم في هذه الليلة مما جعلني لا أطيق البقاء هنا وأطلب من الأخ الذي كان يرافقني أن يسرع بالخروج من هذا المكان حذراً من غضب الله تعالى ولكوني لا أستطيع أن أنكر هذه المنكرات فيه، لأنني أولاً لا أستطيع أن أفهم القوم بلغتهم ولا أستطيع لو كنت أعرف لغتهم أن أعرف أنهم يستفعون من ذلك مع العلم بأن أكبر مهمة لأهل الحديث وللسلفيين أن ينكروا مثل هذه الأمور حتى وإن لم يضمنوا النتيجة إبراء للذمة ولقيام الحجة على من لم يستجب لدعوتهم.

جمعية التبليغ:

تركنا قبر الشيخ نظام الدين البديوني وما يفعل عنده من البدع، وأفعال الوثنية التي يجب على المسلمين أن ينكروها لأنها تعود بالذين يمارسونها إلى الجاهلية الوثنية التي جاء الإسلام بمحاربتها فمررنا بالمقر العام لجمعية التبليغ الإسلامي وهو المركز الرئيسي لهم في العالم كله، أي إنه مركز نشاطهم وفيه تقع رئاستهم.

وقال الأخ المرافق: إنهم يقيمون بجوار هذا القبر الذي تفعل عنده الأمور الشركية التي رأيتوها ولكنهم لا ينكرونها، فقلت: إنه من

المعروف عنهم أنهم يقبلون من يقول إنه يسلم إسلامه، ويركزون على السلوك الإسلامي في العادات والعبادات، ومحاسبة النفس بترك الشهوات، والانصراف عن ذلك إلى تحمل المشقة في سبيل الدعوة.

وبقي أن نعرف من هو الشيخ نظام الدين: وهو محمد بن أحمد البدايوني. بنى القبة على قبره الملك (محمد تغلق شاه) الذي كان موجوداً على زمن ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، وبنى السلطان علاء الدين الخلجي عليها مسجداً وصار مدفنًا لبعض الملوك الذين يعتقدون بصلاح هذا الرجل. وهذه بدعة فظيعة، بل إن ما رأيته يفعل عند قبره فإنما إثمه الأكبر على أول من جعل الناس يفعلون هذا الفعل عنده وأهم ذلك مخالفة الأمر الشرعي الذي نهى عن البناء على القبور فكيف ببناء المساجد عليها وتهيئتها للعمامة والجهال بل وطلبة العلم الذين لا بصيرة لهم.

الاجتماع بأهل الحديث :

ذهبنا سيراً على الأقدام إلى جهة أخرى من حي (نظام الدين) حيث مقر مآدبة جمعية أهل الحديث في مطعم اسمه (دستر خوان كريم) ودستر خوان: مائدة وهي كلمة أصلها كلمتان إحداهما (خوان) بمعنى الذي يوضع فوقه الطعام وهي كلمة عربية شائعة.

وجدناهم أعدوا مائدة طويلة جلس عليها وجوه أهل الحديث من الشيوخ والإداريين وفيهم أساتذة في الجامعات مظهرهم المتقنين العصريين جمع بينهم وبين الشيوخ محبة اتباع السنة وكرهية البدع المحدثه في الدين، ومن الحاضرين: الشيخ محمد يحيى نائب رئيس جمعية أهل الحديث وهو أبن المحدث المعروف في زمنه الشيخ رحمة

الله وهو - أي والده شخص معروف بالكرم وبذل المعروف حتى لقبه أهل الحديث بأنه حاتم الجماعة، ومن أفعاله المشكورة أنه وهو رجل غني جمع مالاً وأرسل أغذية إلى الملك عبدالعزيز آل سعود في بعض المناسبات إعراباً عن التأييد.

والدكتور عبدالودود أظهر أستاذ اللغة الفارسية في جامعة نهر، والدكتور محمد يونس أستاذ أيضاً في جامعة نهر (قسم اللغة الفارسية)، والشيخ محمد يوسف أمين صندوق الجمعية وهو محام إلا أنه لم يمارس مهنة المحاماة وإنما صار يعمل في التجارة ويقوم بأمانة صندوق الجمعية.

والشاعر قطب الدين يونس وهو شاعر باللغة الأردية وله قصائد معروفة، والأخ محمد سليمان صابر ممثل الصحافة في (البرلمان الهندي).

ويلاحظ أن أسماءهم مركبة بمعنى أن الاسم المؤلف من اسمين من الأسماء التي ذكرتها هو لشخص واحد يكون لأبيه اسم آخر مثلما ذكرنا في حالة الأستاذ محمد يحيى الذي اسم والده (حميدالله) ولا يمكن معرفة اسم والده من اسمه إلا بعد السؤال والاستقصاء كما لاحظت بل عانيت من ذلك فيما بعد.

وقد دعوا إلى المأدبة الأخ الأستاذ أحمد عبدالرحمن الخليفة الملحق الديني بسفارة المملكة العربية السعودية في دلهي والأستاذ عبدالرحمن المزيني الذي يعمل - أيضاً - في الملحقة الدينية في السفارة، وهو حديث عهد بالهند.

كان مجلس هؤلاء الإخوة من أهل الحديث في هذا المطعم النظيف واحة تسر خاطر بعد مشاهدة مظاهر الوثنية وما يفعله القبوريون عند قبر نظام الدين.

كما أن المطعم نفسه نظيف ومرتب ومكيف فهو واحة في حي تكاد
تعدم فيه النظافة، وقد رأيت أعداداً من الهنادكة قد جاءوا إلى المطعم
وهو لأحد الإخوة المسلمين يأكلون من طعام المسلمين الذين فيه اللحم
والشحم ولكنه لحم الدجاج والغنم رغم أنهم يعرفون أن دينهم الهندوكي
ينهاهم عن أكل اللحم حتى ينهاهم عن أكل السمك والبيض ولكنهم لا
يقربون لحم البقر بأي حال من الأحوال، لأنهم يعظمون البقرة، وإن كانوا
لا يفعلون ذلك بالنسبة إلى الثور إلا أن عدم استجارتهم لأكل لحم البقرة
يشمل لحم الثور وإن لم يكونوا يقدسونه تقديسهم للبقرة.

والحاصل أنني رأيت أعداداً من الهنادك يأتون إلى هذا المطعم
الإسلامي ويتعشون فيه ويتركون مطاعم الهنادكة لأنه لا يكون فيها اللحم،
ولا يكون فيها طعام المسلمين الذين يتميز بالنكهة المحببة وبالمذاق الخاص.

قدموا أول الأمر دجاجاً مشوياً معه بصل كثير وسلطة أهم ما فيها
الطماطم ثم أحضروا المرق الهندي الغليظ المسمى بالكاري وهو لذيذ
الطعم لو لا هذه الحرارة فيه من الفلفل الكثير، ثم جاءوا بخضرات ولحم
وأرز وكان عمال المطعم يوالون إحضار الأطباق واحداً بعد الآخر،
ومن اللحم والأرز الأبيض الساذج الذي هو الأرز الأصيل المستعمل في
بلاد الشرق الأقصى كاليابان وإندونيسيا وتايلند ولكنهم هناك يأكلونه كما
هو ساذجاً ليس فيه طعم، أما الهنود فإنهم يضيفون إليه المرق الثقيل من
الدهن والفلفل الحار فيضيع ذلك أو بعضه في الأرز ويأكل منه الأكل
أكثر مما يحتاج إليه جسمه، لذلك تتضخم أجساد الأغنياء منهم القادرين
على أكل هذا الأرز مرة في اليوم أو أكثر من مرة.

ثم أحضروا الأرز البرياني الدسم المطبوخ مع اللحم والبهارات الحارة المتنوعة، أما الشراب فإنه الغازي والماء المعدني، وفي آخر الوجبة جاءوا بالحلوى من البقلاوة والآيس كريم.

وأهم ما ينبغي أن ينتبه له من يأكل الطعام الهندي من دون أن يتعود عليه غير الصبر على الفلفل الحار أن يلاحظ ألا تقع نقطة واحدة من الكاري على ثوبه لأن فيها الكركم الأصفر مع الدسم ومواد أخرى لا يذهبها الغسل ولو كان بصابون.

وكانت المائدة شهية والمأدبة سخية انتهت بعيد الحادية عشرة ليلاً.

هذا وفي ابتداء المأدبة قدمني الشيخ عبدالوهاب الخلجي إلى الحاضرين الذين كان عددهم يناهز العشرين، وزاد في ذلك بأن رفع من قدري في حديثه فجزاه الله خيراً.

ثم طلبوا مني أن ألقى فيهم كلمة قلت فيها من بين ما قلته بعد أن شكرتهم على إقامة هذه المأدبة: إننا نفخر بوجود إخواننا أهل الحديث في الهند منذ أن عرفنا نشاطهم في خدمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا أول من طبع أمهات كتب السنة وأشاعها في الأقطار ثم كانوا أكثر الناس اهتماماً بها وشرحاً لمعانيها، وكانوا بعد ذلك أكبر الواقفين في نحر القبوريين المبتدعة الذين يخالفون ما ثبت عن السلف الصالح.

وقلت لهم: لا عجب أن يسميكم المبتدعون بالوهابيين يريدون بذلك أنكم منا ونحن منكم وهذا المعنى صحيح أما التسمية فإنها مخترعة ومبنية على الوهم والإيهام. فأنتم في الحقيقة نحن ونحن أنتم، ولذلك نقول: إنه يجب علينا جميعاً أن نتعاون على البر والتقوى.

وعندما خرجنا من المطعم بعد الحادية عشرة كانت المطاعم الكثيرة تعج بالناس وكأنما هم في وقت المغرب واتبعنا الشحاذون وألحوا في السؤال والاستجداء ومنهم نساء ولا تدري ديانتهن ولم يتركونا إلا بعد أن سارت السيارة مع أننا كنا أغلقنا نوافذها علينا ولكن ذلك لم يمنعهم من تكرار السؤال والاستجداء.

وقال أحد الإخوة: إن هؤلاء الشحاذين يتخذون الشحاذة صنعة وهم يجمعون المال جمعاً بمعنى أنهم لا يكتفون بإنفاق ما يحصلون عليه ثم يجمعون غيره.

وعندما عدت إلى غرفتي في فندق (كانيشكا) فتحت جهاز التلفزة فوجدت فيه عدة قنوات هندية منها ثلاث مظهرها خلاعي لا يمت لعادة الشعب الهندي بصلة، واثنان معتادتان، وعندما ينتقل المشاهد بين المحطة المعتادة أي التي تبت برامج معتادة، وبين هذه المحطات التي تدعي العصرية يجد البون شاسعاً بينها، بل يجد التباين واضحاً.

يوم الجمعة : ١٧ / ١ / ١٤١٨ هـ:

الثقيل وأبوه:

كنت نمت البارحة متأخراً ومنيت نفسي بصبحة طويلة والصبحة هي النوم بعد صلاة الفجر وهي التي تسميها العامة عندنا بالصفرة، وإذا بياض الغرفة يطرق طرقة خفيفاً لم أحفل به، ثم بعد قليل زاد الطرق ففتحت فإذا برجل لا أعرفه ومعه رجل مسن، ولم اطلب منه الدخول لأنني بملابس النوم ولا أدري ماذا يريد ولا أعرفه، فقال : نريد أن ندخل لدقيقة أو دقيقتين، ثم ذكر أنه فلان حامل شهادة كذا، أظنه قال : دكتوراه ووالدي وأشار إليه يرغب في الحج ولكنه فقير لا يستطيعه وأريد أن تستضيفه الرابطة .

فقلت له : يا هذا، أما كان الأولى بك ألا توقظني من نومي لتذكر ما ذكرته، وقد بقي على الاستضافة للحج عشرة أشهر؟

فقال : سامحني أنا سوف أسافر في القطار في الثامنة، ولا بد أن آتي إليك قبل ذلك، فقلت له: إن اهون الأشياء عندي أن تذهب لسفرك ولا تأتي عندي، فالاستضافة في الحج ليست للجميع لأن الحج لمن استطاع إليه سبيلاً، قال: ولكن الرابطة تدعو أناساً للاستضافة والذي أحق منهم، قلت: ما مثلك إلا مثل رجل رأى شخصاً دعا قوماً إلى داره فجاء إليه يقول: إن والدي أحوج إلى دعوتك منهم، لماذا لا تضيفه قباهم؟ إن الاستضافة لها شروط لا تتوافر في و الدك كما ذكرته.

فقال: إنني أريد أن تضع ذلك في ذهنك للعام القادم، فقلت له: إنه يمكنك أن تقدم للرابطة كتاباً تطلب فيه ما شئت وسوف تبحث الرابطة

أمره وتخبرك بالنتيجة، أما أن تطلب مني شفهاً الموافقة لشيء لن يكون إلا بعد عشرة أشهر فإن ذلك شيء لا أظن أن ذاكرتي تتحمله.

ثم انصرف بعد أن أعطيته ووالده شيئاً من (الكليجا) وهو أقراص كالكعك تصنع في بريدة، وتمثلت بقول القائل وهما يغادران الغرفة بعد أن أفسدا عليّ نومي:

أبوك إمام الناس في الثقل كلهم وأنت وليّ العهد بعد أبيكا
ومن الغريب أنه قال لي كالذي يظهر أنه تحمل مشقة في المجيء إليّ: لقد طرقت باب غرفتين قبل أن اهتدي إلى غرفتك! فقلت له: إذا أفسدت نوم اثنين لا تعرفهما، واللائمة تقع على المسؤولين في الفندق الذين لا يمنعونك وأمثالك من الصعود إلى الغرف.

وفي التاسعة والنصف حضر إليّ الأخ الشيخ (شوكت علي القاسمي) المدير العام للشئون الدينية بمركز المعارف الإسلامي في أسام وهو الجهة التي رتبت لي زيارة أسام ووعدهم بأن يكون ذلك ابتداء من يوم الاثنين القادم، نسافر معاً بإذن الله إلى هناك.

على أن أخصص الأيام الثلاثة وهي الجمعة والسبت والأحد للذهاب إلى منطقة بريлли لحضور الندوة التي ستقام هناك.

وأرسلت جوازي البارحة إلى السفارة السعودية لتحاول الحصول على سمة دخول لي إلى مملكة بوتان الواقعة في أعقاب الهملايا مجاورة لولاية أسام التي سأذهب إليها وكانت المشكلة أنني لن أستطيع أخذ جوازي معي إلى بريлли فسافرت بدونها لأن الإخوة أهل الحديث وخاصة صديقنا الأستاذ عبدالوهاب الخلجي ذكروا أنهم سيتولون حل أية مشكلة

تنشأ في سفارة بوتان حول السمة، وقد اتصلوا بالفعل بسفارة (بوتان) في
دلهي هاتفياً فلم يجدوا فيها مسئولاً فأخذ جوازي الأخ خالد الخليفة ليسلمه
للسفارة السعودية غداً من أجل أن تكتب معه كتاباً إلى سفالة بوتان، لأنه
جواز (دبلوماسي) ولأن المشكلة أنني سأسافر غداً إلى بريللي في القطار
الساعة الثانية عشرة والنصف وقد تكفل أهل الحديث بلسان الشيخ
عبدالوهاب الخلجي على أنهم أيضاً سيقابلون أية مشكلة تنشأ عن عدم
وجود جوازي معي بالحل.

يوم الجمعة: ١٧/١/١٤١٨هـ - ٢٣/٥/١٩٩٧م:

إلى ولاية إترابريش:

موعد سفر القطار إلى مدينة (بريللي) في الثانية عشرة والنصف منتصف النهار، ولم يبت في أمر السمة إلى (بوتان) لذا غادرت الفندق الذي أسكن فيه في دلهي، وهو فندق (كانيشكا) في الثانية عشرة إلا الربع في صحبة الشيخ عبدالوهاب الخلجي الذي سيرافقني في الرحلة كلها وهو الأمين العام لجمعية أهل الحديث في الهند وتخرج في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

سرنا في شوارع دلهي المزدهمة إلى درجة تحطم الأعصاب، وكانت هناك مناظر غير سارة من الدراجات الركشوية سواء منها التي يسيرها راكبها برجليه والتي لها محرك خاص ويسمونها (موتور ركشا) ومنظر الهندوكيات بملابسهن الفضفاضة التي يشعر المرء بأن جزءا منها لا حاجة له إطلاقاً ومن ذلك أسفل الثوب الذي يسمونه (الساري) حيث تعثر به المرأة ولا تفتأ ترفعه بين يديها لئلا تتعثر به قدماها، وجزء منه يكون على الكتف يتدلى فترفعه المرأة فيسقط فتعيد رفعه وهكذا، ومع هذا القماش الفضفاض يكون جزء من بطن المرأة وظهرها أسفل من الصدر عارياً، ولذلك شاع عندهن لباس المسلمات والسيخيات الذي يسميه بعضهم اللباس البنجابي، لأن نساء بنجاب المسلمات والسيخيات يلبسنه وهو سروال واسع يضرب إلى الكعبين فوقه قميص طويل ينزل إلى الركبة يكون من جنس قماش السروال ولونه، وعلى الكتفين منديل خفيف طويل تضعه المرأة على رقبتها ليكون طرفاه خلفها يتدليان خلف

ظهرها وأصل هذا المنديل عند المسلمات أن يكون غطاءً للرأس، ولكن ذلك ترك الآن وصرن لا يغطين رؤوسهن.

وليس في هذا اللباس مما هو غير طبيعي إلا كون طرفي المنديل يتدليان خلف الظهر وليس على الصدر، فيكون في ذلك عناء على المرأة في محاولة تثبيته على رقبتها.

محطة نيودلهي:

وهي محطة القطار الذي سنسافر فيه إلى مدينة بريلي وهي محطة كانت مميزة في عهد الإستعمار الإنكليزي إذ كان الإنكليز هم الذين كانوا وحدهم في وقت من الأوقات يستعملونها أما الأهالي من عامة الناس فإن لهم محطة أخرى تعرف بمحطة دلهي، وهي أكبر من هذه.

وجدنا الزحام في المحطة كبيراً بل مؤذياً رغم سعة المحطة، وتعم في المحطة رائحة عفنة بعضها من بول أطفال صغار قد افترشوا هم وذووهم الأرض غير النظيفة.

ويتجلى في المحطة منظر الهنود الأصلاء الذين لا يزالون على حالهم دون تطور وما شبهت جلوسهم على الأرض فيها وازدحام الناس عليها إلا بمنظر الحجاج في بعض الأماكن غير أن أماكن الحجاج ليس لها هذه الرائحة العفنة.

ما كدنا نصل إلى المحطة حتى ابتدنا جماعة من الحمالين المرخص لهم ويعرفون به لأن لهم زياً خاصاً وعلامة يضعونها على أيديهم، ولكن صاحبي الشيخ عبدالوهاب الخليجي مجرب فقد قال: لا بد أن نعرف أجرة حمل الأمتعة، ثم أخذ هو والسائق يتراطنان تراطناً به حدة،

وقال الشيخ عبدالوهاب: إن أجرة الحمل إلى الأرصفة القريبة التي نريدها أقل من الأرصفة البعيدة، وكنت أظن أننا سنقف عند القطار مثلما يفعل الناس في البلدان الأخرى غير أن الحمال فعل ما كنت أنسيته عندما وصلت إلى هذه المحطة منذ سنوات، إذ صعد إلى درج عالية متعبة، وقد حمل فوق رأسه وليس فوق ظهره أو عاتقه أمتعة تزيد على ٥٠ كيلومتراً، وتبعناه صاعدين وإذا بالدرجة العالية تفضي إلى ممر مسقوف فوق خطوط القطارات سرنا برهة فوقه ثم نزلنا مع درجة عالية أيضاً ولاحظت أن بعض الركاب يحملون أمتعتهم بأيديهم أو على رؤوسهم لكونهم لا يريدون أو لا يستطيعون أن يعطوا أجرة الحمال وبعضهم يجاهد في ذلك فتكاد تسمع لقلبه وجيباً ولصدره نحيباً، وإذا لم تسمع ذلك رأيتَه ظاهراً على وجهه من لهاث في فمه، وعرق على جبينه، وزفير يخرجُه للهواء من فمه.

ولاحظت أن بعض الركاب العاجزين من كبار السن، ومعتلي الصحة يساعدهم ذووهم على السير في الصعود والنزول.

وصرنا بعد النزول إلى الأرض ثانية نخوض وسط زحام أكثر من أصعب ما فيه تجاوز الجالسين على الأرض القذرة ومنهم نساء وأطفال ورجال معهم أمتعتهم، وكل ذلك دون فراش أو وقاء، فضلاً عن أن يكون هناك كرسي أو مقعد.

وعجبت من تقصير الحكومة في شيئين أولهما عدم وجود سلم كهربائي متحرك تستطيع أن تستعيد النفقة عليه من زيادة ضئيلة جداً في التذكرة تكفي لذلك لكثرة الناس المستعملين للمحطة والقليل من الكثير كثير أو تستطيع أن تفرض على من يستعملونه رسماً ضئيلاً جداً مهما

كان ضئيلاً فإنه سوف يغطي تكلفة إنشاء السلم الكهربائي لما ذكرته.

والشيء الثاني: عدم وجود كراس ولو رخيصة في المحطة يستعملها المنتظرون وفيهم نساء وأطفال وكبار في السن وأناس من علية القوم.

وضع الحمّال أمتعتنا في مقصورة في الدرجة الأولى الممتازة عندهم مكيفة الهواء معزولة عن الخارج بزجاج معتم ضيق متطامن بحيث لا يرى المرء من يكون خارج القطار إذا كان واقفاً إلا إذا طأطأ رأسه، وفيها أربعة أسرة متقابلة في كل جهة سريران أحدهما فوق الآخر، تستعمل مقاعد واسعة لشخصين فإذا أراد الراكب النوم صعد أحدهما على السريرين فنام، ونام صاحبه على الثاني الذي تحته، وهذه المقصورة مخصصة لأربعة ركاب فقط.

جلست أنا ورفيقي الشيخ الخلجي في جهة وجلس الراكبان الآخران في الجهة المقابلة وهما زوجان هندوكيان شابان من الأغنياء أو من يسمونهم هنا بالطبقات الراقية.

ولم أر من رقيهما إلا استطاعة الركوب في هذه الدرجة- إن كان ذلك يعتبر رقياً- أما غير ذلك فلا، ومن ذلك أنهما لم يتكلما بكلمة واحدة فيها تحية أو ترحيب مع أنني أرتدي الملابس العربية وظاهر من ذلك أنني غريب وصاحبي الشيخ الخلجي من ولاية البنجاب وهو وجيه المظهر، حسن الثياب، لذلك لم نعرف من اسميهما ولا من أحدهما شيئاً وكان صاحبنا الخلجي قد حمل معه فاكهة وشراباً بارداً من عصير الفاكهة عرض عليهما منه شيئاً فرفضاه فوردت على ذهني عبارة كان قد كتبها البيروني قبل ألف سنة أن الهنود الذين يريد بهم الهنادك، لأنه لم

يكن قد وجد مجتمع مسلم في الهند في ذلك الوقت وهي قوله: إنهم لا يؤاكلوننا ولا يشاربوننا، ولا يقبلون طعامنا، وقد تقدم نقل ذلك عنه في الجزء الأول.

وفي هذه المقصورة حوض للماء رغم وجود حمامين خارجها عند مدخل العربة، ومن الطريف أنهم وضعوا للحوض غطاء فيه سقاط وهو الذي يمسك به في حائط الغرفة إذا ما أراد الراكب ذلك، وقد وضع الحمال الأمتعة كلها تحت المقاعد فبدت المقصورة واسعة ثم جاء خادم بوسائد وأغطية أما الأجرة فإنها تساوي ٣٦ دولاراً أمريكية لمسافة لا تزيد على ٢٥٧ كيلومتراً، هي المسافة بين دلهي العاصمة ومدينة (بريللي) الذي يقصدها القطار ورغم ضخامة مدينة (بريللي) وكثرة القرى حولها، بل اتصالها بها فإنه لا يوجد فيها مطار، وإنما على من يريد الذهاب إليها أن يركب القطار أو السيارة ويقضي خمس ساعات أو نحوها إلا إذا كان القطار معتاداً فإنه يحتاج إلى ٧ ساعات ليصلها.

أول ما سعدنا إلى المحطة جاء مفتش وأطلع على التذاكر وطلب من الشيخ الخلجي مبلغاً إضافياً ذكر أنه رسم الحجز لأنه دفع ثمن التذكرة الأصيل بدون دفع شيء للحجز.

ومما يجدر ذكره أن الحجز لا يكون إلا على تذكرة فلا يكون بالهاتف أو بالحجز الشفهي المجرد.

من دلهي إلى بريللي:

انطلق القطار في الثانية عشرة والنصف من دون أن يحدث صوتاً تحذيرياً للمودعين أو الذين لهم عمل يتعلق بالقطار ولكنهم لا يريدون

السفر فيه، ومن أولئك خمسة من الذين كانوا معنا من طلبة العلم ونحوهم
جاءوا يودعون ويخدمون جزاهم الله خيراً، إلا أنهم كانوا نزلوا قبل
تحرك القطار.

عندما تحرك القطار صار يسير على خط محجوز بحائط من الأجر
الأحمر ما بينه وبين أحياء مدينة دهلي التي يمر بها، وهذا أمر طبيعي،
ولكن غير الطبيعي أن يكون ما بين الحاجز هذا وبين قضبان القطار
قدراً مليئاً بالنفايات، وقد بعد عهده بالنظافة.

سار القطار وثيداً يعوم فوقه دخانه ويصل إلى عربتنا على هيئة
سحابة منخفضة من الضباب إلا أن العربات معزولة عنه.

ومر بعدة أحياء من مدينة دهلي الواسعة ولاحظت أن أكثر هذه
الأحياء تحتاج إلى النظافة والعناية وكلها من أطراف المدينة بمعنى أنها
ليست من الحي الجديد في قلبها، وعندما انقطعت عمارة المدينة وصار
القطار يسير في أرض ريفية كان منظر الأشجار فيها كالصحراوية التي
لا تسقى، ومزارع خضراء ضيقة، ورأيت مصانع عديدة تنفث مداخنها
الدخان في ضواحي دهلي وما قرب منها وهي مصانع عديدة مختلفة.

محطة غازي آباد:

وقف القطار عند محطة تسمى (غازي آباد) من بلدة غازي آباد
(آباد) كلمة فارسية دخلت إلى الأوردية بتوسع معناها: بلدة أو مكان
معمور، و(غازي) اسم عزيز على المسلمين كان مما بقي لهم من
علامات العزة الغابرة.

رأينا الناس في هذه المحطة كإخوانهم في محطة دلهي قد افترشوا الأرض، لأنهم لا بساط لهم فيها غيرها وفيهم الأطفال والعاجزون، وتكرر منظر الدرج الذي يصعدونه إلى سطح المحطة ثم يهبط منه إلى موقف القطار.

واللافتات والتعليمات مكتوبة باللغة الهندية المسماة بالهندي، وهي لغة تعتمد على السنسكريتية القديمة وفيها ألفاظ وجمل كثيرة من الأوردية، وكانت لغة مماتة أحيائها الهنود، وجعلوها لغة وطنية لهم، ولكن ذلك ليس عاماً في الهند كلها، فطوائف من أهل البلاد لا يعرفون منها حرفاً مثل أهل جنوب الهند الذين لهم لغاتهم الخاصة كالتاميلية والكَنَرا، ومالايا لم وهي تستعمل اللغة الإنجليزية لغة ثانية بديلة من الهندي.

وكتابتها عجيبة لأن حروفها تبدو مقلوبة كأنما تتفرع من خط من أعلاها مستقيم من اليمين واليسار تنزل منه الحروف قليلاً وتعود إليه.

وقد حلت هذه اللغة محل اللغة الأوردية التي كان بعض الناس يسمونها باللغة الهندية إلى جانب تسميتها بالأوردية لأنها كانت اللغة الأولى في الهند كلها من حيث عدد الذين يفهمونها أو يستعملونها في ولايات الهند كلها. وهذا أمر مؤسف لأن (الأوردية) إسلامية النشأ وتحتوي على ألوف الكلمات من اللغة العربية سواء منها ما دخل إليها مباشرة أو بوساطة اللغة الفارسية، هي لسان الثقافة الإسلامية في الهند، ومستودع أفكار المسلمين وغيرهم لعدة قرون.

استأنف القطار سيره ولاحظت أنه يوجد جندي مسلح بل شاهر سلاحه على باب العربة التي فيها مقصورتنا فنذكروا أنه وجد هنا لأن

المقصورة المجاورة لنا في القطار فيها عضو في المحكمة العليا ويعتبر هنا من كبار القوم من حيث المنصب والأهمية، إضافة إلى أن طبيعة عمله تقتضي توفير حراسة كافية له.

وذهب أحدنا إلى الحمام في العربة فوجده اثنين متقابلين أحدهما أفرنجي والآخر يقابله عربي وهو المسمى بالآسيوي، وقد تذكرت نكتة سمعتها في كينيا قبل أكثر من ثلاثين سنة وذلك أن الإنكليز جعلوا في المطار مراحيض كتبوا عليها أنها أوروبية وعربية كتبوا عليها: إنها آسيوية فاحتج الأفارقة أهل البلاد على كونهم لم يجعلوا لهم مرحاضاً إفريقياً، وربما كان ذلك من باب النكتة والهزل.

ولكن الشيء المؤكد الذي رأيتُه هناك أنه كان يعرض في ذلك الوقت في السينما في نيروبي شريطاً سينمائياً مشهوراً عنوانه (آدم وحواء) ويريدون بذلك أبوى البشر جعلوا ممثلي آدم وحواء من البيض فاحتج بعض الأفارقة بأن هذا فيه تحد لمشاعر الأفارقة لأنه قد يفهم منه أنهم ليسوا في اللون مثل آدم عليه السلام إضافة إلى أن الأمر من ناحية جدية يحتاج إلى دليل بأن لون آدم أبي البشر هو البياض بياض الأوروبيين وليس هو السمرة أو السواد.

أما المنظر من نافذة القطار فإنه ليس من السهل تصويره لما ذكرته من قبل من حال النافذة، وكان من أبرز ما يراه المرء من القطار أكوام الأختاء التي اسميتها من قبل بأهرام الأختاء، وهي رجيع البقر أو برازها يجمعونه ويجففونه ثم يضعون بعضه على بعض بطريقة منظمة من أجل أن يجف فيباع للوقود، وهو كثير لأن البقر كثير في بلاد الهند.

وقد أغفيت فوق السرير في راحة جيدة، وعندما انتبهت كان القطار يسير في ريف معمور كله بحقول ضيقة أي صغيرة غير واسعة، وفيه أشجار متفرقة غير كثيفة، وغير نضرة ومنها أشجار (التار) التي تشبه على البعد تخيل التمر إذا كان هزيلاً مهملاً إلا أن فروعها أصغر من فروع النخلة.

أما الحقول فإنها من الأعلاف ومزروعات عالية أظنها الذرة وقد رأيت الحقول التي كانت قد زرعت قمحاً وحصدوه قبل شهر أو يزيد ترعى الأبقار في مكانه لأنه لا توجد أعشاب خضر في الأرض، بسبب موسم الجفاف في هذا الوقت من السنة في شمال الهند، وتكررت رؤية أشخاص قد قعدوا القعدة الهندية كما اسميتها وهي الإقعاء في الفصحى وذلك أن يجلس الشخص على قدميه بحيث تصل مقعدته الأرض أو تكاد. وبيوت الريف فيها أعداد جيدة تبدو عصرية وربما كانت لمزارعين أو ملاكين أغنياء.

هذا وكان الجلوس في هذه المقصورة من القطار جيداً بل ممتعاً لو لا أنه كانت تهب فيها في بعض الأحيان ريح منتنة ما تكاد تخف حدتها حتى تعاود قوتها ثانية.

وذلك من عادة قديمة في الهند ذكرها الإمام المسعودي قبل ألف عام في كتابه (مروج الذهب) ونقلناها في الجزء الأول.

وقد عجبت من الشابين الفتى والفتاة اللذين عليهما مظاهر الغنى والتعلم ومع ذلك يبديان مرحين أو مرتاحين في وسط جو الغرفة الذي يصبح خانقاً من جراء ذلك.

هذا ومن الأشياء اللافتة للنظر في إحدى المحطات أن القروود كانت موجودة مع الناس في المحطة، ولم أجد من يبالي بها، أو يعطيها شيئاً تأكله كما يفعل بنو قومنا في القروود العربية عندما يمرون بها في الطريق.

ويذكر أن القروود الهندية هذه تختلف بعض الاختلاف عن القروود العربية المعروفة بهذا الاسم وبقروود البايون في الشكل وأما الطبيعة والتصرف فإنها تختلف عنها اختلافاً كبيراً فقروودنا إذا أخذ أحدها شيئاً وليكن قطعة من الخبز لا يحاول قرد آخر أن يستلبها منه إلا إذا كان ذلك قبل أن تستقر في يده، أما هنا فقد لاحظت أن قرداً حصل على قطعة صغيرة من الخبز فصارت عدد من القروود تحاول انتزاعها منه.

عندما رأيت بعض هذه المناظر من نافذة القطار وحالة المرافقين في عربته الممتازة ذكرت آخر مرة ركبت فيها قطاراً وأن ذلك كان في المغرب حيث ركبت من الرباط إلى فاس وبالعكس، ثم من الرباط إلى مطار الملك محمد الخامس في الدار البيضاء، ووجدت في ذهني أن الفرق بين القطارين والمناظر بين البلدين كالفرق بينهما في بعد المسافة.

محطة مراد آباد:

و(مراد آباد) مدينة وقف القطار في محطتها وقد كتبوا اسم المحطة بالأوردية والإنكليزية إلى جانب الهندية، أما التعليمات والمعلومات الأخرى فإنها كلها بالإنكليزية.

وهي مدينة مشهورة بصناعة الأواني، ولكن حدثت فيها اضطرابات بين المسلمين والهنداك تضرر فيها الإخوة المسلمون جرياً على العادة في مثل هذه الأمور التي تحضر فيها الشرطة وهي في أكثرها من الهنداك فتساعدهم على المسلمين أو لا تكف أذاهم عنهم على الأقل.

وقد اشتهرت (مراد آباد) بمكتبة فيها مخطوطات عربية مهمة من نفائس الكتب، ثم وقف القطار في محطة رامبور، ويعني اسمها (بلد رام) وكان حكامها من المسلمين لمدة طويلة.

قال السيد عبدالحى والد السيد أبى الحسن الندوي في كتابه: (الهند في العهد الإسلامى):

رامبور: إمارة مساحتها واحد وأربعون وتسعمائة ميل مربع، ومجايبها نحو ثلاثين (لكا) (ثلاثة ملايين) ولي عليها فيض الله بن علي محمد خان، كما قدمناه في أيام الأفاغنة، واستقل بالملك مدة، وبنى المدارس والمساجد برامبور، مات سنة ١٢٠٨هـ، ثم ولي ولده محمد علي خان الشيعي، فقتله أخوه غلام محمد خان، فسار إليه آصف الدولة يحيى علي خان الشيعي اللكهنوي بعساكره وقتله، ثم أخرج من بلاده، وولى أحمد علي بن محمد علي خان المذكور، وامتدت أيامه خمسا وأربعين سنة، ثم ولي محمد سعيد خان بن غلام محمد خان المذكور، وامتدت أيامه إحدى وثلاثين سنة، مات سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، ثم ولي ولده يوسف علي خان الشيعي، واستقل عشر سنين، مات سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف.

ثم ولي ولده نواب كلب علي خان الحنفي، وكان عالماً كريماً، محباً لأهل العلم، سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار سنة ١٢٩٠هـ، وبذل مالا كثيراً على أهلها، مات سنة خمس وثلاثمائة وألف، ثم ولي ولده نواب مشتاق علي خان، وكان مجهول الكيفية، مات سنة سبع وثلاثمائة وألف.

ثم ولي ولده نواب حامد علي خان، وترك مذهب أهل السنة وصار شيعياً على مذهب جد أبيه المذكور ومات سنة ١٣٤٩هـ = ٢٠ من يونيو ١٩٣٠م، وخلفه ابنه النواب رضا علي خان، ومات سنة ١٣٨٦هـ = ٦ مارس ١٩٦٦م، وألغيت الإمارة في عهده سنة ١٩٤٦م.

هذا وقد دخلنا منذ فترة إلى ولاية (إترابرايش) المعروفة اختصاراً بولاية (بوبي) وذلك منذ أن فارق القطار حدود منطقة العاصمة (دهلي) التي تتألف من مدينة دهلي وأراض وقرى تتبعها، وإن لم تصل إلى درجة الولاية فلا يقال لها (ولاية دهلي).

ثم وقف القطار في محطة (رامبور) ومعنى اسمها: بلد رام (ورام) كبير معبودات الهنادة.

هذه بريلي:

وصل القطار إلى محطة المدينة التي نقصدها وهي (بريللي) التي هي قاعدة محافظة تسمى (محافظة بريللي) أيضاً تضم مدناً وقرى منها مدينة (ريشا) التي فيها المؤتمر أو الندوة التي جئنا من أجل المشاركة فيها.

وجدنا محطة (بريللي) مزدحمة جداً بالأناسي والحيوان ومنها دراجات الركشا التي يسيرها صاحبها برجليه لأنها الدراجة الهوائية المعتادة قد هيأها لجلوس شخص أو شخصين في مقعد فيها وهو يؤجرها كما تؤجر السيارة للراكبين، ورجل معه مطبخ كامل على عربة يدوية حديدية ضخمة ذات أربع عجلات عليها قدور معدنية تغلي بالطعام يدفع العربة بيده، ويبيع من طعامها الحار على الأكلين.

كان وصولنا إلى (بريللي) في الساعة إلا ثلثاً وقد استغرق سفرنا ٤ ساعات وعشر دقائق في هذا القطار الذي يعتبرونه سريعاً لا يكثر من الوقوف في المحطات، فوجدنا عدداً من الإخوة المستقبليين في المحطة بعضهم كانت بيني وبينهم معرفة سابقة، فاستقبلونا بحفاوة فائقة.

ومنهم الشيخ الحاج عبدالملك رئيس المعهد الديني في ريشا، والشيخ رضاء الله عبدالكريم المدني أمين المعهد، والشيخ شهاب الدين رئيس هيئة التدريس في المعهد، والإخوة الأعضاء الأخ حضور أحمد، ود. محمد كلیم، والأخ المهندس عبدالمجيد عبدالملك، والشيخ جميل الرحمن، والشيخ حميد الله الندوي، وعدد من كبار المسؤولين في المعهد.

وحملوا أمتعتنا معهم إلى سيارتين أعدوهما ثم انتقلنا معهم إلى فندق في مدينة بريللي لقضاء هذه الليلة فيه بعد أن كان مقرراً أن نذهب إلى مدينة (ريشا) مقر المؤتمر، ولكن الإخوة أخبروني أن (ريشا) لا يوجد فيها فندق وأنهم كانوا أعدوا لسكناي فيها غرفة في مكتب لإحدى الشركات التي يملكها المسلمون، إلا أنهم رأوا الآن هذا الرأي وذكروا أن صاحب الفندق مسلم مؤثوق به، وأنه يمكنه أن يقدم الطعام المذبوح ذباً حلالاً.

والغريب أنني سمعت منهم جملة (لحم حلال) تتردد في هذه المرة ولم أكن سمعتها من قبل، بل إن الإخوة المسلمين كانوا قالوا إن كل اللحم الموجود في المطاعم والمسالخ الحكومية في الهند هو حلال، لأن الذين يذبحون الحيوان ويأكلون لحمه هم المسلمون وحدهم، أما الآن فقد أكثر الإخوة ذكروا أن الهنادك صاروا يأكلون اللحم، وأن بعض اللحم لا يكون مذبوحاً ذباً شرعياً.

والمراد بأكل الهنادك اللحم لحم الغنم والدجاج، وأما لحم البقر فإنهم لا يذوقونه أصلاً، لتعظيمهم البقرة.

كانت المشكلة عند نزول الفندق هو عدم وجود جوازي معي فهو في السفارة السعودية من أجل الحصول على سمة دخول إلى مملكة بوتان كما تقدم.

وقد حل الإخوة هذه المشكلة بأن استأجروا الغرفة باسم أحدهم وأسكنوني فيها، ولما قلت للأخ عبدالوهاب الخلجي: إنني أخشى أن يترتب على ذلك شيء من الضرر، قال: لا يكون ذلك لأننا أخبرنا المباحث والشرطة بقدمك وسفرك معنا، لأن مثلك لا يجوز إلا أن يخبر بوجوده.

وجدت الغرفة جيدة السعة والأثاث رغم كون الفندق في قاعاته ومظهره هو فندق النجوم الثلاث، ولكن أصحابه جددوه تجديداً وفق ذوق هندي مسلم، وذكروا أن هذا الفندق كان الفندق الوحيد في المدينة في السابق، أما الآن فإنه قد وجد غيره فيها واسمه: (سرن تاور).

هذا وقد جلس معي في الغرفة ثمانية منهم لفترة من الوقت عرفت منهم جهة القبلة، وأكملنا بحث برنامج إقامتي في محافظة (بريللي).

وقد ودعوني مشكورين في الثامنة، فنزلت إلى مطعم الفندق في الطابق الأرضي، وهو مكيف الهواء نظيف الرياش، طلبت منهم لحم غنم بالكاري الخالي من الفلفل اللاذع ومن الدسم الثقيل، ولكنهم جاءوا به ناراً تأجج والأرز لذيق الطعم، متقن الصنع، وقد انقطعت الكهرباء عن المطعم فبقينا فترة في ظلام دامس، وكان في الفندق جماعات من الهنود المغتربين العائدين لزيارة الهند تبين ذلك من أشكالهم التي تغيرت، ومن ملابس نسائهم وأطفالهم وقد طلبت مع الكاري أرزاً أبيض ساذجاً

وخضرات مطبوخة وماء مما يسمونه معدنياً وهو ماء معتاد مكرر، والله أعلم بحالة من كرروه وادعوا إنه نظيف.

وكانت قيمة هذه الوجبة الجيدة في المطعم النظيف المبرد ١٩٥ روبية أي نحو ٢٠ ريالاً سعودية.

ولاحظت أن بعض العادات المعروفة عند خدم المطاعم والفنادق في الهند لا تزال موجودة الآن مثل الوقوف أمام الأكل، وتركيز النظر عليه لمعرفة كيف يأكل، وكيف يبلع وكيف يستعمل الملاعقة وقد يتطفل العامل فيسارع إلى مساعدتك على شيء لم تطلبه منه كان يضع كوب الماء في مكان غير المكان الذي وضعته فيه، ومثل السؤال عن الطعام وهل هو جيد؟ كأن هو قدمه إليك بالمجان، ومثل إسراعه إلى سؤالك عما إذا كنت تريد الزيادة من مثل الخضروات في السلطة الخضراء؟

وكنت أتضايق من ذلك وأبعدهم عني فيكتفون بالابتعاد قليلاً، ولكنهم لا يكفون عن تركيز النظر عليك بغية خدمتك كما يزعمون.

ثم عدت إلى الغرفة التي هي باردة لأن فيها مكيفاً ومروحة تنتشر برودته في أنحاء الغرفة:

وفي الحادية عشرة رن جرس الهاتف مرتين فأعدت السماعة ولم أجب، لأن جميع مضيبي قد ذهبوا إلى مدينة (ريشا) وأنا أحمل نقوداً وأريد النوم وظننت أن هذا الذي طرق عليّ الهاتف هو أحد الثقلاء الذي سيمنعني من النوم، ولكن تبين في الصباح أن الأمر جد أكثر مما ظننت، وأن الذي هتف بي في الليل هو موظف الفندق الذي ألحت عليه الشرطة بأن يخبرهم عن الغريب الذي نزل عندهم ولم يسجلوا جوازه، فتولّى أحد الإخوة هذا الأمر بأن أعطاهم بطاقته، ليقدموها للشرطة وأني تحت ضمانته.

يوم السبت : ١٨ / ١ / ١٤١٨ هـ :

صباح بريللي :

لا يزال في النفس شيء عن بريللي بسبب نسبة الفرقة المبتدعة المعروفة بالبريلوية إليها وإن كان ذلك لا يعني أن أهلها كلهم كذلك ، بل إن فيهم أناساً من أهل الحديث والمعتقد السلفي النقي ومنهم أصحاب المعهد السلفي في (ريشا) الذي يقيم الندوة التي جئنا من أجلها .

كان المنظر من النافذة وغرفتي في الطابق الثاني يطل بعد شروق الشمس على شارع الفندق الذي هو رئيسي فيه دراجة ركشا واقفة وعربة يجرها حصان سائرة وحافلة ضخمة لم يستيقظ زحامها بعد ، وأشجار خضر حدت من النظر البعيد في المنطقة .

ومرّ بئس من رجال ونساء لا أدري ماذا يعملون ولكنهم ذوا المظهر الزري الذي لا يكاد يوجد له مثل في أي مكان من العالم ، إلا في بعض الدول الإفريقية جنوب الصحراء .

وقد فكرت في هؤلاء القوم المتخلفين أو لنقل بعبارة أكثر إنصافاً : إنهم فقراء معدمون عاجزون عن الحصول على القوت الطبيعي والسكن الطبيعي والملبس المعتاد .

وقلت: لماذا تتجاهل حكومة الهند وجودهم وهم ملايين عديدة في البلاد والنهوض بهم أو لنقل: إنقاذهم من الحياة المزرية واجب وطني؟

فكان جواب العقل يقول: إن ذلك فوق إمكانياتها ولو ذهبت تحاول ذلك لكانت كما قال المثل العامي النجدي: «أخوك الفقري يفقرك ولا يغنتي»، والفقري هو المعدم الذي لازمه الفقر طول وقته، نسبوه إلى الفقر،

يقول المثل: إن ذلك الفقير المعدم يفرك إذا أردت مساعدته ولا يستغني، لذلك تركتهم الحكومات الهندية المتعاقبة على حالهم يعانون ما يعانون وانصرفت إلى أجزاء البحوث والدراسات التي تقوم بها نخبة من المتعلمين الذين يحيون حياة معقولة ومقبولة في الهند فوصلت الهند في هذا الصدد إلى درجة من العلم التجريبي والصناعات الخفيفة والثقيلة لا بأس بها.

من بريلي إلى ريشا:

وريشا مدينة واقعة في محافظة بريلي تبعد عنها بما حدده إخواننا بساعة ونصف بالسيارة وهذه عادة لهم أن يحددوا المسافات بالوقت وليس بالكيلو والميل، مع أن الوقت يختلف باختلاف وسيلة النقل وسرعة سيرها أو بطئه، وقد عرفت أنها تبعد ٤٦ كيلومتراً، غادرنا فندقنا في مدينة بريلي في التاسعة والنصف مع عدد من الإخوة الذين كانوا حضروا من (ريشا) إلى بريلي ليكونوا في صحبتي، وذلك في سيارة مكيفة الهواء من طراز (امبسادور) الذي تصنعه الهند، فسلطنا شارعاً رئيسياً في المدينة يسمى (شارع المحكمة) لوقوع المحكمة عليه.

وعلى ذكر المحكمة أشار الإخوة المرافقون وهم من أهل الحديث السلفيين أن للسلفيين قضية في المحكمة تتعلق بمسجد كانوا يصلون فيه ويتولون شؤونه إلا أن طائفة البريلوية المبتدعة زاحمتهم عليه وادعت أنه لها، وأنها أحق به منهم فرفع الأمر إلى المحكمة التي لم تبت الأمر، وصاروا يصلون فيه بالتناوب والوقت لأن أهل الحديث عادتهم أن يصلوا في أول الوقت فيصلون ويفرغون من صلاتهم وينصرفون منها قبل أن يأتي البريلوية الذي لا يبادرون للصلاة أول وقتها إلا ما كان من صلاة

العشاء فإنهم يصلونها مبكرين ويصلي بعدهم السلفيون، لأنهم يرون أن تأخيرها أفضل طبقاً لما جاء في الحديث.

وقد صرنا نخوض طوفاناً من دراجات الركشا المعتادة وذات المحرك والعربات التي تجرها الثيران وهي تحتاج إلى جزء كبير من الشارع إضافة إلى وجود زحام كثيف من المشاة.

وعربات الثيران مشكلة لأنها تكون في الغالب مؤلفة من ثورين قويين مقرونين بقرن من أجل أن يحملا حملاً ثقيلاً، وكذلك البقر والجواميس التي لا يجعلونها تجر العربات لأن البقرة مقدسة عند الهنالك بخلاف الثور الذي هو أبوها وابنها والسبب في وجودها فإنه ليس مقدساً لذلك يمتهونه في العمل الشاق من الحمل والحرث.

وأما الجاموس فإنها كثيرة في المدينة وتسهم مع البقر في زحام الشوارع وهي كبيرة الأحجام والألوان، غير أنها لا تتناسق ولا جمال في مظهرها، بل إنه قريب من مظهر الفيل الذي يفتقر إلى التناسب والجمال.

والشيء الفظيع كثرة الشاحنات الضخمة ومعها الحافلات التي تسد الطريق لضخامتها وكثرتها، وتلوث الهواء بأدخنتها الكثيفة المؤذية.

وأما سيارات الركوب الصغيرة فإنها موجودة ولكنها غير كثيرة في المدينة حسبما رأيناها منها الآن وبعد ذلك.

وإذا وجدت هذه السيارة الصغيرة فإن ميزتها وعلامتها أن صاحبها يطلق لبوقها العنان، فيظل لمناسبة ودون مناسبة نعرفها يطلقه ليزعج المارة، ويسهم في الضوضاء، وقال لي أحدهم: إن الناس هنا قد اعتادوا على ألا يخلو الطريق للسيارة الصغيرة إلا إذا سمعوا بوقها.

وقد رأيت المشكلة مجسمة في هذه المدينة وهي مشكلة تضخم المدن من حيث عدد السكان وما يحتاجون من مركبات ووسائل نقل من دون أن يواكب ذلك ما يناسبه من توسعات للشوارع وإيجاد مرافق جديدة مثل المواقف والميادين وأرصعة المشاة والمخازن والمستودعات البعيدة عن مراكز الازدحام.

ومع أن هذه الأمور التي ذكرتها مهمة ولكن تنفيذها صعب لما تتطلبه من نفقات وإمكانات لا تتوافر هنا فإن هناك أشياء تدل على الإهمال وعدم العناية لأنها لا تحتاج إلى أموال كثيرة ولا إمكانات كبيرة مثل ترك القمامات في الأماكن المتسعة في الشارع أو في ميدان عام وعدم رفعها، بل عدم المبالاة بوجودها مع وجود الأيدي العاملة الرخيصة والدواب التي يمكن أن تحملها إذا لم يستطيعوا أن يوجدوا لها العربات والأدوات الحديثة.

وقد مررنا وسط هذا الزحام الذي كثيراً ما تحشر بينه أجساد بشرية نحيلة ذات ملابس مهملة بمعهد ذكروا أنه معهد للبحوث المتقدمة فيما يتعلق بعلم الحيوان، وأنهم يجرون فيه دراسات على الحيوان.

والمعهد ذو مظهر لا بأس به إلا أن العناية بنظافته وتجديد طلائه معدومة، وفي خارج سورهِ كوم من القش لا أدري ما هو.

هذا وقد صادفنا صفاً ضخماً من الشاحنات الواقفة في شارع تتقابل فيه السيارات والمركبات من الشاحنات حتى دراجات الركشأ، أخبرنا الإخوة أن سبب وقوف الشاحنات هنا أن الطريق الرئيسي مسدود الآن لوجود جماعة من العمال المضربين الذين منعوا المرور في الشارع حتى تتحقق مطالبهم، وذكروا أن هذا يحدث كثيراً في الهند، وأن الشرطة قد

حولت السير من ذلك الشارع الرئيسي إلى هذا الشارع الذي نسير فيه لأنه ليس فيه مضربون.

وعرفت من الوقوف وسط هذه الشاحنات وغيرها السبب في كون إخواني أصروا على أن أركب في سيارة مكيفة، لأن الهواء في الخارج حار وملوث بدخان الشاحنات والحافلات ودراجات الركشا ذات المحركات.

وقد كثر مرور الهنود الأصلاء الذين كنا ولا نزال نعرفهم بأجسادهم الهزيلة ومظاهر الفقر الظاهرة عليهم، وليس معنى ذلك أن الشعب كله مثلهم، وإنما المراد أنهم موجودون وأن عامة الشعب ليسوا مثلهم، بل إن حالة العامة قد حسنت بالقياس إلى ما كانت عليه من قبل.

وقد أشفق الإخوة من أن يفوت موعد افتتاح المؤتمر بسبب بقائنا هنا إلا أن الشاحنات ما لبثت أن ترحلت، وأقلتنا من الرباط.

ولاحظت أن الشاحنة التي أمامنا تحمل شحنة ضخمة من الخشب الثقيل لتوصله إلى مصنع من المصانع.

وعربات تحمل فحماً وأخرى تحمل قشاً ربما كان لعلف الحيوان.

وفي هذا الجو القابض للنفس رأيت باعة في الشارع عرضوا في حوانيتهم أنواعاً جيدة من الفواكه والخضرات التي أكثرها من إنتاج المنطقة، بل رأيت محلاً لبيع الزهور في أحد الشوارع.

وقد استمر سيرنا داخل نطاق مدينة (بريللي) في شوارع تشكو الزحام حتى من عربات الركشا ذات المحرك.

ثم خرجنا منها مع طريق ريفية عليها الأشجار الضخمة من غير رشاقة، وجاء الخيال ليقول: إن ذلك لكي تتناسب مع قوام بعض رجالها

ونسائها من الأغنياء الكسالى الذين تتضخم أجسامهم أكثر فأكثر كلما امتد بهم العمر وأكلوا من الطعام الهندي الشهى الدسم.

ووصلنا منطقة ريفية ذكروا أنها كانت للصين وذكروا أن حدود الصين لا تبعد عنا الآن أكثر من ١٢٥ كيلو متراً.

هذا وقد رأيت شاحنة تسير أمامنا وعلى مؤخرتها لافتة تقول: من فضلك أطلق البوق وهذه عادة رأيتها في الهند منذ سنوات طويلة ولا تزال موجودة وهي تطلب من السائق الذي خلف سيارتك أن يطلق البوق أي أن ينبهك وخاصة إذا أراد تجاوزك.

ووصلنا إلى ريف فيه سكان وقرى متفرقة حتى إن الطريق فيه عليه مشاة لا تدري إلى أين يقصدون إذ ليس بقربهم قرية ظاهرة.

ومع أن السائق في الريف يكون مستريحاً في العادة بالنسبة إلى حالة السوافة في المدن، فإنه في مثل هذا الريف يكون تعباً أيضاً ولا يصبر على قيادة السيارة فيها إلا سائق متمرس صبور.

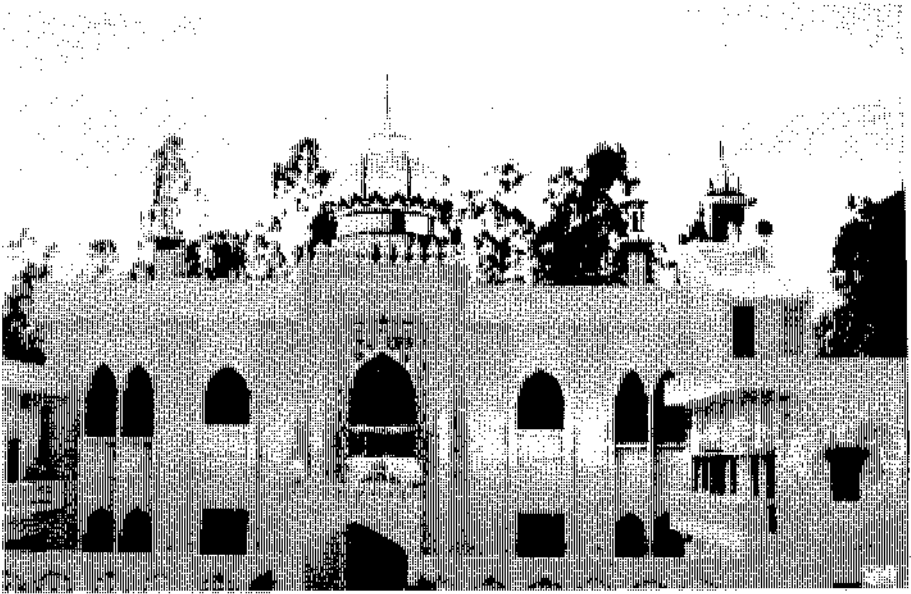
ومررنا بمنطقة أشار الإخوة إلى وجود مطار حربي سري فيها ذكروا أن نصفه يقع تحت الأرض، وذلك لقرب المنطقة من حدود الصين، وليس فيها مطار مدني.

قرية بوجي فوره:

مر الطريق بقرية اسمها (بوجي فوره) شارعها العام الذي هو طريق السيارات الذي نسير عليه مزدحم بعربات الركشا وبالمشاة وقد بقي على الوصول إلى مدينة (ريشا) ٢٧ كيلومتراً.

واستمر الريف بعدها مزدحماً، والطريق واحد للسيارات المتقابلة المتعاكسة في سيرها وحاله سيئة، إلا أنها أقل سوءاً من الطرق في البلدان الروسية والبلدان التي كانت شيوعية وكنت في رحلة فيها قبل أقل من شهر، إلا أن مظاهر الفقر المدقع مثل النحافة والملابس الرثة لا تكاد توجد في البلدان الروسية وما كان ملحقاً بها.

بلدة ريشا:



مسجد المعهد السلفي في ريشا

قبل الوصول إلى بلدة (ريشا) بأربعة كيلومترات استقبلنا بعض الإخوة بعدد من السيارات والدراجات النارية، ولم يقفوا وإنما تقدموا سيارتنا، وواكبوها حتى وصلنا بلدة (ريشا) فوجدنا الاستقبال الحافل،

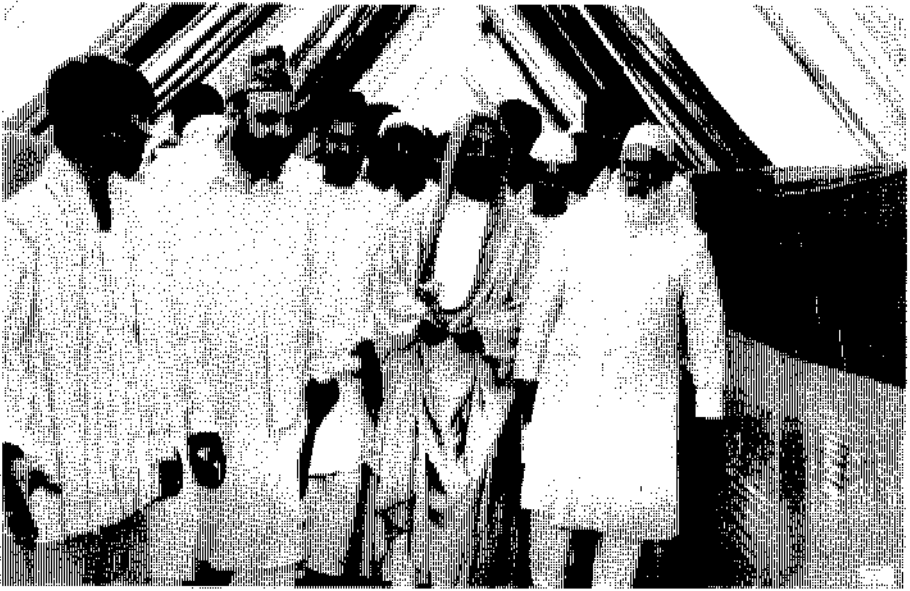
والاستعداد لذلك متمثلاً في الدرجات النارية التي واكبت موكبنا أيضاً،
وبجماعات من المسلمين قد قدموا إلى مكان المهرجان مكان الندوة على
شاحنات كبيرة ومعهم أطفالهم ونسائهم وكلهم جاء لحضور الاجتماع
وسماع ما قد يلقي فيه من خطب وكلمات.

وصلنا إلى مكان الاجتماع في مقر المعهد السلفي في الحادية عشرة
ضحى، فوجدنا صفاً طويلاً من الأجساد المتراسة كانوا أو أكثرهم
واقفين فترة في الشمس الحارة ليكونوا في استقبال أخيهم القادم من بلاد
الحرمين الشريفين، وغيره من الإخوة المسلمين من سائر أنحاء الهند
الذين حضروا لهذا الاجتماع ورأيت أكثرهم يحدق في ملابسهم العربية
وهم لا يكادون يصدقون أعينهم بأنهم يرون أخاهم وجهاً لوجه حتى إن
بعضهم أراد السلام بالمصافحة فنهوهم عن ذلك حذراً من ضياع الوقت
واختلال النظام.

لذا لم نقف عند هذه الجموع المنتظرة وإنما مررنا بين الصفوف
المتراسة يتقدمون الإخوة المسئولين عن الحفل، حتى دخلنا مبنى المعهد
فوجدناهم نصبوا فيه سرادقاً على هيئة ممر مسنم السقف قد زينوه
بأشرطة القماش الملونة، وبخاصة الذهبية.

ولم نتمهل في السير حذراً من أن يغمرنا الناس الذين أقبلوا كلهم
يريد السلام والمصافحة، فصعدنا إلى الطابق الثاني من المعهد.

الحفل الخطابي:



في الطريق إلى مكان الاجتماع، الشيخ مختار أحمد الندوي على يسار المؤلف

رأينا القوم قد اكتمل عددهم قبل وصولنا بفترة فأجلسونا على منصة رئيسية خصصوا في وسطها مقعداً متميزاً مزيناً أجلسوني فيه على اعتباري راعي الحفل أو ضيف الشرف كما قالوا، يساري الشيخ مختار أحمد الندوي أمير جمعية أهل الحديث المركزية في الهند وعلى يميني الأستاذ عبدالوهاب الخلجي الأمين العام للجمعية ومعنا بعض كبار الجمعية والمسؤولين عن المعهد فبدأ الحفل الخطابي بتلاوة آيات بينات من كتاب الله رتلها الشيخ (شكيل أحمد) وقد قرأ قراءة متقنة لولا أنه كان يحرص على أن يرفع صوته ويمده ببعض الحروف أكثر من بعض.

ويلاحظ أن اسمه (شكيل) من كونه ذا شكل جيد في الفصحى وربما كان لمعنى ذلك علاقة مقصودة أو غير مقصودة بالمعنى العامي للفظ (شكالة) يعني الظهور بالمظهر الحسن والتزيي بالزى الحسن.

كان مكان الاحتفال في قاعة الاجتماعات في المعهد السلفي في (ريشا) وهو المعهد الذي دعا إلى إقامة هذا الحفل وبعده (ندوة التصوف في الميزان) تحت إشراف جمعية أهل الحديث التي يشترك فيها مثل غيره من المؤسسات والجمعيات السلفية في سائر أنحاء الهند.

وقد غصت القاعة وامتلات عن آخرها بصفوف منتظمة من المقاعد، ومع ذلك لم يكن فيها إلا ما لا يزيد على عشرة بالمائة من الحاضرين، أما الأكثرية منهم فإنهم كانوا يتابعون ما يجري من هذه القاعة عن طريق مكبرات الصوت.

ولاحظت عدم وجود أي عنصر نسائي في الحفل حتى ولا واحدة، وذلك أنهم خصصوا للنساء مهرجاناً خطابياً وحدهن، وعينوا لهن واعظات ومتكلمات منهن.

وبعد تلاوة القرآن الكريم تقدم أحد الإخوة فألقى كلمة بالأوردية تحدث فيها عني ورفع من قدرتي عند القوم، وتجاوز ما عرفته عن نفسي، وقد أطل في ذلك، تقدم بعده الشيخ عبدالوهاب الخلجي إلى المكبر فترجم تلك الكلمة.



المؤلف يتوسط المنصة الرئيسية

ثم تقدم إلى المكبر الشاعر عبيد الرحمن وفاء الصديقي الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية في ولاية (إتراباديش)، فألقى قصيدة باللغة الأوردية كان يتغنى بها تغنياً بألحان من القول من دون مصاحبة أية آلة.

ثم ألقى الشيخ رضاء الله عبدالكريم المدني أمين المعهد الإسلامي السلفي وأمين اللجنة العليا المنظمة للندوة والاجتماع كلمة رحب فيها باسمه واسم المعهد الإسلامي السلفي ترحيباً حاراً بجميع الضيوف الذين شرفوا بقومهم الميمون ولبوا دعوة المعهد في هذه المناسبة الطيبة المباركة.

ثم ألقى ضوءاً على التاريخ في هذه المنطقة كيف نشأت الدعوة ودخل الإسلام في نفوس المسلمين والحالة السيئة العلمية والعقدية والدعوية التي يعتنقها الساكنون في هذه المنقطة خلال الدعوة المضللة

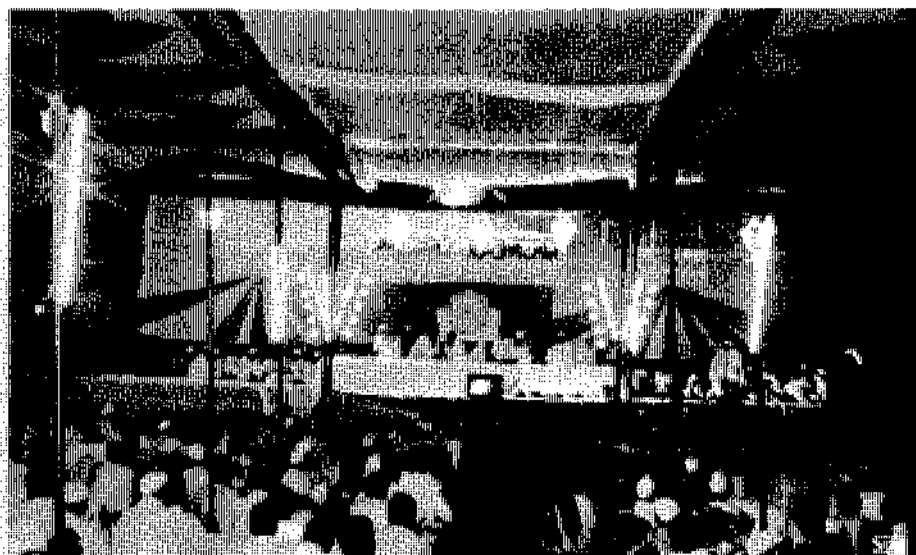
البدعية المسمى بها البريلوية، حيث يتوسلون بالأموات ويذهبون إلى القبور ويجصصونها ويبنون عليها القباب الفخمة ويقدسونها ويعقدون عليها الحلقات السنوية وذكر الشيخ الجهود الدعوية التي قام بها علماء أهل الحديث لتطهير العقائد وتصفية الدعوة وتزكية النفوس والرد على جميع الدعوات الباطلة والبدعية بكل معنى كلمة كتابة ومناظرة، وكان في هذه المنطقة في مقدمتهم ثلاثه العلامة السلفي الكبير الشيخ السيد نذير حسين محدث الدهلوي الملقب بشيخ الكل في الكل.

ثم سرد الشيخ المدني بعض أسماء العلماء السلفيين أهل الحديث الذين قاموا بنشاط دعوي في المنطقة ثم ذكر جهود جمعية أهل الحديث في الولاية، وكذلك أسباب تأسيس المعهد الإسلامي السلفي في ريشا التابعة فرع جمعية أهل الحديث المركزية بالهند في الولاية، وجهود أهل القرية الذين ساهموا مساهمة فعالة، وبذلوا النفس والنفيس في تأسيس وترقية المعهد ورفع مستواه المعنوي والمادي.

ثم ذكر فضيلته ذلك اليوم المشهود الذي عقد فيه الاجتماع لإرساء الحجر الأساسي بأيدي فضيلة الشيخ عبدالوحيد عبدالحق السلفي رحمه الله أمير جمعية أهل الحديث المركزية بالهند الأسبق وعدد من العلماء، وكان ممن ساهموا في إرساء الحجر الأساسي الشيخ الحاج عبدالملك والشيخ الحاج محمد يوسف رئيس الجمعية في الولاية آنذاك والشيخ محمد عمر نائب رئيس المعهد والدكتور أسلم حسين الأمين العام للمعهد.

وفي هذه المناسبة لما أعلن عن جمع التبرعات فقد قامت نساء القرية بتقديم المجوهرات الذهبية والفضية، وما يمكن معها من الأموال إسهاماً في بناء هذا الصرح العلمي كي يدرس فيها العقائد الإسلامية

الصحيحة على منهج الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، ثم ذكر الشيخ بأنه قبل إنشاء المعهد كانت مدرسة تسمى بالمدرسة المحمدية السلفية بإدارة الأستاذ حضور أحمد بن محمد إسرائيل والتي كانت مدرسة ابتدائية وانضمت فيما بعد إلى إدارة المعهد.



الاجتماع العام للمركز

وقال الشيخ رضاء الله عبدالكريم المدني: إن المعهد بعد إنشائه تطور بالبناء والعمائر، ولقد أرسى دعائمه القوية في التدريس وقد ذكر بأنه يوجد في المعهد الأقسام الدراسية التالية:

- ١- قسم البنين: فيه الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية والعالمية، وعدد الدارسين فيه ما يزيد عن ستمائة وخمس وسبعين طالباً، وعدد المدرسين فيه ثلاثون مدرساً.
- ٢- قسم البنات: فيه الدراسة الابتدائية والمتوسطة، وعدد الدارسات فيه ثلاثمائة طالبة، وعدد المدرسات فيه سبع مدرسات.

- ٣- قسم تحفيظ القرآن الكريم: عدد الطلاب فيه (٥٠) طالباً ويدرسهم ثلاثة من المدرسين.
- ٤- مركز الخطاطين: في هذا المركز يعلم الطلاب علم الكتابة وخط نسخ العربي في خارج أوقات الدراسة لهم.
- ٥- قسم النشر والدعاية: يقوم المعهد خلال هذا القسم بنشر عدد من الكتب العلمية لتصحيح العقائد والمنهج والفكر والرد على ما يوجد من الأوهام والخرافات في هذه المنطقة وقد تمت طباعة أكثر من ستة عشر كتاباً وعدد آخر جاهز للطبع وبعضها تحت الطبع في المطبعة.
- ٦- قسم الصحافة: تصدر من هذا القسم مجلة دورية تسمى بترجمان السنة عن كل ثلاثة أشهر، وقد قضى من عمرها أربع سنوات، ولكنها توقفت مسيرتها لقلّة الموارد المادية، وبعض العوائق الرسمية، ولكن بحمدالله تعالى حصلت إدارة المعهد على إصدار مجلة شهرية علمية دعوية الموافقة الرسمية باسم (الاعتصام) والتي سبتداً مسيرتها بعد أشهر قليلة.
- ٧- قسم الدعوة والإرشاد: يقوم هذا القسم بإدارة الشيخ شهاب الدين المدني رئيس هيئة التدريس في المعهد بتنظيم الدروس والجولات الدعوية في مساجد القرية وما جاورها من القرى ويقوم أساتذة المعهد ومدرسوهم بهذه المهمة وإلقاء خطب الجمعة في القرى المجاورة.
- ٨- فروع المعهد: يشرف المعهد على إدارة المنهج التدريسي في عدد من المدارس الملحقة به منها:
- أ- المدرسة المحمدية السلفية في قرية ريشا.
- ب- مدرسة نور الإسلام في قرية غردهر فور.

- ج- مدرسة ضياء الإسلام في رقية غردهر فور.
- د- دار العلوم السلفية جوكن فور.
- هـ- مدرسة دار الحديث في قرية وهوزه تانده.
- و- مدرسة دار الهدى في قرية شبش غره.
- ز- المدرسة المحمدية السلفية في قرية جعفر فور.
- ح- مدرسة خير العلوم في قرية جعفر فور.
- ط- المدرسة المحمدية في قرية سيد فور.

بعد هذا السرد السريع ذكر الشيخ أمين المعهد في كلمته الترحيبية أنشطة الطلاب، وممارستهم العلمية وما يقومون به من النشاطات الأدبية والدعوية والإصلاحية والتمارين على تدريب الخطابة وكتابة المقالات.

قبل نهاية كلمته ذكر ما يحتاجه المعهد من أهمه:

بناء الفصول الدراسية والعمائر السكنية، وكذلك سكن الأساتذة، حيث لا يوجد بها المطعم والمطبخ على المستوى الجيد في المعهد وهو في حاجة ماسة إلى التغيير والتجديد، وكذلك ما يمس الحاجة إلى بئر عميق وخزان ماء لاحتياجات طلاب المعهد وغيرهم.

وقال الشيخ رضاء الله عبدالكريم بالإضافة إلى ذلك تمس الحاجة إلى بناية لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم وكذلك المكتبة العامة.

ثم ذكر الشيخ العلاقات الوثيقة بين جمعية أهل الحديث المركزية بالهند وفرعها في الولاية وإشرافها على المعهد والتدبير في أموره، وبين باختصار جهود المشايخ الشيخ عبدالوهاب عبدالحق السلفي، والشيخ عطاء الرحمن المدني، والشيخ الحاج محمد يوسف والشيخ نصير أحمد،

والأخ رفيق أحمد، والشيخ مختار أحمد الندوي، والشيخ عبدالوهاب الخلجي، وقال إن مسجد الجامع للمعهد وعمارته الشامخة تدل على اهتمام الشيخ مختار أحمد الندوي الذي تولى بناءه عن طريق إدارة إصلاح المساجد بمساعدة أحد المحسنين في الكويت، كما أثنى أمين المعهد الشيخ رضاء الله عبدالكريم على جهود الشيخ عبدالوهاب الخلجي الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية بالهند وتعلقه به وشئون المعهد وإسهاماته المتعددة في رفع مستوى المعهد الإسلامي السلفي في ريشا، وقال إن الشيخ الخلجي أحد زملائي وأصدقائي من الصغر.

وبعد ذلك تقدم الشيخ الخلجي فقدمني للحاضرين بالعربية ثم الأوردية، وذكر بعض مؤلفاتي وما كتبته عن المسلمين في أنحاء العالم، وما سجلته تسجيل مشاهدة وعيان من أحوالهم، وذكر الوظائف التي شغلها ونوه منها بعملها في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وأني كنت أول الموظفين فيها.

ثم أبدى رغبة الإخوة الحاضرين في سماع كلمة مني مبسوطه، فألقيت الكلمة التالية، وكنت أعددتها مكتوبة من أجل أن تترجم وينقل منها الصحفيون ما يشاؤون على جاري العادة في ذلك خلاف ما كنت تعودت عليه من عدم كتابة ما ألقيه في مثل هذه الاجتماعات، وأن تكون كلمتي فيها مرتجلة.

ولذلك لم أستطع التقييد بما جاء في الورقة المكتوبة وإنما خرجت عنه في كثير من المواضع مما استدعى مني أن أطلب ما نقله الإخوة منها مما سجلوه من قبل.



المؤلف يلقي كلمته من فوق المنصة الرئيسية في الاجتماع

وقد ترجمها إلى الأوردية بعد انتهائي من إلقائها الأخ الشيخ محمد إشراق السلفي وهو متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ومتمكن من اللغتين العربية والأوردية.

وهذه كلمتي التي ألقيتها في الاحتفال:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
أيها العلماء الكبار، أيها الإخوة الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

يسر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أن تشارك في الندوة العلمية هذه التي تنظمها جمعية أهل الحديث المركزية بالهند في هذه المنطقة.

إن إقامة مثل هذه الندوات العلمية تدل على يقظة القائمين على الجمعية وانتباههم إلى ما يجب أن يقوم به العلماء من محاربة البدع والخرافات التي أدخلت في دين الله القويم ولا شك أن هذا من الاهتمام بإصلاح الأمة وتوعية المسلمين والقيام بعمل الدعوة والإرشاد، ونشر العلم والمعرفة بين المسلمين وتصحيح عقيدة من انحرف عن عقيدة التوحيد، عقيدة السلف الصالح.

أيها الإخوة الكرام:

لا شك أنه من الواجب على كل مسلم أن يقتدي بسيد المرسلين أشرف الأنبياء والصالحين محمد بن عبدالله الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وذلك باتباع ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال التي هي الأصل الثاني من أصول الإسلام بعد كتاب الله تعالى.

وإذا أشكل على المسلم أمر من الأمور الدينية نظر فيما عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخلفاء الراشدين والعشرة الفضل والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعوهم بإحسان فهم حملة الشريعة وهم هداة الإسلام وهم القدوة والأسوة.

ويتمتع المسلم في حال المسلمين في عهد أولئك الصحابة والتابعين والذين تبعوهم بإحسان وما كانوا عليه من عز ومنعة ثم لينظر في حال الأخلاف الذين قالوا: إننا نتبرك بالشيخ الفلاني أو نتوسل بالولي الصالح إلى الله، أو إننا لا نستطيع أن نفهم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب علينا أن نقلد فلانا أو نتبع علانا من الناس.

فكيف أصبح المسلمون على ما هم عليه من حال هي ضد ما عليه السلف الصالح من عز ورفعة وتمكين.

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) ويروي (لن يصلح آخر الأمة إلا ما أصلح أولها).

فالنجاح الحقيقي أيها المؤمنون هو في العمل بكتاب الله وبسنة رسوله، وفي التمسك بالعقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى. قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: الآية ١٣٦).

وعليكم أيها الإخوة المؤمنون بالتضامن والتناصر والتآخي والتناصح والتسامح والتحابب فيما بينكم ﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: من الآية ١٠٣).

ويجب أن يشد بعضكم أزر بعض والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسَلِّمُه (إلى عدوه) من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

أيها الإخوة الكرام:

إن من البشائر التي نرّفها إليكم وقد شاهدناها مشاهدة أو عرفناها باليقين أن الدين الإسلامي ينتشر الآن في الخافقين وفي سائر القارات حتى في البلدان المتقدمة في العلوم المدنية والمعارف الإدارية مثل

أوروبا وأمريكا، فترى المفكرين وأساتذة الجامعات يدخلون في الإسلام، وترى المساجد تشيد في أحياء المدن الأوروبية حتى بلغ عدد المساجد في أحد أحياء مدينة بروكسل ٢١ مسجداً، وكان أول مسجد بني في ذلك الحي عام ١٩٧٤م.

وقد انتشر الإسلام في أوروبا وأمريكا بحجة الإقناع والافتناع، وذلك يرد على ما افتراه الأعداء من كون الإسلام انتشر بالسيف وحده، وأنه لولا السيف لما اتبع الإسلام أحد، ونحن نقول لهم أي سيف للإسلام الآن إلا الحجة والبيان وسيف النقاء والظهور وسيف مهم آخر وهو تمسك المسلم بإسلامه حقاً، بالقول والعمل، وبالاعتقاد والمعاملة، وأذكر قصة تدل على ذلك خبرني بها أحد إخوانكم المسلمين المغاربة الساكنين في فرنسا قال: أسلم أحد الشبان الفرنسيين مثلما يسلم غيره في كل حين فحسن إسلامه وصار يحضر الصلوات في المسجد ثم إنه قال: سوف آتي بأمي لتسلم، قال: فعجبنا من ذلك لأن الغالب أن كبار السن لا يسلمون مثلما يكون عليه الحال بالنسبة إلى الشبان، فسالناه عن سبب رغبتها في الإسلام فقال: عندما أسلمت صرت أبر أمي وأطف بها، والين لها القول وأحضر لها الطعام و الفاكهة امتثالاً لما أمرني به الله من البر بالوالدين.

قال: ولم أكن اخبرتها بأنني أسلمت لئلا تنكر عليّ وهي عجوز كبيرة فقالت لي: أنا أعرف طبعك وطبع إخوانك الخمسة فلم يكن أحد منكم يبالي بي، ولا يلف بي وأنت كنت أشدهم في هذا الأمر.

فلما ألحت عليّ قلت لها: يا أمي أنا أسلمت وديني يأمرني بالبر بك والعطف عليك، ثم قرأت عليها ترجمة معاني الآية الكريمة ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ

الْأَتْعَبُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ (الإسراء: الآيات ٢٣-٢٤).

قال: فلما سمعت ترجمة الآية الكريمة وعرفت أثر إسلامي على معاملتها قالت: والله يا بني إن الدين الذي غيرك من تلك الحال التي كنت عليها إلى هذه الحال الطيبة لهو الدين الحق، فماذا يفعل من يريد أن يكون مسلماً؟ قلت لها: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم يذهب إلى الجمعية ليسجل إسلامه رسمياً ويتعلم أمور دينه، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وسأذهب معك للجمعية الإسلامية كما ذكرت.

أيها الإخوة:

إن هذه قصة واقعية ولنا في حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق مثال على ذلك: فقد كان العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام ويسفكون الدم الحرام ويدفنون البنات ولا يرعون الحرمات ثم صاروا بعد إسلامهم أمثلة بل أروع الأمثلة على النبل والعدل والصدق في القول والإخلاص في العمل وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجا اقتداء بهم وإعجاباً بأخلاقهم الإسلامية الرفيعة.

وإنني أوصيكم ونفسي بهذه المناسبة بتقوى الله تعالى في السر والعلانية واتباع الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله، قال الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: الآية ١٢٥). لأن الداعي إلى الله إذا انتهج في أعماله الدعوية هذا الأسلوب الرباني حقق النجاح وتغلب على دعاة الكفر والإلحاد وأدى الأمانة وأفاد الأمة.

كما أوصيكم وأنتم تعيشون بين أكثرية من مواطنيكم غير مسلمة أن تكونوا مثلاً للعمل فيما يصلح حال الأمة كلها وبخاصة فيما يتعلق بالمصالح الإدارية والدينية العامة من الطرق والموانئ والمستشفيات والإنشاءات العامة فيجب أن يحافظ المسلم عليها ويجب أن يسهل قضاء حوائج الناس إذا كان موظفاً أو عاملاً في حقل عام فيحرص على إغاثة الملهوف وتفريج كربة المكروب ولو لم يكن مسلماً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (في كل كبد رطبة أجر)، وكذلك الإحسان إلى اليتيم والضعيف والجار والشريك لأن الإسلام جاء بالخير للجميع ويجب أن يكون المسلم خيراً للجميع .

وفقنا الله وإياكم للقول الصادق والعمل النافع إنه سميع قريب .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

ثم ألقى الشيخ عبدالوهاب الخلجي الأمين العام لجمعية أهل الحديث المركزية في الهند كله مبسوطه تكلم فيها عن جهود جمعية أهل الحديث المركزية وتكلم عن التصوف وهي باللغة الأوردية .

البرنامج يتواصل :

تتابع المتكلمون وتعاقبوا على المنصة أمام مكبر الصوت فكانوا يلقون كلماتهم باللغة الأوردية إلا أن كل واحد منهم يوجه كلامه إليّ في أول كلمته بالعربية أو بالأوردية على اعتبار أنني ضيف الشرف في هذا الاجتماع جزاهم الله خيراً، وقد كتبوا ذلك في صدر البرنامج الذي طبعوه للاحتفال باللغة الأوردية فنذكروا فيه ما نصه: مهمان حرم.. محمد بن ناصر العبودي ومهمان: كلمة فارسية دخلت إلى الأوردية معناه: ضيف، وحرم يراد به الحرم المكي الشريف، ويقصدون بذلك أنني ضيف قادم من الحرم المكي الشريف.

هذا وقد سمعت عريف الحفل يطلب من المتكلمين الاختصار حتى تتاح الفرصة لأكثر عدد من المتكلمين أن يتحدث في هذه الجلسة الافتتاحية التي حضرها صحفيون ورجال دين وفكر من غير المسلمين، وحتى من المسلمين الذين يخالفون أهل الحديث في المنهج كالبريلوية لأنها في الأساس ندوة بحث تتناول (الإسلام والتصوف في الميزان).

هذا وقد اختصر بعضهم الكلمات وتكلم عدد منهم كان آخرهم الشيخ مختار أحمد الندوي رئيس جمعية أهل الحديث الذي تكلم بالعربية موجهاً كلامه إليّ وأثنى عليّ ثناء لا أستحقه، ثم واصل كلمته المرتجلة بالأوردية. ولاحظت أن القوم كانوا يتابعون ما يلقي من كلمات بإصغاء عجيب واهتمام رغم كون البرنامج متصلاً بلا تنويع أو تشويق.

مع رجال الصحافة والإعلام:

انتهى برنامج الجلسة الافتتاحية في الواحدة والنصف، فنزلنا من قاعة الاجتماع في الطابق الثاني إلى غرفة أرضية أغلقها عن سائر الناس فلم يكن معنا إلا كبار القوم وعدد من الصحفيين.

وكان الصحفيون من المسلمين وغير المسلمين ويمثلون عدة صحف في المنطقة، وكان السؤال الأول عن سبب زيارتي للهند فأخبرتهم أنها استجابة لدعوة كريمة تلقيتها من المعهد السلفي هذا، وأن الدافع لي للزيارة هو حرص رابطة العالم الإسلامي على توثيق الصلات الثقافية مع المؤسسات والجهات الإسلامية في العالم ومنها المؤسسات الثقافية الموجودة في الهند.



أثناء المؤتمر الصحفي في ريشا

وقلت: إننا في رابطة العالم الإسلامي نعتقد أن توثيق العلاقات الثقافية الإسلامية مع الجهات والجمعيات الإسلامية في الهند يسهم إسهاماً كبيراً في توثيق العلاقات العامة، ما بين المؤسسات الشعبية في العالم الإسلامي وبين مثيلاتها في الهند لأن رابطة العالم الإسلامي منظمة شعبية عالمية.

وكان السؤال الثاني عن حال المسلمين في الهند كما شاهدتها، فقلت: إنني لمست أن المسلمين في الهند هم مواطنون مخلصون لوطنهم. وعن العلاقات العامة ما بين الهند والبلدان الإسلامية قلت: إن العلاقات بين الهند والبلدان الإسلامية قديمة وموجودة حتى قبل الإسلام وتكلمت على أمثلة من ذلك.

ثم سألني أحد الصحفيين المسلمين سؤالاً مباشراً فظاً وهو قوله: هل

صحيح أن السلطات السعودية ألقت بجث الحجاج المحترقة في الزباله؟ وما موقف رابطة العالم الإسلامي من ذلك؟ فقلت له: إن هذا غير صحيح، ولم تسجل رابطة العالم الإسلامي أي شيء من ذلك وهي موجودة في منى طيلة موسم الحج ومن ذلك وقت الحريق، بل لم يذكر أحد حتى هذه الإشاعة التي ذكرتها والواجب على أمثالكم من الصحفيين أن يتحرى مصدر هذا الكلام السيء وأمثاله، لأنه لا يعقل أن يحدث هذا في بلد إسلامي، لأن الإسلام يكرم جسد الإنسان كما في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ، وهذا يعم المسلم وغير المسلم فكيف يرمي بجسد المسلم في القمامة؟

ثم سألته عن المصدر الذي زعم ذلك، فقال: إنها إشاعة.



أثناء الجولة في أنحاء المعهد السلفي

الغداء في شركة تنقية الأرز:

يؤلف المسلمون أكثرية ساحقة بين سكان مدينة (ريشا) بل إن بعضهم يقول: إنها بلدة مسلمة ولا عبرة بالأقلية الضئيلة من غير المسلمين فيها- ولذلك يملكون الشركات والمصانع فيها ومن ذلك مصانع تنقية الأرز بمعنى تخليصه من قشره وتنقيته بحيث يكون جاهزاً للاستعمال.

وكان الإخوة قد أخبروني قبل ذلك أنه لا يوجد فندق في مدينة (ريشا) يمكن أن أنزل فيه ولذلك خصصوا لنزولي غرفاً في مبنى لشركة من شركات تنقية الأرز يملكها الإخوة المسلمون.

وهكذا توجهنا في الثانية والنصف من المعهد السلفي إلى مقر الشركة المذكورة أو لنقل- كما قالوا-: إنه لإستراحة كبار موظفي الشركة، ورأينا في الطريق عند مصنع آخر يملكه أحد الإخوة المسلمين المحسنين وهو الأخ الشيخ عبدالملك رئيس المعهد السلفي أكواماً ضخمة من قشور الأرز التي تم استخلاص الأرز منها.

ثم رأينا عند المصنع الذي ذهبنا إليه كومة أخرى كالهرم الكبير من القشور.

وقد جلسنا في الإستراحة المذكورة التي هي مكيفة، وفيها عدة مقاعد وسريران للنوم مع عدد من الإخوة من كبار المسلمين الذين حضروا هذا الاجتماع ومنهم.

الشيخ مختار أحمد الندوي، والشيخ عبدالمتين عبدالرحمن السلفي مدير جامعة الإمام البخاري.

وصلينا الظهر معهم في طابق علوي غاية في النظافة من هذا المبنى يشرف على منطقة واسعة جمعنا نحن المسافرين القادمين من دلهي العصر إلى الظهر، والتقطت صوراً للمنطقة من هذا الطابق ثم نزلنا إلى مكان الاستراحة المكيفة كما قلت فوجدنا الإخوة قد أحضروا طعام الغداء من أحد بيوت المسلمين الأثرياء، فكان شهياً ذكروا أنهم أبعدوا عنه الفلفل من أجلنا، وهذا صحيح بالنسبة لما اعتادوا عليه من مقدار الفلفل في الطعام، لكنه بقي منه فيه ما يلهب الفم وما بعده بالنسبة إلينا.

كان الطعام مكوناً من كاري لحم الغنم ومن لحم الدجاج أكثر من نوع، وسلطة خيار مقشر وخبز حار قد لفوه بمنديل لتلا يبرد، لأن أهل الهند لا يحبون الخبز البارد حتى إنهم في المطاعم المعتادة يخبزون الخبزة لمن يطلبها ويأتون بها إليه حارة، أما إذا اضطروا إلى إرسال الطعام بعيداً عن البيت فإن أهم ما يعملونه في الخبز أن يلفوه لفاً محكماً حتى يبقى على حرارته، ومع ذلك الأرز البرياني الدسم وقد طبخ مع لحم الغنم اللذيذ، ثم جاءوا بلحم من لحم البقر أيضاً، وقال أحدنا متنادراً: كيف تأكلون لحم البقر الذي يقده الهنادكة؟ فذكروا أن الهنادكة صاروا يأكلون لحم الغنم والدجاج، وأما لحم البقر فلا، ولم تكن العامة منهم تأكل اللحم أصلاً لأنه محرم في ديانتهم حتى إن المتمسكين منهم بالديانة لا يأكلون السمك ولا البيض أيضاً.

وذكر أحد الإخوة أنه ضمهم اجتماع مرة بعدد من المثقفين الهنود وكان أحضر من بيته (كباباً) معطراً بالبهارات والفلفل كما يفعلون بطعامهم فصارت له رائحة ذكية ولما حان وقت الطعام قالت زميلة لهم هندوكية في الاجتماع: ألا يوجد معكم طعام؟ فقال: نعم، يوجد معي

كباب، ولكنني لا أدري أهو من لحم الغنم أم من لحم البقر، يقول ذلك صادقاً وهو يظن أن ذلك سيصدها عنه، فلما تذوقته أعجبت به وصارت تأكل وتقول: هذا لحم لذيذ، وأرجو ألا تخبرني بأصله؟

وعلق أحد الظرفاء من الإخوة بأنه يجب علينا نحن المسلمين أن نحصل على فتاوى من فقهاء الهنادكة ومتعبيهم بتحريم أكل لحم البقر خاصة واللحم عامة على الهنادكة حتى يتركوه لنا نحن المسلمين، لأنهم صاروا يزاحموننا على لحوم الغنم والدجاج حتى أغلواها.

وهناك شيء آخر تطرق إليه البحث مع هؤلاء الإخوة وكلهم عالم متور وهو أن المسلمين يزيد عددهم الآن في الهند، بسبب كثرة النسل، وليس بسبب تعدد الزوجات لأن التعدد في الهند محدود ولا يجمع بين أكثر من زوجة من المسلمين إلا عدد قليل، وذلك راجع لعادات وتقاليد وليس إلى رأي ديني إضافة إلى قيود الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي لا يتوافر معها لكثير من الناس المعيشة المطلوبة لزوجتين اثنتين وأولادهما.

قالوا: ويجب على المسلمين أن يشجعوا هذه الزيادة لدى المسلمين، وقد انتبه لذلك بعض الهنادكة فذكروا في الصحف ووسائل الإعلام أن عدد المواليد لدى المسلمين هو ضعف عددهم لدى الهنادكة، بل إن بعضهم بالغ حتى بث صورة في التلفاز كما قيل لي أو في الصحف يظهر فيها زوجان هندوكيان ومعهما ولدان لهما وهما يقولان: نحن واولادنا أربعة لا تزيد عدد السكان في الهند، لأن الولدين يكونان عوضاً عن الأبوين، وصورة أخرى لرجل من المسلمين لديه أربع زوجات مع كل زوجة خمسة أطفال وهو يقول مع زوجاته نحن خمسة ولكل زوجة منا ٤ أطفال لذا نكون ٢٤ فرداً، وهكذا يزداد عدد السكان في الهند.

وهذا فيه تلبيس ظاهر فالمسلمون في الهند من النادر كما قلت أن يتزوج الرجل منهم بأكثر من زوجة واحدة وأما الزواج بأربع فإنه لا يكاد يوجد.

وحتى لو وجد تعدد الزوجات عند المسلمين فإن ذلك أمر طبيعي لكونهم أقلية عددية تسعى إلى ترسيخ نفسها وتقوية عددها في البلاد، وقد اعترف بهذا المعنى بعض الدول فعلى سبيل المثال حددت حكومة الصين التي يتشابه فيها الوضع السكاني بالوضع السكاني في الهند عدد المواليد للأكثرية من سكانها وهم كفار الصينيين المسمون بالخان بطفل واحد وحيد، واستثنت من ذلك الأقليات القومية، ومنهم المسلمون فسمحت لهم بولدين بدلا من ولد واحد لكونهم من الأقليات التي تسعى إلى تدعيم وجودها.

ونعود إلى ذكر المائدة فنقول: إن الأخوة أحضروا مقادير كبيرة من أنواع عديدة من الفاكهة منها عنب خالٍ من البزر وفاكهة عرفناها في ماليزيا وتسمى هناك (رامبوتان) ومعناه: الشعري لأن على قشرها زغبا يشبه الشعر، واليوسفي أو المندرين والتفاح والبخاري - بفتح الراء - والظاهر أنه نوع من الإجاص.

وكذلك فاكهة الهند المذكورة بل الموصوفة المشهورة وهي الأنبة، كما يلفظون بها أو الأنبيج كما يكتبونها في بعض كتبهم، وهي التي عرفناها في بلادنا باسم (المانقو) مع أن أسلافنا العرب الأقدمين قد عرفوها باسم (أنبا) ونكرها بعض أهل المعاجم اللغوية بهذا الاسم.

وهي مما يذكره أهل الهند من فاكهة بلادهم الجيدة، ولذلك قال شاعرهم:

إن كنت تبغى أفضل اللذات
من حسن مرأى، في نباهة سيرة
من طعمها في كل قلب شهوة
فعليك-صاح-(بأنبه) الثمرات
في لطف ذات في سمو صفات
فكأنها مجموعة الشهوات
مقر شركة تكرير السكر :

انتهى الغداء وما دار حوله من أحاديث مفيدة مع الإخوة العلماء
النبيهاء ومنهم واحد من الإخوة تبين لي أنه اطلع على كتاب العلامة
البيروني عن الهند الذي عنوانه : (تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في
العقل أو مردولة) وذكر لي أن الذي رأه فيه مما حكاه البيروني عن الهنادكة
في ذلك الوقت صحيح، وزاد ما عرفته من قبل وذكرته في بعض كتبي
عن الهند وهو أن البيروني ذكر في كتابه عن أمور الهند ما لم يذكر غيره،
بمعنى أنه لو لا كتابه لما دونه أحد، ولصار نسياً منسياً، مثله في ذلك مثل
ابن بطوطة الذي وصل إلى الهند بعد ثلاثة قرون وسجل في رحلته عنها
أشياء لم يذكرها غيره .

وكان الإخوة حصلوا على إذن من شركة تكرير السكر بأن أقيم
في استراحة لهم واسعة جيدة لمدة يوم أو يومين، بأن خصصوا خمس
غرف فيها لهم، أي للقائمين على الندوة إحداهما مكيفة تكون لي وحدي
والأربع الباقية فيها مراوح بدون مكيفات، وذلك كله بالمجان مجاملة من
الشركة للقائمين على هذا الاجتماع الحاشد.

غادرنا مكان الاستراحة في مصنع تقشير الأرز إلى الاستراحة في
مصنع تكرير السكر الذي يبعد عن الأول عشرة كيلومترات وهي مسافة
قصيرة في بلادنا غير أنها لا تعتبر كذلك في الهند لسوء حالة الطرق
وكثرة العوائق فيها من الدواب والحيوان.

كانت غرفتي في استراحة شركة السكر في الطابق الثاني واسعة مكيفة فيها سريران وحمام واسع وخزانة كبيرة وهي هادئة ومريحة، وأذكر أنه كانت معي حقيبتي اليدوية وفيها ما هو عزيز لديّ من نقود وأوراق، ولم أكن أغلقت باب الغرفة من الداخل فلم أشعر وأنا بين النائم واليقظان إلا بالخادم الهندوكي يقتمح عليّ الغرفة بدون أي نوع من أنواع الاستئذان مثل قرع خفيف على الباب أو حتى التريث في فتحه أو مثل النحنة أو إثبات الوجود، وقد أردت أن أوبخه على ذلك إلا أنني ذكرت ما أورده الإمام البيروني في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه قريباً من أن أهل الهند اعتادوا على أن يدخل الواحد منهم عليك بدون استئذان ولا يخرج من عندك إلا باستئذان.

وقد أذنت للعامل بالفعل، بل إنني أخرجته إخراجاً ثم أقفلت باب الغرفة ورحت في نوم عميق.

لقد ذكرني اللبث في هذه الاستراحة التي تتبع شركة لغير المسلمين ما صنعه أهل دربنقها في بيهار عندما زرناهم في عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ولم يكن في بلدتهم فندق فانزلوني في دار الضيافة الحكومية التي هي مخصصة لكبار موظفي الدولة الذين يأتون بمهمات رسمية حكومية، مع أنها ليست للمسلمين ولكن غير المسلمين يحترمون المسلمين الضيوف في العادة، وأذكر أنني هذا اليوم في استراحة شركة نقشير الأرز وهي مملوكة للمسلمين ولكن في العاملين فيها من هم من غير المسلمين أنهم كانوا يشيرون إلىّ بعلامة الاحترام عندهم وهي ضم الكفين مبسوطتين وجعلهما أمام الوجه، وهذه أيضاً علامة التعبد لأصنامهم، وذلك شبيه بما يفعله أهل تايلند البوذيون أيضاً.

وعندما صحت من نومي كانت الشمس قد أوشكت على المغيب، ولم يأت الإخوة الذين ذكروا أنهم سيقومون في المعهد مهرجاناً احتفالياً ساهراً يستمر حتى الثانية والنصف بعد منتصف الليل، ومن أهم الفقرات فيه كما قالوا خطاب مطول لي يتضمن الحديث عن واقع المسلمين في العالم، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم.

العودة إلى مصنع الأرز:

الاجتماع الذي جئت إليه عنوانه (التصوف في الميزان) فهو ندوة ولكنهم خصصوا جزءاً منه للاجتماعات العامة الحاشدة لأنهم قدم إليهم عشرات الألوف بشاحنات رأيت بعضها قد ملأ الشوارع، وأهل بلدة (ريشا) قد جاءوا كلهم تقريباً مع العلم بأنهم ذكروا أن عدد سكانها وضواحيها يبلغ مائة ألف نسمة.



جانب من السرادق الكبير للاجتماع الليلي في المعهد السلفي في ريشا

وقد أقاموا سرادقاً ضخماً لهذا الغرض زينوا ممراته بشرائط ذهبية زاهية، لقد عاد إليّ الإخوة قبل التاسعة فعدت معهم إلى استراحة شركة تقشير الأرز ونكروا أن موعد افتتاح المهرجان الليلي قد تأخر ولذلك يمكننا أن نطلع على عمل مصنع تقشير الأرز هذا الذي يملكه إخوة مسلمون.

رأيت العمل فيه مستمراً بنشاط في جميع أقسامه في هذا الوقت من الليل، وأخبروني أن العمل فيه يستمر ٢٤ ساعة في أوقات حصاد الأرز أو موسم إدراك الأرز مثل هذا الوقت فيتناوب العمال فيه العمل من دون توقف.

أخبرنا ونحن ندخل إلى المصنع أنه واحد من ٣٦ مصنعا للمسلمين في (ريشا) هذه لتقشير الأرز وتنقيته وتعبئته وبيعه جاهزاً للتصدير لشركات تصدره لأنحاء العالم.

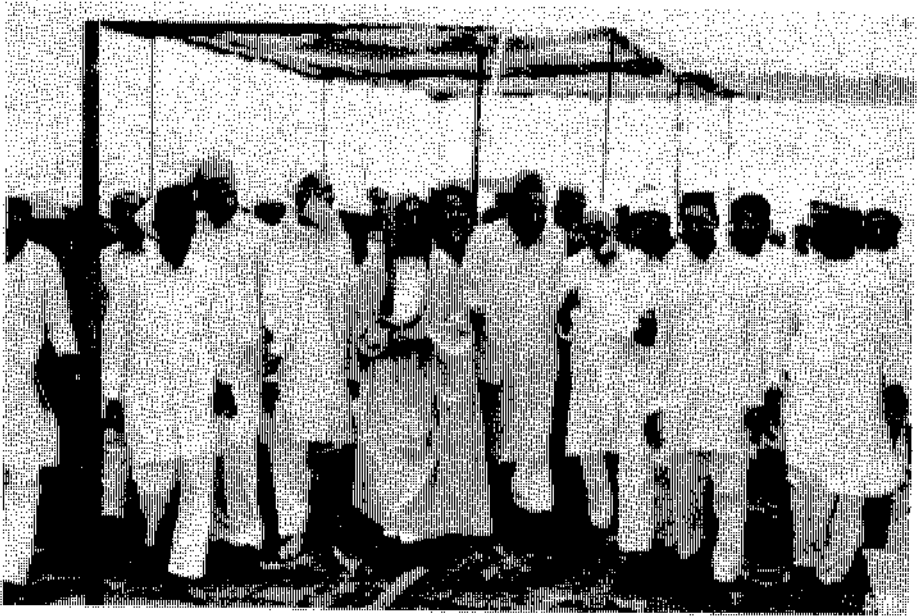
ومن الطريف أننا عندما قربنا من المصنع مع الإخوة بادر سرب من البط الأبيض الكبير بإطلاق صيحات التحذير المميزة، وقال أهل المصنع وكلهم مسلمون: إننا نكره وجود كلاب الحراسة عندنا، لذلك جعلنا هذا البط مكانها فهو ينبه بصيحاته كلما اقترب غريب من المكان، وإن كان لا يهاجمه، وقد ذكرني اتخاذهم البط بما لاحظته في منطقة القوقاز حيث تختلط قرى المسلمين من سكان البلاد الأصلاء، بقرى الروس المهجرين من الكفار فلا يعرف المرء أهل القرية من مظهر قريتهم، لاسيما إذا كانت صغيرة إلا بوجود البط الكثير في قرى المسلمين ووجود الخنازير في قرى الكفار.

دخلنا المصنع فوجدته يعمل على أشده وأروني الأرز بقشوره، وهم يضعونه في جهة من المصنع ثم أروني في نهاية المطاف كيف يخرج

الأرز مقشراً نظيفاً، بل إنهم بعد ذلك يلمعونه فيكون جميل المنظر ثم يعبونه في أكياس مناسبة، كل ذلك يتم بطريقة آلية لا دخل للعمل اليدوي فيها إلا بالمراقبة، وقد شغل المصنع مبنى بل عدة مبان متصلة واسعة.

وأروني الأرز الذي أنجزوا تنقيته في أكياسه، وقد كتبوا عليه العلامة (الماركة) وأنها ماركة (أبابل) وقالوا: نحن نبيع الأرز صافياً لشركات التصدير التي قد تكون لغير المسلمين وهي تتصرف فيه بأن تختلط الجيد منه في بعض الأحيان بقليل من الرديء ويصدرونه إلى البلدان العربية، ونحن لسنا نعمل في التصدير وإنما نشترى الأرز من الفلاحين ومن الشركات التي تجمعها غير نقي.

العودة إلى المهرجان:



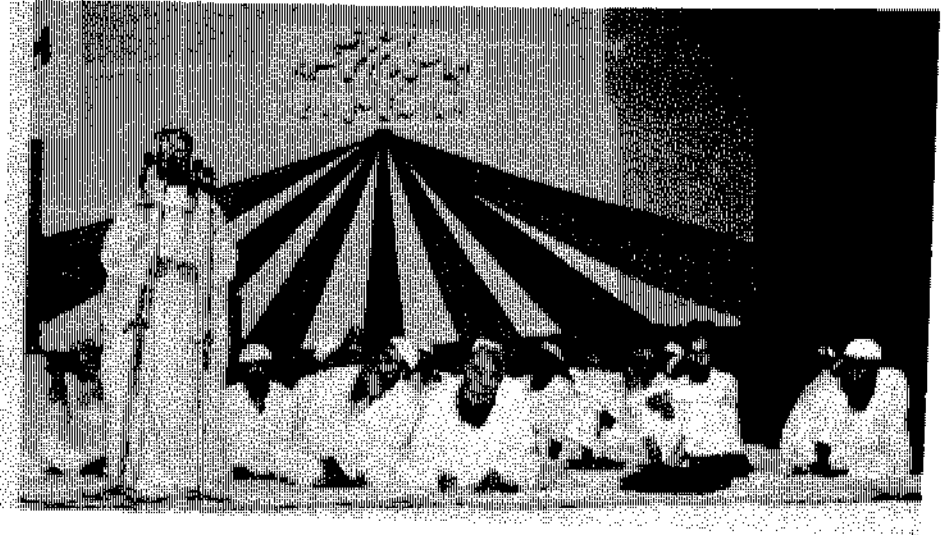
في سرادق المهرجان الليلي في ريشا

عدنا إلى مقر المعهد السلفي حيث سيقام مهرجان خطابي ضخيم فيه، فمررنا بمدرسة لجماعة (البريليويين) يسموها (مدرسة فيض الرسول) اشترى الإخوة أرضاً بجانبها لتكون للمعهد سكناً لطلابه الغرباء الذين يعيشون في داخل المعهد ودفعوا ثمنها من تبرعات أهل الخير المحسنين من أهل المنطقة، ولم يتسلموا من خارج المنطقة شيئاً، وذلك جرياً على عادة حميدة عند إخواننا أهل الهند بأن يتبرع الأثرياء وذووا المال للجمعيات الخيرية وعلى رأسها المعاهد الإسلامية، وما من ثري إلا ويكون له مشروع خيري ينفق عليه أو يسهم في إنفاقه، وقد ضربوا مثلاً على ذلك بالشيخ الحاج عبدالله، وقد جهدت في أن يذكروا لي اسمه كاملاً أكثر من ذلك فلم يعرفوه لأنه شخص معروف بل مشهور باسمه وقد استقبلنا مشكوراً في مدينة بريللي وكان معنا طيلة الاجتماع، قالوا: هو شخص ثري يملك مصنعاً لتقشير الأرز وينفق من دخله على المعهد نفقة سخية، بل وعلى غيره من المشروعات الخيرية.

وهذا ما جعلني أقول في بعض المناسبات لإخواننا العرب وغيرهم: إن عليهم أن يقتدوا بالمسلمين من أهل الهند في الإنفاق على المشروعات الخيرية أو تبني واحد أو أكثر منها.

كانت أنوار المعهد ساطعة، وكانت التزيينات بالأضواء في كل مكان مما جعلني أشفق من أن تنقطع الكهرباء عنه بسبب كثرة الصرف من الكهرباء فأخبرني أهل المنطقة أن خوفي من ذلك في محله في الأوقات المعتادة لأن الكهرباء حسب ما قررته سلطة الكهرباء تنقطع بصفة دورية مبرمجة، عن المنطقة ٨ ساعات في اليوم والليلة ولكنهم اتفقوا مع شركة الكهرباء على أن يستمر وجودها بقوة طيلة أيام الاجتماعات وإن تزيد قوتها لهم، قالوا: وقد دفعنا لذلك نقوداً واستعملنا نفوذنا في المنطقة عند الشركة فوافقت على ذلك، ولذلك لا خوف من انقطاعها الآن.

وأقاموا السرادق ومخيماً بجانبه واسعاً في بهو المعهد الواسع المكشوف ورأيت الناس فيه قد جلسوا الآن على أرضه المفروشة بالسجاد والبسط ولا يزال أناس منهم يدخلون وقد أحضروا صبيانهم معهم لأنهم أحضروا نساءهم أيضاً ولكنهم خصصوا لهن سرادقاً ومخيماً بجانب مخيم الرجال مفصلاً بينه وبين سرادق الرجال بحاجز من القماش، بحيث لا يرين الرجال ولا يرى الرجال حتى أشخاصهن، ولكنهن يسمعن ما يلقي من خطب وكلمات، وذلك على خلاف ما كان عليه الحال في النهار حيث كانوا أقاموا لهن مخيماً منفرداً جعلوا فيه بعض الأخوات المحاضرات يتوجهن بخطابتهن للنساء ويناقشن معهن ما يردن نقاشه وقد خصصوا - جزاهم الله خيراً - لي كرسيّاً في وسط المنصة الرئيسية وبجانبه كرسيان أو ثلاثة لعدد من كبار الضيوف، أما وجهاء البلدة والمنطقة، فقد جلسوا على أرض المنصة الرئيسية الأمامية التي تسمى منصة الشرف.



المؤلف يلقي كلمته من المنصة الرئيسية

في مهرجان الثقافي الليلي الذي أقامه المعهد الإسلامي في رشا

وقد ألقى خطاباً مرتجلاً في هذه الجموع الحاشدة أصغوا إليه باهتمام وانتباه، وذلك أنني تطرقت فيه إلى أشياء مهمة ربما كانوا يسمعون بعضها لأول مرة منها ما هو متعلق بدلائل النبوة حيث وقع ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفه الناس في هذا العصر ولم يعرفوه قبل ذلك، وبينت لهم أن الإسلام ينتشر الآن والله الحمد في أنحاء المعمورة.

والغريب أنه كان بين الحاضرين أعداد من الشبان والصبيان فلم يقلقوا ولم يتحركوا من أماكنهم وإنما اقتصر الأمر بالنسبة إليهم على كونهم يتمددون بمعنى يستلقون إذا تعبوا من الجلوس لأنهم جالسون على غير كراس، وحتى كبار السن كانوا يمددون أرجلهم إذا تعبوا من الجلوس.

وهذا نص الكلمة- كما أستخرجها أحد الإخوة من المسجل دون ترجمتها- بطبيعة الحال إلى الأوردية:

أيها الإخوة:

لو رأى إخوانكم في مكة المكرمة والمدينة المنورة ما أراه الآن من هذه الوجوه الطيبة الطاهرة لسروا سروراً عظيماً، واعتبروه يوماً تاريخياً يحدث به الآباء أبناءهم، إنكم لم تجتمعوا لأمر دنيوي ولم تحبوا إخوانكم القادمين إلى هذا الاجتماع لمصالح شخصية، ولكن لمحبتكم فسي دينكم ولمحبتكم بما يقربكم عند الله زلفى.

أيها الإخوة الكرام! أريد أن أشير إلى نقطة مهمة حدثت في هذا الزمان وربما كانت الآية القرآنية الكريمة تشير إليها أقول: ربما- وهي قوله تعالى ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: الآية ٥٣).

وكثير من النصوص القرآنية والنصوص من السنة المطهرة لم يظهر تفسيرها إلا في هذا الزمان مثلاً روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه (لا تقوم الساعة حتى تهجر القلاص) والقلاص جمع القلوص وهي الناقاة، والمراد من الحديث حتى تهجر الإبل، قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: هذا الحديث ليس على ظاهره لأنه إذا تركت الإبل فعلى ما يحج الناس؟ وكيف يغزون، وإنما المراد كما قال الإمام النووي أن الإبل تكثر حتى يستغنى الناس ببعضها عن بعض فيكتفون ببعضها عن بعض وهذا معنى الترك، وهذا الذي آذاه إليه اجتهاده في الشرح.

لكن نحن الآن نرى أن الإبل قد تركت في بلاد الإبل في بلاد الجزيرة العربية، الإبل لا تستعمل الآن لشيء - لماذا لأن الله سبحانه وتعالى قد أبدل الناس بها السيارات والطائرات والقطارات، وربما يكون بعد ذلك شيء آخر كما قال الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨).

وقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ربما يدل على أن المراد بذلك يخلق ما لا تعلمون من المركوبات، وإن كانت الآية عامة لأنه سبحانه وتعالى خلق بما نشاهد نحن اليوم في هذا الزمان ما لم يره الناس من قبل.

وورد حديث آخر رواه الإمام الحاكم في مستدركه، وقد قرأت نصه في الطبعة التي طبعتها دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد، الحديث ما معناه (إذا خرج الدجال صاح صيحة في المشرق يسمعا من في المغرب وصاح صيحة في المغرب يسمعا من في المشرق)؟

كيف يكون هذا؟ وكيف يفهمه الناس في ذلك الوقت نحن نرى الآن أن الدجال وغير الدجال إذا صاح صيحة في المشرق في الإذاعة والتلفاز، بل إذا تنفس يسمعها من في المغرب أليس هذا من المعجزات؟ أليس هذا من دلائل النبوة؟ ثم نحن نرى أن العلوم الحديثة قد أثبتت سعة هذا الكون الذي خلقه الله ففي الحديث:

إن أدنى أهل الجنة منزلة يوم القيامة من يكون له مثل الدنيا أو ما هذا معناه، كيف يفهم المسلم هذا في ذلك الوقت القديم؟

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم إن كثيراً من أعداء الإسلام الذين يتهمون الدين الإسلامي كانوا يقولون كيف يكون اللوح المحفوظ؟ كيف يكفي لهذه المخلوقات منذ أن وجد الإنسان إلى الآن؟ كيف يستطيع اللوح المحفوظ أنه يحتوي أعمال الناس؟ وبعض الملحدين يتخذ من هذه وسيلة إلى الطعن في الإسلام، لكن نحن نقول له: الآن رأيت المشاهد أنظر إلى ما يسمى الآن بالكمبيوتر أو بالعربية الحاسب الآلي تجد أن في أمريكا حاسباً آلياً واحداً فيه ملايين الملايين من أعمال الأمريكيين.

نحن لا نقول إن اللوح المحفوظ مثل الكمبيوتر، حاشا وكلا، ولكن نقول: إنه إذا وجدت آلة مخلوقة صنعها مخلوق، والله خلقكم وما تعملون وفيها هذا الأمر المعجز يعني العجيب، كيف يكون ما صنع الخالق سبحانه وتعالى؟ إن عند الله من العلم ما لم يخطر ببال بشر.

وكل واحد منا يعلم أن له روحاً حتى الملحدين يعرفون أن لهم أرواحاً ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أوتِيتُمْ مِنْ

العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (الإسراء: الآية ٨٥) أنظر إلى قول الله تعالى: ﴿مَنْ أَمَرَ رَبِّي﴾ وهذا في غاية الإبهام، ولكن المراد أنه أمر من أمر الله لم يطلع الله الناس على حقيقته ولذلك قال: ﴿وَمَا أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ .

ونحن نرى بني آدم كل يوم يعلمون علماً جديداً ومع ذلك العلم عند الله كثير ﴿وَمَا أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

لذلك نرى أن هذا الوقت هو وقت التدين بالدين الصحيح، هذا الوقت هو وقت الدعوة الإسلامية بالحكمة وبالموعظة الحسنة وباستعمال الأدوات الجديدة المكتشفة التي لم تعرف إلا في هذا الزمان.

أيها الإخوة الكرام ليست الدعوة مقصورة على العلماء وعلى رجال الدعوة، ولكنها واجبة على كل مسلم بقدر طاقته واستعداده، يقول الله سبحانه وتعالى مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: الآية ١٠٨)، فكل مسلم متبع لرسول الله، فإن سبيله هو أن يدعو إلى الله على بصيرة، لكن إذا كانت ليست لديه قدرة علمية أو جسدية أو مالية فيدعو بقدر ما يستطيع، والخطاب في القرآن وفي السنة إذا أطلق فإنه يشمل الذكر والأنثى، يشمل المرأة والرجل، والله سبحانه يخاطب المؤمنين والمؤمنات، والمقصود المؤمنات في بعض المواضع لكن كل ما ورد مبهماً أيضاً فهو خاص بالرجل والمرأة.

فالأخت المسلمة عليها واجب أن تبين للناس ما تعرفه من أمور الإسلام عليها واجب أن تبين لأطفالها ثم ولدها إذا كبروا، وتبين لجيرانها ولغيرهم، أن الدين الإسلامي هو الدين الحق وهو الدين الذي ظهرت

دلائله في هذا العصر أكثر مما ظهرت في العصور السابقة، الدلائل المحسوسة التي تسمى الدلائل الحسية.

يجب على كل مسلمة أن تكون داعية إلى الله بقدر ما تستطيع، ويجب عليكم أنتم أيها الإخوة أن يحاسب كل واحد منكم نفسه ماذا عمل للدعوة إلى الله؟ وماذا يستطيع أن يقدم للدعوة إلى الله؟ إذا كان لا يستطيع أن يقدم العلم لأنه لا يعلم فإنه يستطيع أن يقدم المال، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من جهز غازياً فقد غزا).

لأن النفقة في سبيل الله من أشرف العبادات، وقد حرض الله سبحانه على الجهاد بالمال والجهاد بالنفس، وقدم سبحانه وتعالى الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في جميع الآيات التي ورد فيها المال مقروناً بالنفس إلا في آية واحدة، وذلك لأهميته، وليس المراد من الجهاد بالمال أنه لا بد أن يكون الإنسان غنياً حتى يصرف شيئاً كثيراً، بل إن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: الآيات: ٧-٨).

ويروى أن امرأة تصدقت بتمره وقالت: كم مثقال ذرة في هذه التمرة؟ فلا ينبغي للمرأة أن تحقر شيئاً، أنتم والله الحمد عندكم مواقع للإنفاق في سبيل الله كثيرة، ومن أهمها هذا المعهد الإسلامي السلفي يجب أن تساعدوه، يجب أن تعاونوه بقدر ما تستطيعون، وأعلموا أن النقود التي تقدمونها الآن سيكون ثوابها عند الله عظيماً، وسيستمر لكم ثوابها.

لأنه له ثواب جميع من تعلموا في هذا المعهد الإسلامي السلفي إلى يوم القيامة ما دام هذا المعهد باقياً من دون أن ينقص ذلك من ثوابهم

شيئاً، ثم أنه يجب علينا جميعاً أن نتخلق بالأخلاق الإسلامية ونكون صادقين منصفين نظيفين ونكون خيراً لجيراننا، ولمن يتعاملون معنا، لماذا؟ لأن الإسلام هكذا يجب أن يقول الناس للمسلم هذا هو المسلم وهذا هو الإسلام الذي جعله في هذه المكانة من الخلق الرشيد، ولا ينبغي أن يقول القائل ماذا نعمل؟ فيجب أن نعمل ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها إذا استطاع خيراً كبيراً عمله، وإن استطاع خيراً قليلاً عمله، وربما عمل قليل إذا صحبته النية الحسنة، وكان جهد المقل، ربما كان خيراً كبيراً أكثر مما يبذله بعض الناس ولو كان مادياً أقل مما يبذله على غني.

أيها الإخوة! أكرر شكري لله سبحانه وتعالى الذي قدر لنا هذا الاجتماع المبارك، وأكرر شكري للقائمين على هذا المعهد الإسلامي السلفي بريشا، وعلى رأسهم أخونا الشيخ الحاج عبدالملك، وإخوتنا الآخرون المساعدون والعاملون والمدرسون في هذا المعهد، وكذلك أكرر شكري للإخوة الكرام في جمعية أهل الحديث المركزية وعلى رأسهم صاحبنا وصديقنا الشيخ مختار أحمد الندوي أمير جمعية أهل الحديث، وكذلك الشيخ عبدالوهاب الخلجي الأمين العام للجمعية الذين أتاحوا لي هذه الفرصة المباركة الطيبة التي تفوق الأمنية، ولكن الله إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وله الحمد والمنة، ونعدكم أيها الإخوة إن شاء الله بأن ندعو الله في الحرم الشريف لكم جميعاً رجالاً ونساءً الذين حضروا في هذا المجلس، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع قلوبنا على ما يرضيه، وأن يجعل محبتنا خالصة لوجهه الكريم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

العودة إلى مدينة بريللي:

غادرت مقرالمهرجان في الثانية عشرة (منتصف الليل) عائداً مع الإخوة بسيارة واحدة إلى مدينة بريللي التي تبعد ٤٦ كيلومتراً عن مكان الاحتفال في بلدة (ريشا) تاركاً المهرجان يواصل نشاطه الذي ذكروا أنه استمر حتى الثانية والنصف بعد منتصف الليل، وحضره حتى آخر فقراته عشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال.

كانت العودة إلى مدينة (بريللي) سهلة في هذا الوقت من الليل، بسبب اختفاء الحيوان والمشاة من الطريق وقلة مرور السيارات فيه.

وقد وصلناها في الواحدة بعد منتصف الليل، ويذكر أنه لم يشعر أحد من المرافقين ولا غيرهم بالخوف من السير في هذه الساعة المتأخرة من الليل، لأن البلاد آمنة والطرق الهندية في هذه المنطقة لا خوف على من يسلكها.

وودعني الإخوة الذين حضروا معي بالسيارة عائدين إلى (ريشا).

يوم الأحد: ١٩/١/١٤١٨هـ:

البريلليون:

الطائفة المشهورة بالبريلوية، نسبت إلى رئيسهم الذي عاش في مدينة (بريللي) هذه، ولكن النسبة إلى (بريللي) المدينة ليست دقيقة فهناك أقوام وطوائف في مدينة (بريللي) مركز المحافظة وفي المحافظة نفسها ليسوا على مشرب هذه الفرقة، بل هناك أناس فيها يناقضونهم، ويدعون إلى عكس ما يدعون إليه، وهم أهل الحديث على سبيل المثال، ومنهم الذين أقاموا هذا المهرجان وندوة البحث في التصوف التي قدمنا إلى المنطقة من أجلها، ولذلك رأيت أن نسبتهم إلى (بريللي) ليست دقيقة، وبعضهم يسمونهم الفرقة الخرافية البريلوية- نسبة إلى الخرافة التي تناقض الحقيقة، ولكن ما يفعلونه حقيقة واضحة، وليس خرافة من الخرافات، وهم من أكثر أهل الهند ولعا بالمقبورين وإظهار قبور من يعتقدون فيهم الصلاح، والبناء عليها وأحيانا الخضوع لها، كما هو معروف عنهم، ولا ينافسهم في هذا الأمر المتعلق بالقبور إلا الشيعة بالنسبة إلى رموز قبور أهل بيت الرسول، لذلك كان نعتهم بالقبوريين وتسميتهم به وصفا صادقا ليس فيه تجن عليهم، ولا ذكرهم بما ليس فيهم، هذا والتعريف بهم وبيان تاريخهم، وتفصيل أحوالهم مذكور في كتاب العالم السلفي المحدث الأستاذ إحسان إلهي ظهير رئيس جمعية أهل الحديث في باكستان فقد ألف كتابا حافلا في بيان ذلك واستشهد عليه بشواهد من كتبهم، وما على من أراد الاستقصاء في أمرهم إلا أن يرجع إلى ذلك الكتاب المطبوع رحم الله مؤلفه.

وقد رأيت أنه ينبغي لي وقد وصلت إلى مدينة (بريللي) حيث منطلق دعوتهم، وقبر زعيمهم أن أزور مقرهم زيادة استطلاع ومعاينة، ولما كان لا بد من الحديث مع من يقتضي الأمر أن نتحدث معه منهم، وذلك يكون باللغة الأوردية بطبيعة الحال فقد طلبت من الأخ الشيخ عبدالوهاب الخلجي أن يصحبني في الزيارة على أن نتنكر تنكراً سلبياً لئلا يرانا من لا يعرف اتجاهنا فيظن أننا جئنا إلى قبر زعيمهم من باب الاقتداء بهم أو التقليد لهم، لذلك خلعنا القلانس (الطواقي) التي نلبسها، وعلقت مصورتي في يدي وسرنا مع دليل من أهل المدينة بعد أن أنهينا علاقتنا بالفندق الذي نسكنه .

طريق حضرة الأعلى :

وصلنا شارعاً متفرعاً من الشارع العام الذي يقع في قلب مدينة (بريللي) وإن لم يكن واسعاً السعة المطلوبة فقرأنا لافتة صغيرة على شارع منه مكتوبة بالأوردية ذات الحروف العربية : (راه أعلى حضرت) و(راه) هي طريق ويراد بها هنا : شارع، وأعلى حضرت معناها : حضرة الأعلى، وهو لقب شيخ (البريلوية) وقد سمي هذا الشارع بأسمه واسمه الكامل هو (رضاً أحمد خان بريلوي).

دخلنا هذا الشارع الفرعي الذي هو طويل جداً ولكنه ضيق جداً بحيث أن سيارتنا لا تستطيع السير فيه إلا بصعوبة بسبب زحام الدراجات الهوائية والركشاولية وعربات الركشا ذات المحرك وأحياناً السيارات- على قلة- مع مرور كثيف من المشاة.

وقد وقفت السيارة فيه عدة مرات، إذ عطّلها الزحام.

وأكثر من يراهم المرء هنا هم من المسلمين سواء أكانوا من أصحاب الحوائيت التي تقع على هذا الشارع أو من المارة مع وجود طائفة من أهل البلاد الهنادك لا يخطئها النظر.

وأكثر ما يلفت الانتباه هو الحجاب غير الكامل على النساء وهو الذي يستر كل البدن ما عدا الوجه والكفين، وبياض نسبي على بعض الوجوه وبخاصة وجوه المسلمات سببه عدم بروزهن للشمس مثلما تفعل الهندوكيات.

وعجبت من كثرة الدراجات النارية التي كثيراً ما يكون على الواحدة منها أكثر من راكب مثل واحدة عليها أسرة بكاملها مؤلفة من الأب وهو السائق والأم وطفلين وعلى جانبي الشارع مجاري المياه المستعملة على هيئة قناة ضيقة مفعمة بالمياه، مياهها تسير بانتظام مبعدة عن الشارع.

مررنا بلافتة تقول: جامعة رضوية.. وهي منسوبة إلى رضا أحمد خان شيخ البريلوية.

كما مررنا بزقاق مكتوب عليه اسمه: منظر إسلام رضا نقر، ونقر: معناها: حي أو محل.

وصلنا إلى زقاق ضيق، أفضى إلى زقاق أضيق منه فوجدنا فيه مقبرة الشيخ (رضا أحمد خان بريلوي) وابنيه، وذلك في بناء أشبه بالمنزل الواسع عندما وصلناه استرعى انتباهنا شيئان أولهما: رجل خرج بطفل له صغير مريض يحمله بين يديه كأنه جاء به إلى قبر (البريلوي) استشفاء، ورجل مريض هزيل أيضاً منظره كذلك وإن لم يذكر لنا أحد قصته.

ورجل أمرنا عندما أردنا دخول البيت أن نخلع نعالنا في الخارج أي عند مدخل البيت مما يلي الزقاق، وقد صدعنا بالأمر، وخلعنا أحذيتنا

كما يفعل من يدخل إلى المسجد، وذلك لمجرد عدم الخلاف مع هؤلاء القوم- سرنا بعد الدخول في ممر قصير أفضى إلى المقبرة حيث وجدنا بهواً واسعاً معتنى به فيه قبر الشيخ البريلوي وابنيه أحدهما اسمه (محمد مصطفى رضا خان) وقبره على يمين قبر الشيخ، والثاني (محمد ربحان رضا خان) وهو على يسار قبر الشيخ.

ولاحظت قلة الموجودين عند القبر رغم احتفائهم به، وملاحظتهم لنظافته والعناية به، ومن ذلك أنهم نثروا زهوراً وردية كثيرة على قبر الشيخ وعلى القبور الثلاثة في بناء فخم عالٍ وسط رواق واسع معتنى به.

ورأينا بعض طلبة العلم أظنهم اثنين أو ثلاثة يطالعون في كتاب وهم يتجهون لقبر الشيخ وامرأة تتجه إلى القبر بخشوع.

كما رأيتهم يفعلون عندها ما يفعلون عند قبر نظام الدين في دهلي، وذلك بكونهم لا يستدبرون القبر عندما يريدون الخروج منه، والابتعاد عنه فيظلون يسرون القهقري حذراً أن يولوه ظهورهم احتراماً له، وفوق القبر قبة كبيرة مزينة بكتابات عربية ولوحات عديدة.

وبينما كنا نتأمل القبر وما حوله دخل رجل زيه زي طلبة العلم سألناه عن اسمه فقال: (محمد شاهد نوري) قال لنا وقد رأنا ليس على رؤوسنا شيء: لماذا لا تضعون على رؤوسكم شيئاً وكنا ثلاثة، فقلنا: إننا نخففنا منها فنأدى فتى وكلمه بشيء لم نسمعه، وقلنا له: متى توفي الشيخ فأشار إلى لوحة هناك، وإذا بها عليها تاريخ وفاته في عام ١٩٠٢م.

ونظرنا إلى تاريخ الفراغ من بناء القبة التي على القبر والأبنية الأخرى وقد كتبوا عليها أنها بنيت قبل خمس عشرة سنة، فقلت له: إن

هذا يدل على أنها بنيت بعد وفاة الشيخ بزمن طويل، فقال: هذا صحيح، قلت: وهذا يدل على أن الشيخ ربما لا يكون علم أنه سيبنى فوق قبره قبة، فهل تعتقد أنه يرضى بهذا المبنى الذي منه القبة على قبره؟ فقال: أعتقد أنه لا يرضى بذلك.

وقد سنحت الفرصة للبحث معه في بعض الأمور غير أن الفتى الذي كان قد تكلم الرجل معه بشيء عاد ومعه ثلاث قلانس (طواقي) فأعطانا إياها وأمرنا أن نضع كل واحد منها واحدة على رأسه احتراماً للشيخ- كما قال- فقلت له: إنه لا حاجة لذلك.

وهنا غضب غضباً شديداً، وقال: كيف لا تحترمون الشيخ؟ فتدخلون عليه ورؤوسكم حاسرة؟ وقد احتد إلى درجة أنه لم يستطع أن يبادلنا الكلام وقطع ما بيننا وبينه من حوار.

والمفجع أننا عندما فرغنا من تأمل المكان وهو واقف لا يتكلم مددت إليه يدي بصفة آلية مثلما يفعل من يمد يده إلى من كان معه في مكان عندما يريد أن يغادره فقبض يده، ولم يصافحني. وذلك من أجل عدم احترام الشيخ كما يقول.

أما نحن فإننا لم نفهم أن يكون رجل مات قبل ٩٥ سنة يغضب أو يهان إذا دخل شخص المكان الذي قبر فيه حاسر الرأس.

وقلت في نفسي: لو كان هذا الشيخ حياً سوياً لما احتشمنا منه إلى درجة أن نغطي رؤوسنا إذا رأيناه فكيف به وهو ميت قد اشتغل بما قدمه من عمل عن مثل هذه الأمور.

وعندما امتنع الرجل عن مصافحتنا تركناه وخرجنا من المقبرة إلى الزقاق الضيق الذي يقع عليه مدخلها، وذلك الرجل يتبعنا على بعد فوجدنا في الزقاق مكتبة حافلة بالكتب ومعها تئاتم و تعاويد تباع على الذين يحضرون إلى القبر، فطلبنا من البائع في المكتبة أن يعطينا كتاباً عن الشيخ (البريلوي) يكون بالعربية أو الإنكليزية، فذكر أنه لا يوجد عنده شيء عنه بالعربية، وإنما أكثر الكتب هي بالأوردية وذلك ظاهر ماعدا كتاباً واحداً بالإنكليزية اشتريناه منه.

لقد حزنت لهذه البدعة التي يعظمونها وينكرون على من يزعمون أنه ينتقصها وهي بدعة البناء على هذه القبور التي هم عندها عاكفون كما رأيتهم اليوم، وكما عرف عن عامتهم في غير هذا المكان.

ورأينا الزقاق الضيق قد زينوه بأشرطة ملونة من أشرطة لا أدري لأية مناسبة وضعوها إلا أن يكون ذلك لمناسبة رأس السنة الهجرية.

ومثلما أنه توجد في سماء الزقاق أشرطة ملونة بهيجة فإنه يوجد في أرضه مما يلي الحيطان قناة المجاري للمياه المستعملة ولكنها أضيق من تلك القناة الموجودة في الشارع المسمى (راه أعلى حضرت).

عاد الرجل الذي لم تكن معاملته كريمة، بل لم يكن فيها شيء من الكرم لأنه يعلم أننا غرباء، وقد جئنا للإطلاع والمعرفة، فكان أولى به ألا يعاملنا بمثل هذه المعاملة وواصلنا التجوال في الأزقة الضيقة القريبة من المقبرة فرأينا مركز البريلوية فيها عليه لافتة ضخمة مكتوبة بالأوردية ذات الحروف العربية، وأخرى عليها كتابة بالأوردية نصها الذي يفهم منه المقصود بالعربية هو (دار الإفتاء نوري رضوي قطب

عالم مفتٍ أعظم مولانا مصطفى رضا خان رحمه الله، بنى على ذكراه.. وذلك أن ابنه محمد ربحان هو الذي بنى هذه الدار وجعلها داراً للافتاء لذكرى أخيه (مصطفى رضا خان).

ولم نحاول دخول هذه الدار حذراً مما لقيناه عند القبر، كما أننا لم نجد على بابها ما يدل على أنها مفتوحة، وإلا فإنها نظيفة معتنى بمظهرها رغم كون الزقاق الذي تقع فيه بعكس ذلك فهو غير نظيف.

مغادرة المدينة:

عدنا إلى سيارتنا في الشارع الطويل الضيق (راه أعلى حضرت) فكان السير فيه مرهقاً حتى أشفقت من أن يخرج سائقنا سالماً منه دون أن يصيب أحداً أو يصيبه أحد.

وذلك أن الشارع ضيق منذ تأسيسه قبل أن تكثر السيارات والمركبات ويزيد سكان المدينة، وقد استمر على ذلك دون توسعة وعناية به بحجة عدم الإمكانات المالية، وهي حجة واضحة في ظاهرها ولكنها غير صحيحة في واقع الأمر، لأن الدولة من واجبها رعاية المرافق العامة كالشوارع والميادين، وألا تنتظر بها حتى تعجز عن استيعاب المارة بها أو تكاد كما هو حاصل الآن.

إضافة إلى أن أي صاحب سيارة أو مركبة يفضل أن يدفع رسماً نافهاً على أن يتعطل في سيره، أو يصاب بأذى في مركبته جراء الزحام. وقلت في نفسي: ألا يصح أن يقال في حقهم ما قاله أحد الظرفاء من سكان بريدة وهو (الحمد لله على الفقر وقل الدراهم) وقل الدراهم: قلتها عنده.

وذلك أن أهل هذه المدينة وأشباهاها من المدن الهندية لو فرض أنهم أصابوا حظاً من الغنى فجأة فإن معنى ذلك أن توجد عندهم سيارات ومركبات إضافية ومعنى هذا أنهم لا يستطيعون التحرك في شوارع مدنهم ذات الشوارع الضيقة التي تضيق الآن بمرورهم.

ومررنا بقبر عليه بناء مجدد وبجانبه قوس ومنازلتان اصطناعيتان ذكروا أنهم أقاموه احتفالاً بالقبر والدفين فيه وأنهم يسمون مثله (عُرساً) بمعنى الاحتفال.

وعندما أفلتنا من زحام المرور في داخل المدينة وقف أصحابنا بالسيارة عند مقصف يبيع الأشربة الباردة في شارع عام يسمى (ناننتال رود) بمعنى الطريق إلى (ناننتال) وهو مصيف مشهور عندهم يقع في مكان جبلي مرتفع، والنقطة صورة له.

وقبر العروس:

والأقرب لأذهان قرائنا الكرام أن نكتبها (العريس) لأن العامة في البلدان العربية اصطالحوا على أن كلمة عروس تعني الرجل الزوج وعروس تعني الزوجة غير أنها في الفصحى تستعمل أيضاً للرجل.

وقبر العروس أو العريس بلغة العامة هو قبر عليه بناء يسمونه (دولها شاه ميان) ودولها معناها: عريس، وشاه: ملك - بكسر اللام، ذكروا أنهم لا يعرفون من أمره إلا أنه مات قبل أن يتم زواجه، وقال أحد الإخوة: ربما كان أحد الصوفية فقد قبر وحده وبني عليه القبوريون بناء صار يزار ويتبرك به.

وفي ضواحي المدينة وقفنا قليلاً مع غيرنا من السيارات في انتظار قطار يمر في طريقه الذي يعترض طريق السيارات.

وبعده كان الزحام بالغاً وكانت أبواق السيارات الصغيرة وعربات الركشا ذات المحرك تزعج الراكبين والراجلين.

ومررنا بحفرة من الحفر الكبيرة المنتشرة في أكثر الولايات الهندية وهي التي تحفر في الأصل من أجل أن يجتمع فيها الماء في موسم الأمطار، ثم يبقى فيها الماء ينتفع به الناس والدواب حتى يحين موعد الأمطار فتمتلي يمنعها من الجفاف قرب مستوى الماء في جوف الأرض وتكرار مواسم المطر، ولكنها تكون في العادة كدرة متغيرة اللون، وقد رأيت واحدة منها رمادية اللون في منطقة رمادية التربة لذلك صار لونها رمادياً، وفيها جواميس رمادية اللون أيضاً، كأنما أجسامها مغبرة مع أن الماء ليس فيه غبار.

ثم مررنا بمستنقع يزرع فيه الأرز فيه فلاحون شديدي السمرة حتى تكاد تصل بهم السمرة إلى لون الرماد.

ونذكروا أن هذه المنطقة ليس فيها نهر وإنما فيها مياه جوفية غزيرة بحيث أن كثيراً من الناس يكتفون بحفر بئر ارتوازية تكفي للري في أوقات الجفاف.

العودة إلى (ريشا):

وصلنا (ريشا) عائدين إليها من مدينة (بريللي) في الساعة الواحدة فقصدنا المعهد السلفي في جولة على أقسامه، وصلينا الظهر والعصر جمعاً في مسجده الواسع النظيف.

وضع حجر الأساس:

كان البرنامج يشتمل على الاحتفال بوضع حجر الأساس لبناء فصول جديدة للمعهد السلفي زيادة على الفصول الموجودة، وذلك لكثرة الطلاب وضيق الفصول الحالية عن استيعابهم.

وجدتهم أعدوا لبناً من الأجر، وخلطة من الأسمنت فبدأت بوضع اللبنة ثم وضعت بعض الأسمنت عليها قائلاً: بسم الله وعلى بركة الله، والحمد لله الذي يسر البدء بهذا المبنى المبارك بإذن الله نسأل الله تعالى أن يعين إخواننا الكرام على إتمامه، وأن ينفع به المسلمين في هذه البلاد.



عند وضع حجر الأساس في المعهد السلفي

ثم أخذ وجهاء القوم يضعون بعدي شيئاً في ذلك الأساس، وقد جعلوا وضع حجر الأساس في البرنامج انطلاقة مما ذكروه من وصفهم

لي بأنتي الضيف القادم من الحرم الشريف ، ومن أجل شيء آخر لم يذكره وهو أن أكون شاهداً على البدء في المشروع حتى إذا احتاج إلى مساعدة من الرابطة أو غيرها على إتمامه ساعدهم ذلك .

وقد استكملنا الطواف على المعهد بطابقه وأعجبني ما رأيته فيه من عناية ومنها أنهم خصصوا مساكن أسمى صغيرة للمدرسين وأسرههم في جانب من المعهد ، إضافة إلى مساكن للطلبة الذين يعيشون داخل المعهد حيث يسكنون ويأكلون ويتعلمون ، وأرونا مطبخاً واسعاً يعد وجبة الغداء للطلبة .

مسجد أهل الحديث :

غادرنا المعهد السلفي متجهين إلى داخل بلدة ريشا فزرنا مسجد أهل الحديث في منطقة من المدينة تعتبر ضاحية إلا أنها بازقتها الضيقة ولة النظافة فيها تبدو كوسط قديم مهممل .

زرنا فيها المسجد الذي ليس فيه مدرسة وإنما تقع في جانبه المدرسة السلفية المحمدية وهي مدرسة جيدة ، ومما يجدر ذكره أن في مدينة (ريشا) ١٨ مسجداً ٦ منها لأهل الحديث ، و ١٢ للبريلويين ، وكلية المدينة المنورة للبنات .

غير بعيد من المسجد تقع (كلية المدينة المنورة للبنات) وهي مدرسة واسعة المبنى جيدة الاستعداد تضم (٣٠٠) طالبة يدرسن فيها من دون أن يسكن، وذلك لأنهن من بنات هذه البلدة المسلمة اللاتي يمكنهن الحضور إلى المدرسة والانصراف بعد الدراسة إلى منازلهن دون مشقة . وذلك خلاف طلاب المدرسة المحمدية السلفية حيث يعيش بعض

الطلاب فيها من الذين يأتون من أماكن بعيدة وعددهم ١٧٥ طالباً وهؤلاء هم الذين يعيشون داخل المدرسة.



في كلية المدينة المنورة للبنات

وهذا من العجب العجاب من أمر إخواننا المسلمين في الهند كيف يستطيعون إيجاد هذه المؤسسات الخيرية ثم تسييرها على الوجه المطلوب لهم لسنوات عديدة، مع أنها كلها قائمة على التبرعات.

وتتألف كلية المدينة المنورة للبنات من ثلاث طبقات مبنية بالأسمنت المسلح القوي ويطل عليها مسجد أهل الحديث ببناؤه الشامخ الجيد أيضاً.

ثم عدنا مع أزقة البلدة في هذه الضاحية التي هي ضيقة مع أن القياس أن لا تكون كذلك لأنها ضاحية قريبة من الخلاء والأرض الفارغة حولها واسعة.

ونزلنا عند بيت أخ كريم من أهل الحديث في هذه المدينة عرفته بنشاطه في بدنه، وببذله ماله في العمل الإسلامي، وهو الأخ (محمد أسلم) وفقه الله وزاده من العمل الصالح.

فقد أخبرنا الإخوة أن جزءاً كبيراً من تنظيم هذا المهرجان وقع على عاتقه حتى وجدناه يكاد يفقد صوته من كثرة كلامه في التدبير والعمل.



داخل أحد الفصول الدراسية لكلية المدينة المنورة للبنات في ريشا

كانت أزقة الحي الذي يقع فيه بيته مهملة أكثرها ليس فيه زفت وبعضها فيها مياه ساربة متغيرة، ومع ذلك فإن بيته خلاف ذلك فكان نظيفاً مرتباً مؤثثاً بأثاث جيد، وكانت الغرفة التي قدم فيها الطعام معتمة بحيث لا يوجد فيها ذباب واحد.

وجدناه قد مدّ السماط على الأرض وجلس عليه معنا نحو عشرين. وجاءوا بالطعام الحار حساً ومعنى فهو حار من حرارة النار وحرارة الفلفل ولكنه شهى لذيذ الطعم، وعماده لحم الدجاج الذي طبخ على أكثر من وجه، ومعه الخبز الذي يأتون به ملفوفاً في خرقة لئلا يفقد حرارته، والأرز والفاكهة.

مغادرة ريشا:

غادرنا بلدة ريشا في الثالثة والنصف قاصدين بلدة (هدواني) التي ذكرنا أنها تبعد عنها ساعة ونصف بالسيارة، وذلك لركوب القطار منها إلى دلهي لأن قطار (بريللي) المكيف قد فات مواعده، وسيكون طريقنا غير الطريق الذي سلكناه ما بين (ريشا) و (بريللي).

كان الطريق مزدحماً بالقرى التي ترى منه أو يرى الزاهيون إليها أو الآييون منها فيه وشاحنات ضخمة تسد الطريق في بعض الأحيان أو تكاد.

قرية البئر الحمراء:

وصلنا قرية اسمها (لال كوان) ومعناه البئر الحمراء، لأن (لال) أحمر أو حمراء، بالأوردية وكوان: بئر، ذكروا أن عدد سكان هذه القرية هو

عشرة آلاف نسمة ٧٥٪. منهم مسلمون، وفيها مصنع للورق كبير حتى قال بعضهم: إنه من أكبر مصانع الورق في القارة الآسيوية، وفيها مسجد واحد.

هذا واللافتات في الطريق كلها مكتوبة باللغة الهندية لا لغة معها غيرها.

كان سيرنا جهة الشمال وجبال من الجبال المتصلة بالهملايا تسايرنا من جهة اليمين.

وقد مر الطريق بعدة قرى حيث الريف كله أو أكثره مسكون حتى وصلنا بلدة هلدواني.

وذلك في الرابعة والنصف، ويبلغ عدد سكانها ١٢٠ ألف نسمة ٢٥٪. منهم مسلمون طبقاً لما ذكره لنا الإخوة المرافقون.

كنا نسير مع شارعها العام الذي هو الطريق الرئيسي الذي جننا معه فكان مزدحماً ازدحاماً شديداً، وكان من الأشياء اللافتة للنظر فيه أكوام أواني الفخار الأحمر الذي صنع صناعة رثة يعجب المرء لوجود من يستعمله في هذا الزمان لأنه ثقيل ويصعب تنظيفه تنظيفاً تاماً لخشونته، وأكوام الفاكهة التي أنتجت في المنطقة مثل البطيخ الأخضر (الحبب) والأصفر (الشمام) والمندرين وهو المسمى في مصر باليوسفي، وبسطات كثيرة في السوق وهي التي ينشر فيها أهل البضائع بضاعتهم خارج الحوانيت على الأرض، وعلى عربات اليد، وأثار مطر كان قد نزل قبل فترة مخلفاً حمأة سوداء أثارها السدواب السائبة من الأبقار والجواميس فزادتها سوءاً على سوء ودراجة ركشايوية قد ركبت فيها أسرة كاملة وسائقها يجاهد في تحريكها، هذا والشارع كله حوانيت (دكاكين) متصلة متلاصقة.

وتركنا شارعها الرئيسي إلى شارع آخر ريفي رديف له في وسط البلدة من أجل أن نذهب إلى محطة القطار فوجدناه مستقيماً لا بأس بسعته إلا أنه لا أثر فيه للنظافة فهو أقل بكثير في هذا الأمر من الشارع العام، وزاد على ذلك أن كان مزدحماً بالشاحنات التي كانت واقفة فيه يكاد بعضها يلتصق ببعض، ويعجب المرء من كثرة الشاحنات الضخمة في الهند ووجودها ظاهرة في أي مكان ذهب إليه من الهند وأكثرها إن لم تكن كلها صنع الهند ومن صنع شركة واحدة هي (شركة تاتا لصناعة السيارات).

ووصلنا محطة القطار بعد أن سألنا أكثر من واحد عنها عند وصول قطارنا بالضبط فأسرعنا ندعو إلى العربة التي حجزنا فيها في الدرجة الأولى، ولو كنا تأخرنا ٣ دقائق أو أكثر لفاتنا القطار.

ومن عجب أن هذا القطار أسبوعي يعني إن هذه الرحلة فيه إلى دلهي لا توجد إلا مرة واحدة في الأسبوع هي هذه التي تقوم في يوم الأحد مثل يومنا.

وليس المراد أنه لا توجد قطارات إلى دلهي غيرها فهي موجودة ولكنها ليست قطارات مكيفة جيدة.

من هولديوانتي إلى دلهي:

وجدنا القطار كله مكيف الهواء كما ذكروا لنا من قبل، وهو أحسن من القطار الذي جئنا به من دلهي إلى (بريللي) إلا أن الأول كانت فيه أسرة للنوم وأما هذا فإنه ليس كذلك وإنما العربة فيه تشبه داخل الطائرة من حيث التكييف وكون مقاعها متحركة حسبما يريد الراكب، وزجاجها معتم من أجل إراحة النظر.

هذا وقد أخبرونا أن مدينة (هولدواني) هذه تبعد عن دلهي (٣١٠) كيلات يقطعها هذا القطار في خمس ساعات ونصف.

بادرنا عامل عندما استقرينا في القطار بأن بسط موائد كانت في ظهور المقاعد كما يكون في الطائرة وأحضر وجبة طعام خفيف فيها فطيرة صغيرة وخبزة وقطعة من الحلوى وحلوى مغلفة أيضاً من (الشوكولاتة) وشاي على صفة شبيهة بما يكون في الطائرة.

والقطار نظيف وهاديء والركاب في الدرجة التي ركبنا فيه قليل، وهم من أغنياء الهنود ويبدو ذلك ظاهراً عليهم.

وقد بادر سائق القطار بتحريكه بسرعة دون أن يسمع لذلك صوت تنبيهه كالمعتاد.

وسار بأرض معمورة بالزراعة ليس فيها فراغ إلا فراغ أرض أعدت للزراعة ولم تزرع، أو حرثت وتركت فترة لكي تخصبها الشمس والرياح، ولم أر أنهاراً أو قنوات وإنما معظم الري فيها من آبار ارتوازية رأينا بعضها يتدفق منها الماء، ولا شك أن الأمطار الموسمية الغزيرة تعوض ما يسحب من هذه الآبار في جوف الأرض، ورغم عدم وجود أنهار فإن في الأرض مستنقعات عديدة ضيقة وهي من صرف المياه المستعملة في الزراعة ومن بقايا موسم الأمطار الذي ذكرته.

وهناك الحفر التي فيها الماء التي ذكرتها فيما سبق ويستفيدون منها بالانتفاع بمائها رغم كونه كدرأ وغير نظيف كما أخبرت أنه يعيش في بعضها نوع من السمك.

ولاحظت أن المزارع هنا ضيقة بمعنى أنها قطع صغيرة كما لاحظت أن الجواميس هنا أكثر من البقر والهنداك لا يعظمونه كما يعظمون البقرة، بل إنهم لا يعظمون الثور، بل يهينونه ويحملونه الشاق من العمل بخلاف البقرة.

مواصلة الضيافة:

إضافة إلى ما قدمه القطار لنا من طعام فور صعودنا إليه قدم لنا في الساعة السابعة حساء جيداً حاراً ذا فلفل معتدل الحرارة ومعه عصا قصيرة من الكعك، وهذه أول مرة أرى فيها من يقدم الحساء (الشربة) وحدها في طائرة أو قطار أو نحوها فالعادة أن يقدم الحساء في أول الطعام كما يفعل الأوروبيون الفرنسيون ومن تابعهم أو في آخر الطعام كما يفعل الصينيون أما أن يقدم منفرداً فلا.

وكان لتقدمه وقع لذيذ في النفس فهو حار نوعاً والحرارة كانت مطلوبة داخل القطار لأنه كان مكيفاً تكيفاً جيداً حتى إن الركاب طلبوا أغطية يتقون بها البرد.

هذا وقد غربت الشمس قبيل الساعة وما زال في الوقت بقية قبل الوصول إلى دلهي على حين أنه يمكن قطع هذه المسافة في نصف ساعة بالطائرة مع توفير المشقة والتعب، ولكن لا يوجد في المنطقة مطار.

وكانما ابتليت بعدم وجود طائرات بين المدن التي زرتها في هذه الرحلة وبين المدن التي زرتها في الرحلة التي سبقتها وهي الرحلة التي سميتها (رحلة الشمال) من الأرض لأنها كلها في أقطار شمالية بدأت

بجمهورية أذربيجان ثم تلت بجمهورية روسيا وبخاصة جمهورية داغستان ذات الحكم الذاتي داخل روسيا ثم أوكرانيا تلك البلاد الواسعة الخصبة ثم جمهورية (مالدوفا) بعدها جمهورية إرمينيا.

وقد تنقلت في مدن عديدة داخل أوكرانيا فكان العجب يتملكني أنا ورفيقي في الرحلة تلك، من عدم وجود مطارات في عواصم الأقاليم ومدنها الكبيرة فكان لابد من السفر بالقطار الذي هو بطئ أكثر بظاً من هذا القطار الهندي، أو استئجار سيارة خاصة وهي الأسهل والأسرع، وقد ذكرت ذلك مفصلاً في الكتب الثلاثة التي كتبتها عن تلك الجولة وعناوينها هي: (الرحلة الشمالية)، و(خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين) و(مواطن إسلامية ضائعة).

لم يشغل الركاب من هذا القطار الهندي الجيد إلا نحو ١٠٪. من مقاعد العربة وأخبروني أن السبب في ذلك هو غلاء أجرته، ومع ذلك كانت تهب من الراكبين بين الفينة والأخرى ريح سفلية عفنة.

هذا وبعد ساعة قدموا وجبة خفيفة لمن يريدونها ولم أردوها لكوني تغديت جيداً في بيت الأخ الكريم (محمد اسلم) في ريشا.

وبعد أن غربت الشمس لم يكن هناك ما يمكن عمله فالقطار لا تمكن الكتابة فيه لتمايله وعدم اتساق حركته وخارج القطار ظلام لا ترى منه إلا أضواء خافتة، في بعض الأحيان، وكثيراً ما يقابل قطارنا قطاراً آخر فيحدثان صوتاً مزعجاً لا شك في أنه سيكون أكثر إزعاجاً لو لم تكن نوافذ قطارنا محكمة الإغلاق إلى درجة تحد من نفاذ الصوت الهادئ منها.

الوصول إلى دلهي :

وصلنا إلى محطة القطارات (نيو دلهي) في العاشرة والنصف ليلاً بعد لبث في القطار قارب ست ساعات، وصعد حمالان إلى القطار كل واحد يريد أن يحمل أمتعتنا إلا أن موظفين اثنين نافذين أوقفاهما فهرب أحدهما أي الحمالين، وبقي الآخر فكان الموظف يريد معاقبته على كونه لم يضع على يده علامة حمالي القطار المميزة .

ثم صعد الحمال مع الدرجة العالية المتعبة وهو يحمل على رأسه قطعتين من الأمتعة لا يقل وزنها عن أربعين كيلو غراماً ثم سرنا في الممر الطويل الذي تسير من تحته القطارات حتى هبطنا مع درج عال أيضاً إلى رصيف المحطة مما يلي المدينة، فوجدنا إحدى السيارات تنتظرنا حسب ترتيب سابق، فذهبنا توا إلى فندق (كانيشكا) الذي كنت فيه من قبل، وكان مما سرني أن وجدت مع السيارة التي كانت تنتظرني جوازي قد أرسلته السفارة السعودية بدون الحصول على سمة الدخول إلى مملكة (بوتان) لأن سفارة بوتان تقول حسبما ذكره : إنه لا بد من الحصول على الإذن لمنح السمة من حكومة بوتان نفسها، وذلك يستغرق أسبوعين على الأقل .

وكننت سمعت بعد أن قدمت جوازي للسفارة السعودية لترسله إلى سفارة (بوتان) أن الوجود الإسلامي فيها ضعيف جداً حتى اختلف أهل الهند فيما إذا كان يوجد في عاصمتها مسجد، وإنما ديانة عامة الناس فيها هي البوذية، إضافة إلى ما ذكره لي أهل الهند من أنهم لا يحتاجون إلى سمة دخول إلى نيبال، وباتان، ومع ذلك لا يذهبون إليهما وهذا يدل على أن (بوتان) بلد فقير متخلف لم يجد أهل الهند على وجود الفقراء العاطلين فيه مغنماً.

لذلك لم أسف عندما عرفت أنه لا يمكنني السفر إليها في هذه الرحلة
ووضعت في نفسي السفر بعد أسام إلى إحدى الولايات الهندية البعيدة
المجاورة لها، على أمل أن أحاول الدخول إلى بوتان فيما بعد إذا تيسر ذلك.

يوم الاثنين ٢٠/١/١٤١٨هـ - ٢٦/٥/١٩٩٧م:

مغادرة دلهي:

غادرت مدينة دلهي متوجهاً إلى (جوهاتي) عاصمة ولاية أسام الهندية
الشرقية البعيدة في رحلة قصصت أمرها في كتاب (على اعتاب الهملايا).
وسوف أعود إلى دلهي بعد زيارة أسام وولاية هندية أخرى نائية
هي (مني فور) بإذن الله، وله الحمد والمنة.

ملاحظات أخيرة وتوصيات:

في ختام حديثنا عن هذه الرحلة في شمال الهند أحببنا تسجيل بعض الملاحظات والاقتراحات حول وضع الإخوة المسلمين في الهند:

١- إن المسلمين في الهند يشكلون أقلية تختلف نسبتها في بعض الولايات عن البعض الآخر فقد تصل نسبة المسلمين في بعض الولايات إلى ثلاثين في المائة وقد تنخفض في بعض الولايات الأخرى إلى عشرة في المائة إلا أن المتوسط العام لوجودهم في الهند يقارب ١٥٪. وذلك حسبما أكده لنا مجموعة منهم ممن لهم مزيد اهتمام بشؤون المسلمين في الهند، مع أننا كنا نفهم أنه في حدود ١٢٪..

٢- إن الوضع العام للمسلمين في الهند يؤكد ضرورة العناية بهم والاهتمام بتحسين أحوالهم الفكرية والمادية والاجتماعية والاقتصادية فلئن كانوا مسلمين فلهم مذاهب مختلفة واتجاهات يصعب التقاؤها ما لم تبذل مجهودات في سبيل ذلك وفرص العمل بكافة مستوياته متاحة لغيرهم أكثر من اتاحتها لهم ومستواهم العلمي دون مستوى غيرهم.

٣- نتيجة لتدني الوضع العام للمسلمين في الهند فقد استشعر المثقفون منهم واجبهم فتسابقوا في سبيل إيجاد كيان قوي للمسلمين يستطيعون فيه أن يأخذوا مكانهم اللائق بهم في بلادهم في مختلف جوانب الحياة، وكان من نتيجة ذلك أن انتشرت المؤسسات التعليمية والجمعيات الخيرية وجادوا بالكثير من أموالهم وجهودهم الشخصية حتى أوجدوا من مؤسساتهم التعليمية ما ألزم الدولة بالاعتراف بها ومساندتها.

٤- إن في الهند من المسلمين من هم في مستوى علمي وفكري يؤهلهم لأعمال قيادية في بلادهم ولهذا نجد البعض منهم يغامر بإنفاسد مشروعات تعليمية وصحية ليس لديه من الأسباب المادية لنجاح المشروع إلا العزم والتضحية والإيمان بضرورة ذلك وإنفاذه ثم التوكل على الله فيأتي الله بالخير من حيث لا يحتسب ونستطيع أن نذكر مثلاً لذلك وما أكثر الأمثلة. ذكر القائمون على كلية الحسانا للبنات في مدينة بنقلور في ولاية (كرناوك) بجنوب الهند عزمهم على إيجاد مبنى يتفق مع متطلبات الحياة الدراسية بعد أن شعروا بالضيق والحرص في مبنى الكلية القديم، ولم يكن لديهم من المال ما يبني لهم غرفة فضلاً عن إقامة مبنى مكتمل وبمجرد بدئهم في البناء تسابق أهل الخير وتجار المسلمين وأعيانهم إلى تمويل المشروع فرأيناه وقد اكتمل غالبه بتصميم متقن وبناء متين.

٥- مسح الولايات الهندية للتعرف على النشاطات الإسلامية ونوعية كل نشاط، وذلك عن طريق الإيعاز إلى الجهات المعنية في بلادنا بانتهاز فرص إقامة المؤتمرات العلمية في الهند لبعث وفود منا يكلفون بحضورها ثم زيارة ما يتيسر زيارته من المؤسسات ذات الأنشطة الإسلامية في مختلف جوانب الحياة وتقديم تقارير عن كل مؤسسة تتم زيارتها يشتمل كل تقرير على نوعية النشاط ونتائجه ووسائل تطويره وإسناده.

٦- تشجيع هذه المؤسسات بمختلف وسائل التشجيع ونذكر من ذلك ما يلي:

(أ) مدهم من المال بما يكون عوناً لهم على إنفاذ وتطوير مشاريعهم الخيرية.

(ب) الإكثار من المنح الدراسية في جامعات بلادنا لأبناء المسلمين في الهند ممن يتخرجون من المعاهد الإسلامية في بلادهم وتخصيص عدد من المنح الدراسية في العلوم العصرية كالطب والهندسة وغيرهما.

(ج) تشجيع التعامل التجاري مع أبناء المسلمين في الهند، حيث إن كثيراً من تجار المسلمين في الهند ومن هم في مستوى الشعور بمسئولياتهم الإسلامية تجاه الاهتمام بالمسلمين في بلادهم يرغب أن يكون له تعامل تجاري مع بلادنا، وقد أبدت لنا مجموعة منهم هذه الرغبة وألحوا بإبلاغها لسوالة أمورنا، وفقهم الله.

ونعتقد أن التعامل معهم بعد تذكيرهم بواجب الأمانة والنصح والإخلاص في المعاملة يعطيهم مزيداً من الدعم والقوة وفي ذلك تمكين وتقوية للكيان الإسلامي في الهند.

(د) إعطاؤهم الأولوية في استيراد الخبرة واليد العاملة عن طريق رؤساء جمعياتهم بعد تذكيرهم بواجب حسن الاختيار لمن تتوافر فيه صفات الأمانة والنصح والإخلاص والتأكيد عليهم بأن التساهل في ذلك يعطي الفرصة لتزعزع الثقة فيهم ثم الاستغناء بغيرهم عنهم.

(هـ) إيجاد تعاون وثيق بين المعاهد والجامعات في المملكة العربية السعودية والجامعات الإسلامية في عموم الهند وذلك بتبادل الخبرات والمشورات والتوصيات.

(و) تشجيع دور الصحف والنشر والطبع الإسلامية فيها كجزء من الإطار العام للتوعية الإسلامية والجانب الإعلامي لبلادنا ونعتقد أن ذلك يتم بمجموعة عوامل منها المساعدات المالية واستقدام وفود صحفية تتاح لهم فرصة الإطلاع على مختلف جوانب الأنشطة التقدمية في بلادنا ليقوموا بنقل مشاعرهم إلى أمة تعتبر من أكثر الأمم عدداً وأحوج الناس إلى أن يعرفوا ما يجري في البلدان العربية عامة وفي مهبط الوحي ومنطلق الرسالة المحمدية.

ومن عوامل التشجيع شراء ما يتيسر شراؤه من المؤلفات العلمية ليتم توزيعها بين المسلمين فيهم وفي مواسم الحج ومواقيت المؤتمرات.

(ز) ضرورة استقدام بعض المسؤولين عن التعليم الجامعي في المؤسسات التعليمية الإسلامية في الهند عن طريق الجامعات في البلدان الإسلامية ليتم التشاور معهم في تنشيط هذه الأجهزة التعليمية وتزويدهم بالكتب والخبرات وما يلزم لذلك.

(ح) إيجاد ملحق ديني وآخر ثقافي يكون مقرهما العاصمة الهندية دلهي يشرفان على سير النشاط الإسلامي من جانبي الدعوة والتعليم ويراقبان نتائج الدعم لذلك ويقومان بتقديم المشورة فيما يتعلق بشؤون الدعوة والتعليم.

وينبغي أن يعرف أثرياء المسلمين أن مائة ريال تنفق على المشروعات الإسلامية في الهند من افتتاح المدارس وإقامة المؤسسات الاقتصادية لأبناء المسلمين تعادل نتيجة ألف ريال ١٠٠٠ تقدمها الدولة لمساعدة مؤسسة إسلامية

في بلاد أخرى مثلاً، ذلك أن في الهند رجالاً يجعلون من الريال عشرة
بينما لا نجد ذلك الصنف من الناس في غالب البلدان الأخرى .
إننا بذلك لا نقلل من النتائج لمساعدتنا في تلك البلدان ولكننا نؤكد
أن في الهند تربة خصبة للمساعدة تعطي أجمل النتائج وأشهي الثمار .
فضلاً عما في ذلك من تنمية قاعدة للتضامن الإسلامي تعتبر من
أقوى قواعده .

ونكرر القول بضرورة العناية بالهند وأنها تربة خصبة ستعطي العناية
بها نتائج إيجابية تدعم التضامن الإسلامي والرد على المفتريات
والتشكيكات الموجهة ضد الإسلام إضافة إلى أن في ذلك قياماً بواجب
الدعوة إلى الله بقدر الاستطاعة .

وأمر موجه إلى المسلمين من أهل البلاد :

وهو أن يجتهدوا في تيسير الحصول على العلم والمعرفة، لأبناء
المسلمين في الهند، سواء أكان ذلك لمعرفة الأمور الشرعية كما هو حاصل
أم للتزود من العلوم التجريبية والمواد العلمية المادية كالطب والهندسة
والصيدلة والمحاسبة وحتى علوم الذرة والحاسب الآلي .

ويجب أن يضعوا نصب أعينهم أن ذلك واجب لا ينبغي أن يفرطوا
به، لأنه سبيل قوي إلى مزاحمة غيرهم على الوظائف الحكومية،
والجامعية، وبالتالي سبيل لمشاركة المسلمين في الأمور المهمة لبلادهم،
كما أنه سبيل لمعرفة كيفية إنشاء الشركات والمؤسسات المالية إنشاء
عصرياً يكفل الربح والمكانة لمن يسهمون فيها من المسلمين .

أما تعلم العلوم الشرعية فإن ذلك مهم لجميع المسلمين غير أن

المطلوب التبحر فيها لطائفة من المسلمين كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢]

أما الطوائف الأخرى بعد أن تعرف العلم الضروري من التربية الدينية فإنها تتجه إلى العلوم المدنية الأخرى مسلحة بما عرفته من أمر الدين لتكون مسلحة أيضاً بما تستطيع الحصول عليه من علوم الدنيا .
وقد رأيت طريقة حميدة للإخوة المسلمين في عدد من البلدان ومنه استراليا وبعض الدول الاسكندنافية وحتى البرازيل في أمريكا الجنوبية وهي إنشاء المدارس المدنية الدينية إن صح التعبير وهي أن يتفق القائمون على المدرسة مع السلطات الحكومية المسؤولة عن التعليم على أن يتضمن منهاج الدراسة في المدرسة الأشياء المهمة من البرنامج الحكومي غير الديني بنسبة ٦٠٪ مثلاً وأن تخصص نسبة ٤٠٪ أو ٣٥٪ للموضوعات الإسلامية وذلك نظير أن تشرف الحكومة على سير الدراسة في المدرسة ، وعلى تعيين الأساتذة المؤهلين فيها وأن تعترف بشهاداتها فتقبل المتخرجين فيها في مراحل الدراسة التي هي أعلى منها .

وهذا لا يقصد منه - بطبيعة الحال - أن يلغي المدارس الدينية القائمة أو أن يقلل من أهميتها وإنما هو رافد لها يغني أبناء المسلمين عن الالتحاق بالمدارس المدنية الحكومية والمدارس المدنية التي تتبع الطوائف الأخرى .

مع التمسك بالمدارس الدينية التي كانت ولا تزال العاصم القوي بإذن الله لأبناء المسلمين عن نسيان ثقافتهم الإسلامية وتربيتهم الدينية .

آخر الدواء:

يقول العرب (آخر الدواء الكي) أي إذا لم ينفع الدواء في مرض أو

نحوه فإنه ينبغي أن يصار إلى الكي بالنار.

وقال بعض زعماء المسلمين في الهند: هل يبقى المسلمون في الهند بمدون رقابهم لمتعصبي الهنادك حتى يقطعوا رؤوسهم ولا يكتفون بذلك حتى يخرجوهم من بيوتهم ويحرقوا متاجرهم ويضيقوا عليهم في معاشهم؟ وبطبيعة الحال كان الجواب: لا.

وإذا ما العمل؟

والجواب: أنه إذا استمرت العصابات الهندوكية في تعصبها وإيذائها للمسلمين فإنه لا بد للمسلمين من أن يقابلوا ذلك مستهدين بالآية الكريمة (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) (البقرة: الآية ١٩٤).

وهذا يتطلب أن تتدرب طائفة من شباب المسلمين تدريباً جسدياً قوياً وتدريباً عسكرياً على السلاح والقتال، بما في ذلك معرفة مكافحة أعمال التخريب التي تقوم بها عصابات الهنادكة التي لا تفهم إلا لغة القوة.

ويجب على زعماء المسلمين في هذه الحال ألا يستعملوا ما يفعلونه من ذلك إلا في الدفاع المشروع عن النفس والمال والعرض.

ولدى المسلمين من المثل والتضحية بالنفس ما ليس عند غيرهم، ويجب أن يشعر متعصبو الهنادك وغيرهم أن المسلمين ليسوا شياهاً تذبح، ولا حيواناً يضغط عليه فلا يكون لذلك رد فعل عنده.

ويجب أن يحذر علماء المسلمين وعقلاؤهم زملاءهم في الوطن من زعماء الهنادك والمفكرين منهم ألا يلجئوا المسلمين إلى ذلك بتصرفاتهم الرعناء التي تعتمد القوة دون القانون، وتعتدي على المسلمين دون أن تحسب حساباً لما لذلك من رد فعل مدمر للجميع.

الفهرس

٣	ولاية اتربراديش
٥	معلومات عن ولاية (اترابراديش)
٩	اليوميات في شمال الهند
١١	من بنارس إلى دلهي
١٣	عرس سيخي
١٥	جولة في دلهي الجديدة
١٧	وصف مدينة دلهي
٢٦	من دلهي إلى أقرأ
٢٦	فريد آباد
٢٧	مدينة تغلق آباد
٢٩	ومدينة بکول
٢٩	أبراج البريد
٢٩	وأبراج أخرى
٣١	حدود الولايات
٣٢	مدينة أقرأ
٣٣	مقبرة السلطان أكبر
٣٤	طوق من الحيات
٣٥	فتح بورسکري
٣٦	هذه فتح سکري
٣٧	قصر الشاه
٣٨	المسجد الجامع
٤٢	مُعَلْ هوتيل
٤٥	القلعة الحمراء
٤٩	العودة إلى دلهي
٥٠	في مقر الجماعة الإسلامية

٥٠ قطب منار
٥٢ أسطونة السعادة
٥٤ قطب الدين أبيك
٥٦ مغادرة الهند
٥٧ عَوَدَ إلى شمال الهند
٥٩ من بتنة إلى لکنو
٦١ في مطار لکنو
٦٤ ندوة العلماء
٦٧ من مثل هؤلاء فلنتعلم
٧٠ الطعام المبارك
٧٢ يمسحون الرصيف بأجسامهم
٧٤ جولة في ندوة العلماء
٧٧ المجمع العلمي
٧٩ مواصلة الجولة
٨٠ عيد القرد
٨٢ إلى حديقة الحيوان
٨٤ بين القرد الذي عبده، والقرد الذي قيده
٨٥ الطاووس بدون ألوان
٨٧ دور الحيات غير الحيّة
٨٨ جلسة عمل
٨٩ إمام بارا
٩٢ إلى الطابق العلوي
٩٤ إلى جامع بير محمد
٩٦ النصب التذكاري للجنود
٩٦ مساء لکنو
١٠٠ ليلة قطارية أخرى
١٠١ ذكريات في لکنو

١٠٤	التعريف بندوة العلماء
١٠٤	ندوة العلماء تاريخها ونشأتها
١١١	العودة إلى الواقع
١١٥	غازي آباد
١١٥	هذه دلهي
١١٩	إلى سرنقار عاصمة كشمير
١٢١	عودًا أخير لشمال الهند
١٢٣	من الرياض إلى دلهي
١٢٨	في مطار دلهي
١٣٢	مأدبة أهل الحديث
١٣٤	الوثنية المجسمة
١٣٦	جمعية التبليغ
١٣٧	الاجتماع بأهل الحديث
١٤٢	الثقل وأبوه
١٤٥	إلى ولاية إترابرايش
١٤٦	محطة نيودلهي
١٤٩	من دلهي إلى بريللي
١٥٠	محطة غازي آباد
١٥٤	محطة مراد آباد
١٥٦	هذه بريللي
١٦٠	صباح بريللي
١٦١	من بريللي إلى ريشا
١٦٥	قرية بوجي فوره
١٦٦	بلدة ريشا
١٦٨	الحفل الخطابي
١٨١	البرنامج يتواصل
١٨٢	مع رجال الصحافة والإعلام

١٨٥ الغذاء في شركة تنقية الأرز
١٨٩ مقر شركة تكرير السكر
١٩١ العودة إلى مصنع الأرز
١٩٣ العودة إلى المهرجان
٢٠٢ العودة إلى مدينة بريلي
٢٠٣ البريلليون
٢٠٤ طريق حضرة الأعلى
٢٠٩ مغادرة المدينة
٢١٠ وقبر العروس
٢١١ العودة إلى (ريشا)
٢١٢ وضع حجر الأساس
٢١٣ مسجد أهل الحديث
٢١٦ مغادرة ريشا
٢١٦ قرية البئر الحمراء
٢١٨ من هولدواني إلى دلهي
٢٢٠ مواصلة الضيافة
٢٢٢ الوصول إلى دلهي
٢٢٣ مغادرة دلهي
٢٢٤ ملاحظات أخيرة وتوصيات
٢٢٨ وأمر موجه إلى المسلمين من أهل البلاد
٢٢٩ آخر الدواء
٢٣١ الفهرس

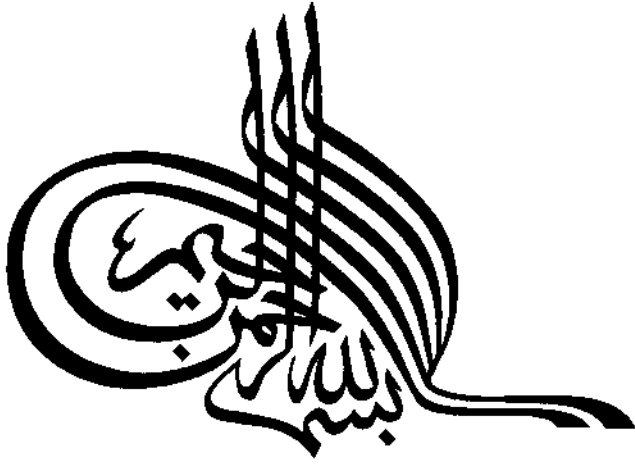
الرحلات الهندية:

نظرات في شمال الهند

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الجزء الأول



كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

- (١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- (٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا - الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- (٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- (٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- (٥) رحلة إلى سيلان - الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
- (٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- (٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- (٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- (٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- (١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- (١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- (١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- (١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- (١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- (١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- (١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- (١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- (١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- (١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- (٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- (٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.
- (٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
- (٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.
- (٢٧) بين الأرغواي والباراغواي - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.
- (٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- (٣٠) زكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- (٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- (٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

- (٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
- (٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
- (٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.
- (٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.
- (٣٧) نظرة في شرق أوروبا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.
- (٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
- (٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
- (٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- (٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
- (٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- (٤٣) بلاد القرم- نشرته دار القبلة في جدة.
- (٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.
- (٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

- (٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.
- (٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.
- (٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.
- (٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.
- (٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.
- (٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.
- (٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.
- (٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- (٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- (٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- (٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- (٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.
- (٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.
- (٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.
- (٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.
- (٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- (٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- (٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- (٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- (٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- (٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

- (٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- (٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- (٦٩) إقليم سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- (٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- (٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- (٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢١هـ.
- (٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.
- (٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- (٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- (٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- (٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإتراباديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- (٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- (٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- (٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- (٨١) العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- (٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.
- (٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- (٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- (٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- (٨٦) ذكريات من خلف الستار العقدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- (٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- (٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- (٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- (٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- (٩١) الإمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى.
- (٩٢) رحلة هونغ كونغ وماكاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- (٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- (٩٤) شمال سيبيريا (من سلسلة الرحلات السيريرية) مطابع النرجس، الرياض.
- (٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض.
- (٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض.
- (٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.
- (٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنابوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبيا (من سلسلة الرحلات البرازيلية).
- (٩٩) من غينيا الإستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية.
- (١٠٠) نظرات في شمال الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) (وهو هذا الكتاب).
- (١٠١) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

- (١٠٢) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.
- (١٠٣) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.
- (١٠٤) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت داره الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.
- (١٠٥) كتاب السقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.
- (١٠٦) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكاتب المدارس - نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- (١٠٧) ماثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.
- (١٠٨) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- (١٠٩) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- (١١٠) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- (١١١) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- (١١٢) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٣) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١١٤) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٥) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (للمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١١٦) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (للمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١١٧) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(١١٨) الدعوة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٩) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(١٢٠) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٢١) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض،
١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٢) (جِمْ العوام)، طبعته في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٣) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن
منشوراتها داره الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٢٤) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام
١٤٢١هـ.

(١٢٥) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي،
وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٢٦) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في
الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٢٧) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها
صالح بن عبدالله العبودي.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الذي دعا إلى الحق المبين وعلى سائر الهداة المخلصين للدين الحق المبين السابقين منهم واللاحقين.

أما بعد: فإن هذا الكتاب يتحدث عن مواضع في شمال الهند زرت بعضها زيارة مقصودة لذاتها، وزرت بعضها مروراً في الطريق إلى مناطق أخرى في الهند، وكنت أزمعت أول الأمر أن أجعل جميع ما أكتبه في الرحلات عن الهند كتاباً واحداً، ولكنني وجدت أنها كثرت بحيث لا يحتملها كتاب واحد، بل إن بعضها أصبح كتابين بعد أن كان كتاباً واحداً وهذه الكتب هي.

(نظرات في شمال الهند) وهو هذا الكتاب.

(في الشمال الشرقي من الهند) وهو مطبوع.

(وسط الهند) لا يزال مخطوطاً.

(جنوب الهند) وهو مطبوع.

(غرب الهند) وهو مطبوع.

(راجستان بلاد الملوك) وهو مطبوع.

(الاعتبار في السفر إلى ملبيار) وهو مطبوع.

(في الشمال الغربي من الهند) لا يزال مخطوطاً.

(شرق الهند) وهو مطبوع.

(سياحة إلى كشمير) وهو مطبوع.

(على أعتاب الهملايا) ولا يزال مخطوطاً.

(مقال في بلاد البنغال) وهو مطبوع.

فهذه اثنا عشر كتاباً عن بلاد الهند، وفيما يتعلق ببلاد أخرى كان الأقدمون يعدونها من الهند وإن لم تكن منها الآن مثل سيلان التي كان أسلافنا الأقدمون يسمونها (سرنديب)، بمعنى جزيرة الياقوت، ثم صاروا يسمونها (سيلان) وجاء المتأخرون من أهلها فأسموها (سيريلانكا).

ومثل نيبال التي تقع ملاصقة لشمال الهند، ولكل من القطرين كتاب مطبوع.

أما كتب الهند فإن بعضها بقي مخطوطاً لأنني صرت أسارع إلى طباعة كتبي التي تتحدث عن بلاد بعيدة، معتبراً أن الهند جار لنا قريب، وإن بعض بني قومنا يعرفون بعض ما فيه من أمور، وإن كنت أعتقد أن أكثرهم لا يعرفون أكثر ما في الهند، وبخاصة ما يتعلق بنشاط الإخوة المسلمين في إقامة المؤسسات الإسلامية، وفي بناء المساجد، وافتتاح المدارس والمعاهد الإسلامية، بل الحرص على أمور دينهم أكثر مما يحرص عليه إخوان لهم في الدين في بلاد أخرى.

ولقد هيا الله لبلادنا قادة يسعون إلى مساعدة الإخوة المسلمين في الهند مثلما يسعون إلى مساعدة غيرهم من المسلمين على أمور دينهم، فكان لرابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد نصيب كبير من تنفيذ تلك السياسة التي تتعلق بالتعاون مع الإخوة المسلمين في الهند على البر والتقوى من دون ابتغاء أي نفع سياسي أو إعلامي، أو حتى انتظار شكر أو تقدير من وراء ذلك، لأنه عمل قصد به أن يكون خالصاً لوجه الله.

ولكن الإخوة الكرام من مسلمي الهند أبوا إلا أن يبادروا بالشكر والدعاء بالأجر لمن تعاون معهم، أو عاون على عملهم فكانوا يحسنون استقبالنا، ويحفظون

أمالنا في أن يقدموا ما يستطيعون من عمل صالح من غير انتظار لإحسان من أحد ولا اعتماد على بشر، فكان هذا داعياً لزيادة الاتصال والتعاون حتى لم تبقى مدينة من المدن أو مركز من المراكز في الهند، فضلاً عن الولايات إلا وفيها أثر من آثار التعاون بين الجهات العاملة في العلاقات مع الإخوة المسلمين من المملكة العربية السعودية، وذلك في المساعدة على مسجد يشاد، أو مدرسة تقام أو جمعية إسلامية تدعم، أو مشروع خيري اجتماعي يُسير.

وكان لي نصيب وأي نصيب من إيصال الخير من بلاد الحرمين إلى أولئك الأخوة الأذنين، حتى زرت ولايات الهند من أقصى الشمال في كشمير إلى أقصى الجنوب في كيرلا، و (تأمل نادو) وفي شرقيها من ولاية أوريسا وغرب البنغال، إلى غربها في ولايات (مهاراسترا) وكجرات وراجستان.

وفي كل هذه الولايات وغيرها كنت أينما حللت أفيد ما رأيته أو سمعته مما يتعلق بما رأيته، وأكثر القول فيما يتعلق بالإخوة المسلمين ومؤسساتهم كما قيدت ما لاحظته من أمور عامة في البلاد تتعلق بالأقوام الأخرى في الهند.

إن الإخوة المسلمين في الهند يزيد عددهم الآن على مائة مليون نسمة، وهم أكبر أقلية مسلمة في العالم ولكنهم مع ذلك كانوا ولا يزالون يعانون من الأكثرية الهندوكية التي يربو عددها على ثمانمائة مليون، إذ نشأت ناشئة منهم طورت التعصب ضد المسلمين الذي كان موجوداً في السابق في بعض الصدور، أو كان محصوراً في بعض السطور، فحولته إلى مبادئ أحزاب سياسية، وجمعيات اجتماعية، وصارت تغذي ذلك التعصب وتنتشر المفتريات حول ما فعله المسلمون بالهنداكة عندما كانوا يحكمونهم في تاريخهم القديم، ناسين أو متناسين أن المسلمين حكموا الهند أو أكثر أجزائه قرابة ثمانمائة سنة، ولو كانوا يريدون أن يبيدوا الهنداكة

لفعلوا من دون أن تتطرح فيها عنزان، ومن دون أن يشعر بذلك أحد من العالم في تلك العهود، لأن زيادة الخصوم هو من الأمر المفهوم، في تلك العصور، ولكون وسائل الاتصال بين الشعوب كانت معدومة، فكانت الوقائع العظمى الداخلية غير مفهومة إلا للأقربين من أهل ذلك البلد.

كما أن المسلمين لو كانوا يريدون أن يحولوا الهناكة عن دينهم إلى الدين الإسلامي قسراً وجبراً لفعلوا ذلك في تلك الدهور التي كانت تفهم مثل هذه الأمور.

وواجبنا نحن المسلمين في العالم أن نأخذ بأيدي إخواننا المسلمين في الهند فنساعدهم من الناحية الثقافية والدينية، دون أن نتدخل في الشؤون الداخلية لهم أو لبلادهم الهندية، وإذا كان لابد من التدخل فليكن للإصلاح والإيضاح بأن المسلمين يجب أن يكونوا مواطنين هنوداً صالحين يستفيد منهم الوطن، وينتظرون مقابل ذلك أن يعترف لهم بخصوصيتهم الدينية، بل بأصالتهم الإسلامية، وهذا هو ما فعلناه، وما صرنا نقوله في المحافل والمحاشد، والله خير شاهد.

وأما هذا الكتاب فإنه خاص - كما قلت - بالكلام على مشاهدات في بعض شمال الهند من ولاية (أترا برديش) بمعنى الولاية الشمالية وهي كبرى الولايات الهندية من حيث عدد السكان وإن لم تكن أوسعها في المكان، لأن أوسع الولايات الهندية على الإطلاق هي ولاية (مدهي برديش) بمعنى الولاية الوسطى.

وكذلك يتكلم الكتاب على أماكن في منطقة دلهي العاصمة التي هي بمثابة الولاية المستقلة.

وهو في مجمله كتاب رحلة وحديث عن أمور ظاهرة حاضرة،
ومع ذلك رأيت ألا أخليه من شيء من الدراسات والمسائل التي تستحق
البحث من الأمور العامة في الهند التي هي مشتركة بين الولايات الهندية
ولم يجر تخصيصها لبحث في كتاب من كتب الرحلات الهندية الأخرى.

إذ صيرت هذا الكتاب بمثابة المقدمة أو الدائرة الشاملة
للموضوعات التي تشغل بال الإخوة المسلمين خارج الهند.

وقد رتبته على موضوعات اعتمدت فيها على نقول وأقوال لغيري،
إلا أنني مزجتها أو برهنت على بعضها بما عندي من معلومات شخصية
عن الهند، مما هو مكتسب في الجولات في الولايات الهندية.

والله من وراء القصد..

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



المدن الهندية

غرائب الهند
كما لاحظها المؤلف

مختصر الحياة:

والمراد بذلك الحياة المختصرة التي هي المتقصرة على أقل من الضروريات.

وقد لاحظت في جولاتي في الأرياف الهندية أن معظم الناس في القرى يعيشون معيشة يصح أن توصف بأنها أقل من القليل من الحياة التي يراد بها التمتع بما في الحياة الدنيا من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن.

فرايت الرجال يلبس الواحد منهم فوطة صغيرة يضعها على عورته المغلظة ليس غير، بمعنى أنه ليس عليه غيرها، وهذه كانت حال ملايين منهم.

ورأيت أنهم لا يتمتعون حتى بشرب الماء النقي أو الذي يبدو نقياً، وإنما يشربون من بقايا ما تخلفه الأمطار، أو تحفظه الأرض الطينية من مياه، رأيت النساء يغتسلن منها ويغسلن ملابسهن وملابس أطفالهن، وبعض تلك المياه في الحفر أو البرك الطبيعية غير المعنتى بها تتغير حتى يصبح ماؤها أخضر اللون، ومع ذلك يستقي الناس منها الماء.

وأما النساء فإن أمرهن أعجب إذ الفقر والعوز هو السائد عليهن، حتى إن بعض الشابات منهن أو غير العجائز - على الأقل - يعملن في البناء كما يعمل الرجال، وليس المراد بذلك أنهن ينجزن من العمل ما ينجزه الرجال، وإنما المراد أنهن يعملن في هذا الميدان ويتقاضين على ذلك أجراً يتناسب مع هزالهن وصعوبة الحركة عليهن، رأيت ذلك في عدة ولايات، ولعل أكثره ظهوراً في ولايتي بيهار ومهاراسترا، وقيل لي عندما رأيتهن أول الأمر: إن أجر العاملة الواحدة منهن لا يتجاوز ما يعادل ريالاً سعودياً ونصفاً أو ريالين.

ورغم فقرهن الواضح الذي حدا بهن إلى هذا العمل الشاق بأجر زهيد فإن الواحدة منهن ترتدي اللباس الهندي التقليدي للمرأة وهو الساري الذي يضرب أسفله حتى يصل الأرض، وله ما يشبه الرदन أو الطرف الذي يشبه طرف الغترة مع جهة واحدة لا تفتأ المرأة تحاول أن تتسفه على كتفها لئلا يؤذيها عند الحركة، فيعود إلى مكانه من صدرها.

وأكل الجميع مثل ذلك فهو حفنة من الأرز أو كسرة صغيرة من الخبز غير المأدوم.

وقد رأيت في الهند وبخاصة في مدينة بومبي شيئاً لم أراه في أي مكان آخر من العالم وهو مساكن الأرصفة التي تتمثل في أن طائفة من الناس يعيشون طول حياتهم على أرصفة الشوارع ليس لهم من المساكن إلا خيشة أو قطعة من الورق المقوى (الكرتون) يفترشونها أو يجعلونها كالصندوق الكبير الذي يسترهم وأما مكان قضاء حاجاتهم فإنه الأماكن العامة، وأما الطعام فإنه ما تيسر، وأما اللباس فإنه الذي على الجلد ليس غير.

ومع ذلك:

يجد المرء في المقابل أن طوائف من الهنود صاروا خبراء في البحوث العلمية المتقدمة كبحوث الذرة وصناعة الصواريخ والطائرات النفاثة، وقد فجروا الذرة بالفعل وملكوا السلاح الذري وصنعوا الصواريخ البعيدة المدى وصنعوا الدبابات وغيرها من الأسلحة.

وهذا من العجب!

وكان المتبادر للذهن أن يفكروا في كسوة أولئك العارين وإطعام الجائعين، ومداواة المرضى والزمني من شعبهم قبل أن ينفقوا النفقات

الطائفة على تلك البحوث الغالية المكلفة، ولكنهم كان هاجسهم القوة والتفوق على باكستان في المجالات العسكرية المهمة.

ولاشك في أن ذلك ناشئ من عادات درجوا عليها وأفوها حتى صاروا لا يستتكرونها وهي متخلفة من العصور التاريخية القديمة التي لا تبالي بفقر الفقير، ولا بمصائب الطبقات الشعبية السفلى التي يسمونها المنبوذين الذين لا تقتصر بلواهم في القنيم على كون الأغنياء والنبلاء لا يبالون بهم، ولا يصنعون شيئاً من أجلهم، كما يفعل كثير من أمثالهم في أنحاء العالم، وإنما يتعدى ذلك في الهند إلى درجة الإهانة والاحتقار والتعدي حتى بالقتل إذا ما تجرأ شخص من الطبقات المنبوذة على مخالطة طبقة (البراهما) الراقية بزعمهم في مأكّل أو ملبس أو نحوه، بل كانوا في القديم يعاقبونهم حتى لمجرد أن يقع ظل المنبوذ على البرهمي، لأنه ينجس البرهمي بوقوع ظله عليه، ولكي يتقي البرهمي تلك النجاسة يعاقب المنبوذ عقاباً أليماً ويجعله يفر من وجه البرهمي ولا يدع ظله يصل إليه.

مما حملني على أن أقول: إن أهل الهند في الأرياف والقرى الهندوكية يعيشون معيشة ناقصة أو هي حياة مختصرة ولكنه اختصار مخلّ.

الزهور:

مع ما ذكرته فإن المرء لا يخطئ بصره في المدن الكبيرة أن يرى باعة أو بائعات للزهور وهم أو هن بلباس زري، ومظهر لا يدل على العناية بالزهور، ولكن واقع الأمر خلاف ذلك فهم يبيعون الزهور ويشتري الناس منهم.

وأغلب الزهور التي يبيعونها ذات ألوان قرمزية، ولما أبديت

عجبي من ذلك لإخواننا في الهند أخبروني أن لذلك منحى دينياً، فهناك أنواع من الزهور تدخل في الديانة الهندوكية ولا أدري صحة هذا ولكنه مما يثير العجب في بلاد العجائب: بلاد الهند.

لأن المتبادر إلى الذهن أن الإنسان الذي يعاني نقصاً في الغذاء أو الصحة أو اللباس لا يعتني بالزهور، فضلاً عن أن يبحث عنها ويشتريها بثمن.

مثمناً أن العاشق إذا كان جائعاً عريان فإنه ربما ينسى عشقه حتى يشبع أو حتى يذهب عنه الجوع والعري.

عبادة الحجارة:

تكثر التماثيل في الهند لأغراض دينية عميقة الجذور، فلا يخطئ نظر المرء وبخاصة في المعابد أو ما قرب منها تماثيل لما يسمونه آلهة أو إلهات، وأقبح تلك التماثيل الخاصة بالفرجين، وهما فرجا الذكر والأنثى، حيث يقُدس بعضهم الفروج أو يعبدونها يزعمون أنها هي سبب الوجود، لأنهم يرون بسذاجة أن الإنسان يأتي منها فيعتقدون أنها سبب وجوده.

وحتى الأشياء الضارة كالحيات والأسود يجعلون لها تماثيل يعبدونها لأنها تمثل القوة بزعمهم، وهم يعظمون كل ما هو قوي ولو كانوا يقولون: إنه شرير أو إنه معاد لهم.

وذكر ابن النديم صاحب كتاب الفهرست في وصف أديان الهند: أن لهم صنماً يقال له (مهاكال) له أربعة أيد ولونه "أسمانجوني" كثير شعر الرأس سبطه كاشر الأسنان كاشف البطن، على ظهره جلد فيل يقطر منه الدم.

قد عقد بجلد يدي الفيل بين يديه، وبإحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه، وبالأخرى عصا، وبالثالثة رأس إنسان، واليد الرابعة قد رفعها، وفي

أذنيه حيتان كالقرطين، وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد اتفا حوله، وعلى رأسه إكليل من عظام القحف وعليه من ذلك قلادة، ويزعمون أنه عفريت من الشياطين يستحق العبادة لعظم قدره وتخلقه بالخصال المحمودة والمذمومة والمكروهة من العطية والمنع والإحسان والإساءة، وأنه المفزع لهم في الشدائد^(١).

وهذا يجرنا إلى الحديث عن كثرة ألتهم، وتعددتها فهي تعد بالآلاف المؤلفة، وقد ذكر البيروني عنهم منذ ألف سنة أن عدد ألتهم يصل إلى مئات الألوف.

البقرة:

ولكن البقرة من أكثر الأشياء التي يقدسونها ويعظمونها ظهوراً ووضوحاً، فهم يعظمونها إلى درجة أنهم لا يؤذونها حتى بالضرب، أو اعتراض سبيلها، وطالما رأيت الأبقار رابضة في شوارع بعض المدن تعيق المرور وتربك السير، ولكن لا أحد ينتهرها فضلاً عن أن يبعدها عن قلب الشارع.

ولههم في تعظيمهم البقرة أمور مضحكة، فهم يشربون أبوها ويتمسحون بها يتبركون بذلك.

وقد قال أحد فلاسفتهم وقيل: إنه غاندي: إن في البقرة مظهراً لثلاثة آلاف إله، ولكنهم لا يفعلون مثل ذلك التعظيم للثور، الذي هو والد البقرة وابنها، فتراهم يحملون عليه الأحمال في العربات التي يجرها الثور، لا يفعلون ذلك بالبقرة.

(١) الفهرست، ص ٥٠٢.

وسياتي الحديث عن (البقرة) في الهند.

وأذكر أنني مرة تأخرت عن زيارة الهند لسنة أو نحوها، ولم أكن أبرقت للسفارة السعودية في دلهي بأن ترسل إليّ من يستقبلني في المطار فركبت مع سيارة أجرة كنت أحدث سائقها ونحن في الطريق من المطار إلى الفندق بأشياء كثيرة كان منها أن سألته عن أسعار الأطعمة ومنها اللحم فذكر لي سعر كيلو لحم الغنم، فقلت له: ناسياً أنه ربما كان هندوكياً يعظم البقر: ولحم البقر كم يساوي الكيلو منه؟

فانتفض وقال لي مستكراً: (أيت ماي قد؟) أي هل أكل ربي؟

ولم أجبه على سؤاله الاستكاري هذا، لأن مستوى عقله وتفكيره دون ذلك، وإلا لقلت له: إن إلهاً يؤكل لحمه ويتغلب عليه ابن آدم لا يجوز أن يتخذ إلهاً، بل ولا أن يتخذ أداة من أدوات القوة.

المحافظة على التقاليد:

لقد كان عجبي عظيماً وأنا أرى الهنادك يحافظون على عاداتهم القديمة بطريقة تقليدية عمياء، فتراهم إذا مروا بمعبد القرد مثلاً أو ماوا إليه بالعبادة وهي أن يجمع الشخص منهم كفيه بطن كل واحدة إلى بطن الأخرى ثم يضعهما تجاه وجهه ويخفض رأسه إلى الأرض، وهذه هي أيضاً هي التحية التقليدية القديمة لمن يعظمونهم حتى من الأحياء، وغير رجال الدين ولكنهم في مثل هذه الحالات لا يخفضون رؤوسهم إلى الأرض.

ولهم ذوق خاص يصح أن يسمى بالذوق الهندي تراه ماثلاً في ألوان الملابس وحتى ألوان البيوت، وتفصيل اللباس وطريقة التعامل بمعنى الأخذ والعطاء الحسي مع الآخرين.

ولطالما عجبت وأنا أرى بعض ذوي المظهر المزري منهم يتمسكون بعباداتهم القديمة التي لا يتمسك بها غيرهم إلا إذا صاروا من المتعلمين الذين نالوا كفايتهم من العيش.

ومن ذلك أن الفقير منهم لا ينظر إلى الغني نظرة حسدٍ أو يعصي أوامرهِ ويخالفه لمجرد كونه أغنى منه، بل إن الفقير يتعامل مع فقره وغنى الغني كما لو كان ذلك قدراً متاحاً يجب التسليم به، وعدم النفور منه.

ومع ذلك فإن لهم عادات وأخلاقاً محمودة في التعامل مع الآخرين الذين لا يسيئون إليهم، فهم لا يؤذون الغريب إلا بشيء واحد في المدن وهو (الشحاذة) والتسول فإن السائلين منهم يسألونه ويلحفون في ذلك ولا ينصرفون عنه حتى يعطيهم شيئاً وحتى يكذبوا صفوه.

ولكن ذلك يكون في الغالب في المدن الكبيرة وأماكن تجمع الناس.

فهم في التعامل مع الآخرين وبخاصة الأجانب على درجة رفيعة من الرقي والتهديب.

ولكنهم مع من يخالفونهم من المسلمين أو يرون أنهم اعتدوا على معبودهم (البقرة) ينقلبون إلى وحوش كاسرة لا تعرف الملاينة، ولا المجاملة.

والتاريخ حافل بما يسمى بالمذابح الطائفية بين المسلمين والهنداك في الهند وأجزاء كبيرة من تلك المذابح والمآسي التي تتبعها يكون سببها البقرة، فالمسلمون يذبحون البقرة خفية ويأكلون لحمها، وكثيراً ما يستعملون ذلك بالأضحية، والهنداكة لا يطبقون ذلك، حتى يصل الأمر بهم إلى أن يقتلوا من عرفوا أنه قتل البقرة.

المرأة في الهند:

والمرأة في الهند قديماً كانت مظلومة، بل كان الظلم الذي يقع عليها أعظم من أي ظلم يقع على أية امرأة في العالم الذي قرأنا أخباره وآثاره في القديم، ومن ذلك أن زوجها إذا مات كان عليها أن تدخل النار التي تحرق بها جثته و تحرق الميت أمر واقع حتى الآن.

وقد ذكرت مشاهداتي المتعلقة بحرق الميت في الهند في كتاب (الشرق الشمالي من الهند) وهو كتاب مطبوع، حيث شاهدتهم يحرقون جثث الموتى على ضفة النهر الذي يزعمونه مقدساً وهو نهر الكنج أو (قائقا) كما يسمونه، وقد شاهدنا ذلك في ضفة النهر عند مدينة بنارس المدينة المقدسة عندهم، بل كانوا يسمونها (هولي ستي) لهذا المعنى.

فكان على المرأة التي يموت عنها زوجها أن تدخل النار التي يحرق فيها جسده وهي حية حتى تحترق مع جثته.

وهذا أمر إلى فظاعته غير عادل، إذ الزوج الميت لا يحس بألم الحرق، وأما زوجته وقد تكون شابة فإنها يجب عليها حسب التقاليد الهندية الهندوكية أن تدخل النار حية لتموت معه، وتحترق جثتها مع جثته.

لقد استمرت هذه العادة مرعية معمولاً بها في الهند وهي قديمة حتى إن ابن بطوطة ذكرها في رحلته فنسبه بعض المؤرخين إلى الكذب قائلين: إن ذلك أمر غير معقول.

ولكن الواقع أن الأمر كذلك وأنه استمر حتى استولى الإنكليز على الهند فمنعوا هذه العادة بالقوة، ثم لما استقلت الهند أبقت الحكومة الهندية الوطنية برئاسة (جواهر لال نهرو) على المنع، ولكن كان يمارس سراً في بعض الحالات.

وإذا كانت هذه العادة الشنيعة قد ألغيت فإنه قد بقيت بقايا جائرة من التقاليد بالنسبة إلى المرأة التي يموت عنها زوجها، إذ عليها أن تظل بدون زوج حتى تموت، ولا يجوز لها أن تتزوج ولا يجوز لأحد من الرجال أن يتزوجها.

وقد قرأت مقالات صدرت في الهند حول هذا الموضوع تحكي الواقع، وإن كانت لا تطالب بإزالته فتقول بعضها إن فلانة وفلانة من اللاتي مات أزواجهن عنهن، وبقين دون زواج إما أن تصبح عاهراً أي تحترف الزنا، أو تمارسه، أو أن تبقى شقية محرومة طول حياتها، والأدهى حسب ما ذكرته المقالات أن لا أحد يريد أن ينفق عليها، فتكون محرومة أيضاً من متعة اللباس الجيد، ومن الأمل في الاستغناء عن أقاربها الذين قد يتصدقون عليها ببعض الضروريات من الطعام واللباس. وبلغني أنها يجب عليها عندهم ألا تغادر البيت الذي مات فيه زوجها، لذا تكون عالة على أهل ذلك البيت، والمراد من ذلك أن تعيش فيه لا أن لا تخرج من بابه أو ألا ترى النور فهذا غير مراد.

وقد صار للمرأة الهندية الآن حق العمل كما يعمل الرجل وكثير من نساؤها لهن وظائف، بعضها وظائف كبيرة، ولكنها مع ذلك تكون محافظة على العادات والتقاليد القديمة التي يحافظ عليها أكثرية الهنادكة.

ورأيته تعمل في الأعمال الشاقة، مثل العمل في البناء وحمل الطين واللبن - بكسر الباء - كما رأيتهم يستخدمونها بمثابة العامل الرخيص حتى في شق الطرق ورصفها.

تلوث الهواء في المدن:

قلَّ أن يجد المرء مدينة من المدن الهندية إلا وهي ذات هواء ملوث، بسبب الحافلات ودراجات المحرك التي تسير بالديزل، ولا يلتزمون بأن يرفعوا أنبوب الأدخنة التي تخرج من الحافلات والشاحنات إلى أعلى حتى يكفوا الناس شره، بل هم يتركونها في أسفل السيارة تلوث الهواء وتدخل دخانها إلى صدور الناس.

ومع ذلك ليست السيارات متوفرة لدى عامة الناس مثلما هي متوفرة لدى بعض البلدان النامية وإلا لكان ذلك مصيبة عليهم عظيمة.

وقد لاحظت شيئاً آخر في مدينة بومبي وهو أن نهر المجاري الذي يراد به المياه المستعملة النجسة قد جعلوه يجتمع ويسير مكشوفاً إلى البحر ولكنهم صاروا يعملون - فيما قيل لي الآن - على تسقيفه وستره عن عيون الناس وأنوفهم.

وكنت أمر به إذا خرجت من قلب مدينة بومبي إلى مطارها فأتأذى من رائحته، وأنا داخل السيارة التي تسير بسرعة غير أن الزحام يرغمها أحياناً على الوقوف أو التآني في السير فتكون البلية عظيمة بهذه الروائح الخبيثة.

غير أن لتحمل الروائح الكريهة في الهند وجهاً آخر إذ تجيز تقاليدهم العريقة أن يضطر الشخص منهم في المجالس وأن يطلق العنان للريح الكريهة التي تكون في بطنه وإن لم يسمع لها صوت.

وقد شهدت حالات منها الركوب في عربة قطار مقفلة من أجل تكييف الهواء وحتى عربات القطار غير المقفلة إذا سافرت فيها ليلاً

فإنني أعاني الفطائع من الروائح الكريهة التي تتطلق من الموجودين في
العربة طول الليل.

وهذا له أصل قديم وفلسفة تقول: إن هذه الروائح الخبيثة إذا بقيت في
البطن أفسدت الجسم وإن قواعد الصحة تقضي إخراجها وعدم حبسها.

وقد نشأ عن ذلك أو عن شيء يقرب منه غرام أغنياء الهنود
بالطيب والروائح الطيبة من البخور بالعود ومن التطيب بالورد والمسك
والصندل لأنها تقاوم تلك الروائح أو هي لا تفعل ذلك ولكن يكون لها
مفعول عظيم بالمقارنة بصددها.

ومن ملوثات الهواء في القرى والأرياف التي ليس فيها سيارات
كثيرة ولا مركبات تنفث الأدخنة، الوقود على الطعام بالروث وبالخطب
الذي يكون رطباً في بعض الأوقات، ومن ذلك أختاء البقر والجاموس
التي ينشرونها في الشمس من أجل أن تيبس، ثم يجمعونها كما رأيتها في
أرياف عدد من الولايات على هيئة هرم يتخلله الهواء، ثم يستعملونها في
الوقود وإنضاج الطعام، وغير ذلك من أعراض الوقود، مع أن دخانها
كثيف وينعقد في الجو، لذلك يحس المرء حتى في الأرياف وبخاصة في
وقت العصر حيث وقت طبخ الطعام بأن الجو ملوث بالأدخنة، ويحس
أثر ذلك في حلقه مثلما يحس بالأدخنة من أنابيب السيارات الكثيرة
المزدحمة في شوارع المدن.

وينبغي أن ننوه هنا بأننا كنا قبل التطور الاقتصادي الأخير نفعل
مثل ذلك من إيقاد النار بالروث الذي يطبخ عليه العشاء، ولكننا نفعل ذلك
مرة واحدة في طبخ العشاء لأن قومنا لم يكونوا يطبخون أبداً إلا مرة

واحدة فسي اليوم لطعام العشاء، أما الغداء فإنه التمر واللبن أو التمر والماء، وأما الفطور فإنه لا فطور.

غير أن ذلك لا يلوث الهواء عندنا كما هو عندهم، وذلك لأنه لم تكن توجد في بلادنا كثافة سكانية، بل هي بلاد صحراوية واسعة يضيع فيها ذلك الدخان.

أما الآن فإن الحديث عن مثل هذه الأمور قد صار كالحديث في أعماق التاريخ عند الأجيال الصاعدة التي لا تعرف استعمال روث الحيوان لإيقاد الطبخ بل ولا تتصوره لأن الناس صاروا يستعملون الغاز النظيف المنضج والله الحمد.

الغرام بالفلفل والحرار:

عندما يصل الغريب مثلنا إلى بلاد الهند فإنه يفاجأ بكثرة الفلفل والبهار الحار في طعامهم إلى درجة تكاد تجعله لا يستطيع أن يأكله، وإن كان الجوع يحمله على ذلك، فإذا تجرعه وهو لا يكاد يسيغه من كثرة (الحار) فيه كانت المشكلة لم تنته فإنه يجد حرارته في بطنه ثم في مكان خروجه.

لقد عبرت عنها بالفلفل والحرار والفلفل المراد به الأسود ذا الحب الأسود المكور الصغير وهو الفلفل الذي كان يعرفه أسلافنا العرب من عصر الجاهلية كما قال امرؤ القيس الكندي في المعلقة:

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعاتها، كأنه حب فلفل
والآرام: نوع من الطباء وبعرها: برازها، والعرصات: الأماكن
المكشوفة المتسعة.

وأما ذلك الذي صار يسمى بالفلفل وليس حباً صغيراً أسود مكوراً، وإنما هو قرون مستطيلة، فإنه ليس معروفاً للعرب، لأنه اكتشف في أمريكا عندما اكتشف العالم الجديد، ولم يكن معروفاً في العالم القديم من قبل، ولذلك لا يصح وصفه بالفلفل، لأن الفلفل غيره، وإنما يمكن أن يسمى بالحسار- من الحرارة- وهكذا تسميه العامة في بلادنا نجد (بالبحر) وتسميه العامة في غرب المملكة بالشطة.

ولو كانوا يضعون منه قليلاً مما يشهي الطعام لهان الأمر، ولكنهم يضعون منه مقادير كبيرة في الطعام، ويظلون يزيدون منها في الطعام، حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن.

وقد لبثت دهرًا أبحث عن سبب غرام أهل الهند بهذا الحار فلم أجد جواباً شافياً، وكونت لنفسي رأياً فيه ليس مبنياً على دليل، وهو أنه ربما كان مرجع ذلك إلى كون الهند في السابق كانت فيها مستنقعات كثيرة تكثر فيها الجراثيم، ويحمل الذباب وغيره من الحشرات ذلك إلى الطعام، ومعلوم أن الحار هذا يعقم الطعام بمعنى أنه يقتل بعض الجراثيم، ولذلك يوضع مع المخللات وبعض الأطعمة المحفوظة، لذلك كان الناس في مبدأ الأمر يضعونه مع الطعام لأنهم يجدون الطعام معه أهنا وأمرأ، ولكنني قرأت- أخيراً- بحثاً أوضح سبب غرام أهل الهند بالفلفل والحار وهو بحث أجراه أحد أساتذة البحوث في جامعة أستراليا على جماعة من المتطوعين فجعل فريقاً منهم يتناول هذا الحار في طعامه لمدة ٤٥ يوماً، وهو يقيس أثر ذلك في نفسه، وفي شعوره، فوجد بعد البحث أنه يورث الإدمان لدى من يواظب على تناوله، بحيث يقل عنده الإحساس بالألم، وإن هذا هو الذي يفسر عدم شعور الذي يستعمل الحار في طعامه بالألم عند تناوله مع الأكل، وكذلك في الموضوع الآخر الأخير.

ونعود إلى العجب في الأمر وهو أن أهل الهند من أقصاها في الشمال وهي كشمير إلى أقصاها في الجنوب وهي (ماليبار) أو كيرالا كلهم يتناولون الفلفل والحر، ولذلك قلت: إن الهند فيها مذاهب ومشارب ونزعات، بل وأديان داخل الأديان الكبيرة مثل الهندوكية التي هي في الحقيقة أديان كثيرة، وإذا شئنا التلطيف قلنا إنها مذاهب كثيرة، وإن كان الواقع أنها أديان إذ يقدر أهل وسط الهند وشمالها (رام) ويسمونه كبير الآلهة، على حين أن أهل جنوبه يقدسون (راوون) ويعبدونه وهو شيطان عند أهل الوسط والشمال، لذلك رأيت أهل وسط الهند وبخاصة في مدينة (أندور) كبرى مدن وسط الهند الذي يراد به ولاية وسط الهند التي تسمى (مدهى براديش) بمعنى الولاية الوسطى يجعلون تماثيل من الخرق والخيش لراوون هذا الذي هو إله أهل الجنوب ويحرقونها مع أنهم كلهم من الهنادكة.

وأعود فأقول: إنني لم أر أهل الهند كلهم يتفقون إلا على شيئين أولهما: الخرام بالفلفل والحر. والثاني: هز الرأس يمينا ويسارا عند الموافقة، أو الاستحسان للشيء.

أفضل أقلية مسلمة:

كل ما سبق من العجائب أو أكثره متعلق بالهنداكة وهم كفار أهل الهند، ولكن المسلمين في الهند لهم عجائب كثيرة منها أنهم أقلية يقول المكثرون منهم: إنهم يبلغون ١٢٪. ويقول المقل: إنهم ١٠٪. من مجموع سكان الهند.

ويواجهون تحديات ضخمة من الأكثرية الهندوكية التي يرى المتعصبون فيها أن المسلمين حكموا الهند ما يقرب من ثمانية قرون أو سبعة، وإنهم كانوا

يدلونهم ويحتقرونهم ويكفونهم من الضرائب ما يستطيعون وما لا يستطيعون، وإنه لذلك ينبغي لهم أن ينتقموا من المسلمين المعاصرين، حيث لم يستطيعوا أن ينتقموا من المسلمين الأولين.

ومع ما في هذا القول من مجانية الحقيقة، من قياس مع الفارق حيث يقيسون الأمور في العصور القديمة على الأمور في العصر الحاضر مع الفارق فإن الأمر ليس كما قالوا ولا ما ذكروه عن ظلم عظيم لحق بهم في العصور القديمة أثناء الحكم الإسلامي، لأن طبيعة حكم الحكام والملوك في تلك العصور القديمة أن تجبر الرعايا الذين يخالفونها في الدين على ترك أديانهم.

إلا إذا انعزلوا وفارقوا الحياة الاجتماعية، ومع ذلك حتى لو انعزلوا فإنهم يلاحقونهم بجبايات الضرائب والأموال فإن ملوك المسلمين في الهند لم يفعلوا هذا، بل أبقوا الأكثرية الهندوكية على دينها، بل وعلى حالها، إلا من حاول أن يخرج بقوة السلاح عن طاعتها.

وأذكر مرة سافرت فيها بالطائرة من مدينة بومبي إلى مدينة جيفور عاصمة ولاية راجستان وكلتاها في غرب الهند وكان جاري في المقعد هندوكياً ثرياً يدل على ذلك ثقل جسمه، وشيء مهم آخر وهو أنه يحمل مسنديلاً وردياً ينظف به أنفه، وهو بهذا يكاد يكون بدعاً من الأمر بين عامة الناس هنا الذين يمسخون أنوفهم بأيديهم.

سألني من أي بلد أكون؟ فقلت: من السعودية، فقال بسرعة وبتأثر: السعودية صديقة لباكستان.

فقلت: وللهند، فسكت، ثم قلت له: أتعرف مشكلات في صداقة

السعودية مع الهند؟ فقال: لا، فقلت له: إننا نتمسك بالإسلام الذي يوصي برعاية العهد والمحافظة عليه والإحسان إلى الجميع.

فقال: المسلمون يقتلون الهندوك، يشير بذلك إلى أخبار اضطرابات في إحدى مدن الهند؟ فقلت له: أنت تعلم أن المسلمين الآن في حالة ضعف وهم أقلية عددية قليلة، وليس لهم من نصيب في الإدارة كما للهنداكة، فكيف يقتلونهم؟ وإذا وقعت اضطرابات فإن عواطف الشرطة مع الهنداكة.

فسكت مقتنعاً فيما يبدو فقلت له: ولكن أرى أن الإنصاف يقتضي منا أن نذكر القديم عندما كان المسلمون يحكمون الهند، وكان الهنداكة تحت إرادة المسلمين وفي ذلك الوقت كان التعصب الديني والمذهبي هو السائد في العالم، ولو أراد المسلمون قتل الهنداكة أو إجبارهم على الدخول في الإسلام، ومن لم يسلم منهم قتلوه لفعلوا ذلك دون أن يعرف العالم الخارجي شيئاً من الأمر، فضلاً عن أن يستكره أو يحرك ساكناً من أجله، لأنه ليس هناك قبل ثمانية قرون وما تلا ذلك الوقت مواصلات، بل لم يكن هناك رأي عام دولي.

فلو كان المسلمون يريدون قتل الهنداكة لقتلوهم في ذلك الحين فكيف يريدون قتلهم الآن؟

فقال: هذا صحيح، وقد أظهر أنه مقتنع من كلامي وهو متقف، وربما كان يشغل منصباً كبيراً.

وهكذا يمكن إقناع بعض المفكرين من الهنداكة بأن الإسلام فيه الخير لهم ولغيرهم، وبأن المسلمين المعاصرين ليسوا أعداء لهم، ولا للوطن الهندي، وأن هذه الاضطرابات الطائفية الحاضرة مفروضة عليهم نتيجة لاستفزاز المتعصبين من الهنداكة أنفسهم.

ورغم استئثار الهنادكة بالوظائف الحكومية دون المسلمين وكون الشرطة وأفراد الجيش بأغليبتهم من الهنادكة، وإذا حدثت اضطرابات أو مذابح بين المسلمين والهندوكيين كانت الشرطة التي يفترض فيها أنها شرطة وطنية مهمتها تثبيت الأمن للجميع، تتحاز للهنادكة ضد المسلمين، وهذا أمر صار معروفاً وسوف يأتي الكلام عليه.

ولكننا نريد هنا أن ننوه بأنه رغم ذلك وغيره مما لم نذكره هنا فإن المسلمين يعتبرون بعملهم لدينهم وإخلاصهم له، وإنفاقهم عليه (أفضل أقلية مسلمة في العالم) فهم ينشئون المدارس الإسلامية، بل الكليات والمعاهد، وينفقون عليها من أموالهم، ويوجدون دور الأيتام والملاجئ، يوقفون الأوقاف من أموالهم عليها، ولا تجد ثرياً مسلماً أو حتى شخصاً قادراً على التبرع إلا وهو يتبرع في حياته لهذه المؤسسات الإسلامية ولو كان معروفاً، بل مشهوراً بالبخل على نفسه، وعلى شهواتها من المأكل الفاخر أو الملابس الغالي فضلاً عن المركب الذي هو السيارة أو غيرها فإنه ينفق بسخاء على المشروعات الإسلامية حتى صاروا مضرب الأمثال بذلك.

وليس ذلك خاصاً بما فعلوه ويفعلونه في بلدانهم ولكنهم كذلك فعلوا ويفعلون في مهاجرهم، فما أن يحلوا بلداً أجنبياً حتى في الدول المتقدمة مثل أوروبا وأمريكا إلا ويسارعون إلى تأليف جمعية أو حتى أن يعملوا بصفة فردية إذا لم توجد بقربهم جماعة مسلمة على إنشاء مسجد لا بد أن تتبعه مدرسة إسلامية يرسلون إلى الهند من أجل أن يستقدموا من يسمونه (مولانا) وهو الشيخ الإمام الذي يؤمهم في صلواتهم، ويعلم أطفالهم يضمنون له التذاكر والراتب الذي يكفي لنفقته.

وأما في البلدان غير المتمدنة مثل إفريقيا وأجزاء من آسيا فإن أعمالهم ومآثرهم بل ومفاخرهم في العمل الإسلامي وسخائهم في النفقة عليه لا يمكن لعاقل أن ينكرها، بل لا يمكن لعاقل منصف مطلع إلا أن يحكم بأن إخواننا مسلمي الهند هم أفضل أقلية مسلمة في العالم، تعمل لدينها، وتتفق على المؤسسات الإسلامية بسخاء ويتواصل مستمر عجيب، وهذا من عجائب الهند.

وطالما سمعنا من غير ذوي البصيرة من الناس أن أهل الهند بخلاء، وأنهم يدققون في نفقاتهم إلى درجة لا يفعلها غيرهم حتى إنهم إذا قدموا طعامهم لضيوفهم قسموا الخبزة إلى قطعتين وإذا (تكهوا) قسموا التفاحة والحبّة من البرتقال إلى أكثر من قسمين، بحيث يأكل كل ضيف قطعة من تفاحة.

وهذه حقيقة رأيتها في موائدهم، ولكنهم يفعلون ذلك حتى لا يضيع من الطعام أو الفاكهة شيء هباء كما نفع نحن العرب، فهم قد يقسمون التفاحة، ولكنهم لا يمنعون من أراد أن يأكل أكثر من قسم أو قسمين منها، وهم يقسمون الخبزة في بعض الأحيان حتى لا يفسدها الأكل بأكل بعضها وترك البعض الآخر.

وما أذكر أنني حضرت مأدبة خاصة أو عامة في الهند فرأيت أن الضيوف أو حتى المدعوين قد أحسوا بنقص في الطعام والشراب أو في الفاكهة وإنما هو التدبير المحمود.

وإذا أضفنا إلى ذلك ما يقدمونه لضيوفهم المسلم من الخدمات الأخرى ثم عرفنا ما ينفقونه على المؤسسات الإسلامية من مدارس ومعاهد بل ومستشفيات عرفنا أن هذا هو السخاء بعينه، وليس من البخل في شيء.

قتل الإنسان وعدم قتل الحيوان:

من عجائب الهند ما تقدمت الإشارة إليه من أن الذي يقتل البقرة يقتله الهنادكة المتعصبون، فكان الحيوان عندهم أشرف من الإنسان أو كأنها انحطت رتبة الإنسان في نظرهم إلى رتبة الحيوان.

ومذهبهم في عدم قتل الحيوان مطّرد حتى الحيوان الضار كالحية والعقرب فإنهم لا يقتلون شيئاً منها، وكذلك الطيور حتى الضارة المكروهة كالغريبان.

ومع ذلك فإن أسهل شيء عندهم أن يقتلوا من يخالفهم في الدين كالمسلمين عند أشياء تافهة، وتاريخ الهند حافل بذلك حتى في الزمن الحديث وحتى العصر الحاضر.

وقد قرأنا في الجرائد وسمعنا في الأخبار أن قتل البنات أيضاً موجود في الهند ومن الجرائد التي نشرت ذلك جريدة الرائد التي تصدر باللغة العربية في الهند، وذلك في عددها الصادر في الأول من شهر صفر عام ١٤١٦هـ.

وهذا نص ما ذكرته تحت عنوان: (واد البنات في الهند).

واد البنات في الهند:

أفادت التقارير الواردة من ولاية بيهار بأن ألوفاً من البنات تقتل بعد مولدها مباشرة سنوياً، وجاء في دراسة أجرتها الجمعية النسائية التي تعمل لأجل صالح الأطفال بأن فرقة من العاملات قامت بجولة استطلاعية التفت فيها بالقبالات في ولاية بيهار، فأخبرنها بأنه يتم بأيديهن وأد أكثر من ألف بنت سنوياً في ولاية بيهار وحدها، والأمر

المثير للإستعجاب هو أن هذا الواد يتم بين العائلات الغنية أكثر مما يقع في العائلات الفقيرة.

وأفادت قابلة بأنه في حالة مولد البنت في العائلات الهندوسية من الطبقات العليا وخاصة من طبقة راجبوت يتغير فجأة موقف أعضاء الأسرة من البنت ويأمرون بالقتل بدون تأخير ويتم قتلها بالقاء الملح في فمها أو مادة سمية أخرى وتموت المولودة في مدة ساعة واحدة، والبنت التي لا تموت عن هذا الطريق تخنق فتموت، وقالت القابلة للفريق الاستطلاعي: إننا نحصل على هذه الأعمال الوحشية مكافأة وهي خمس وعشرون روبية هندية.

وأفادت صحيفة "دعوت" الصادرة في مدينة دلهي والتي قامت بنشر هذه الدراسة في ١/٥/٩٥م أن هذا التقليد الوحشي في البداية كان خاصاً بطبقة راجبوت وحدها، ولكن انتشر في الأعوام الأخيرة إلى طبقات أخرى من بهومي هار، يادو، كائسته حتى البراهمة أيضاً اتخذت هذا التقليد. انتهى ما ذكرته الجريدة.

والمبلغ الذي ذكرت أن القابلة القائلة تتقاضاه مقابل قتل البنت وهو ٢٥ روبية هندية يساوي ثلاثة دولارات.

ما أرخص قتل الطفلة عندهم!

معتقدات وعادات هندية قديمة:

إذا أطلق علماءنا الأوائل كلمة (الهند) أو (أهل الهند) فإنما يريدون بذلك كفار الهند من الهنادك والبوذيين ونحوهم، وذلك أن الإسلام كان في الهند قليل الأنصار في القرون الأولى، وكان المسلمون عددهم قليلاً فيها.

ولذلك انصب حديث القدماء من علمائنا على أهل الهند من الأغلبية غير المسلمة.

ومن ذلك ما قاله الإمام الحجة الثبت أبوالريحان البيروني عن أهل الهند وما نقله من عادات لهم واعتقادات قديمة بدأت بها قبل غيرها لتقدم زمنه عن غيره فقد عاش في القرن الرابع الهجري قبل أن يكثر المسلمون في داخل الهند، ويكرر هنا أنه لا يريد بكلامه إلا كفار الهند.

قال أبوالريحان البيروني:

(وفي سير الهند ما يخالف رسوم أهل بلادنا في زماننا مخالفة تصير بها عندنا أعجوبة ويخيّل إلينا منهم في قلبها تعمدٌ فإنّ تساويننا معا في هذا العكس ونسبته إلى الغير، فمنها أنهم لا يحلقون شيئاً من الشعر وأصلهم العُريُّ لشدة الحرِّ كيلا تُعلى^(١) رؤوسهم بالانكشاف، ويضفرون اللحي ضفائر صيانة لها، ويعملون في ترك شعر العانة أن حلقها مهيج للشهوة زائد في البلية ثم لا يحلقها المولع منهم بالباءة الحريص على المباضة.

ويطوون الأظفار فخراً بالتعطل فإنّ المهن لا تتأتى معها واسترواحاً إليها في حك الرأس وقلبي الشعر، ويأكلون أوحاداً فرادى على مندل السرقين^(٢)، ولا يعودون إلى ما فضل من الطعام ويرمون بأواني المأكول إذا كانت خزفية، ويحمرّون الأسنان بمضغ القوفل بعد تناول ورق التببول والنورة، ويشربون الخمر على الريق ثم يطعمون.

ويحسون بول البقر^(٣) ولا يأكلون لحمها، ويضربون الصنوج

(١) ربما كانت صحتها: تغلي.

(٢) السرقين هنا السباد.

(٣) يحسون بول البقر أي يشربونه.

بمضرايب، ويتسولون بالعمائم ثم المفرط منهم يكتفي من اللباس يخرقة قدر إصبعين يثدّها على عورته بخيطين والمفرط يلبس سراويل محشوة بقطن يكفي عدة لحف وبرادع^(١) مسدودة المنافذ لا يبرز منها القدمان والنكة إلى خلف، وصنّدهم بالسراويل أشبه ومثدّها بالشفاسق نحو الظهر، ويشفون أذيال القراطق^(٢) إلى اليمين واليسار.

ويضيّقون الخفاف حتى يُبدأ في لبسها وهي مقلوبة من السوق^(٣) قبل الأقدام، ويبتدون في الغسيل بالرجل قبل الوجه، ويغتسلون ثم يجامعون، ويقفون في الباءة كعريس الكرم، والنساء يقمن بأمر الحراثة وأزواجهن في راحة.

ويتضمخون في الأعياد بالأختاء^(٤) بدل العطر، ويلبس ذكورهم ملابس النساء من الصيغات والشنوف والأسورة وخواتيم الذهب في البناصر وفي أصابع الأرجل، ويترحمون على المأبون والمختت منهم ويسمى "بشندل".

ويتوجهون نحو الحائط في الغائط ويكشفون السوءة نحو المار، ويعبدون "لنك" وهو صورة أير "مهاديو"^(٥) ويركبون بغير سرج وإن أسرجوا ركبوا عن يمين الدابة ويحبون الإرداف في المسير، ويشنون "الكتارة" وهي الخنجر في أوساطهم من الجانب الأيمن، ويتقلدون بالزنار المسمّى "جئجوا"، على العائق الأيسر نحو الجنب الأيمن ويستشيرون

(١) البرادع: جمع بردعة وهي ما يوضع على ظهر الحمار وقاية لراكبه.

(٢) القراطق: جمع قرطوق وهو حلة تلبس كنا نسميها الدقلة الهندية.

(٣) السوق: جمع ساق.

(٤) الأختاء: جمع خني وهو براز البقر، يتضمخون بها: يتطيبون.

(٥) مهاديو: من كبار المعبودين عندهم وأیره: ذكره.

النساء في الآراء والعوارض، ويُحسنون وقت الولادة إلى الرجال دون النساء، ويُفضلون أصغر الأبنين وخاصة في مشارق أرضهم زاعمين أن كون أكبرهما عن شهوة غالبية والأصغر عن قصد وفكرة وثؤدة ويأخذون اليد في المصافحة، من جهة ظهر الكفّ، ولا يستأذنون للدخول في البيوت ثم لا يخرجون من غير استئذان، ويتربعون في المجالس ويبزقون بالنخاعة غير محتشمين الكبراء.

ويقصعون^(١) القمل بين أيديهم، ويتمنون بالضرطة، ويتشاءمون بالعطاس، ويستقدرون الحائك ويستتظفون الحجام وقاتل المستميتة منهم بالأجرة إغراقاً وإحراقاً، ويسودون ألواح المكاتب للصبيان ويكُتَبون في طولها دون عرضها بالبياض من اليسار نحو اليمين كأنّ القاتل عناهم بقوله شعر:

وكتب قرطاسه من حممة^(٢) يكتب فيه بالبياض قلمه
يكتب في ليل نهاراً ساطعاً يسديه إلا أنه لا يلجمه

ويكُتَبون اسم الكتاب في آخره ومختتمه دون أوله ومفتتحه، ويعظمون الأسماء في لغتهم بالتأنيث كما يُعظمها العرب بالتصغير، وإذا نولوا شيئاً أرادوه مرميّاً إليهم كما يُرمى إلى الكلاب.

فإن ادّعوا المخالفة علينا كما ادّعينا عليهم جعلنا الامتحان في صبيانهم حكماً فما وجدتُ غلاماً هندياً قريب العهد بالوقوع إلى بلاد الإسلام غير متدرّب برسوم أهلها إلا ويضع الصندلة^(٣) بين يدي صاحبه

(١) يقصعون القمل يقتلونه عن طريق الضغط عليه بين ظفري اليد.

(٢) حممة: سواده.

(٣) هي نوع من النعال.

مخالفة لوضعها الحقيقي أعني اليمنى للرجل اليسرى ويطوي الثياب مقلوبة ويفرش الفرش معكوسة.

وأمثال ذلك لما في الغريزة من انعكاس الطبيعة ولست أفرد الهند بالتوبيخ على الجاهلية فقد كان العرب في مثلها يرتكبون العظائم والفضائح من نكاح الحيض والحبالي واجتماع النفر على إتيان امرأة واحدة في الطهر الواحد وادعاء الأديعاء وأولاد الأضياف وواد الابنة دع ما في عباداتهم من المكاء والتصدية وفي طعامهم من القذر والميئة وقد فسخها الإسلام كما فسح أكثر ما في أرض الهند التي أسلم أهلها والحمد لله.

وقال أبو الريحاني البيروني (في تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٧):
وذلك أنهم - يقصد الهنادك القدماء - يعتقدون في الأرض أنها أرضهم، وفي الناس أنهم جنسهم، وفي الملوك أنهم رؤسأؤهم، وفي الدين أنه نحلّتهم، وفي العلم أنه ما معهم، فيترفعون ويتبظرمون.

ويعجبون بأنفسهم فيجهلون، وفي طباعهم الضنّ بما يعرفونه والإفراط في الصيانة له عن غير أهله منهم فكيف عن غيرهم؟
على أنهم لا يظنون أن في الأرض غير بلدانهم، وفي الناس غير سكانها وأن للخلق غيرهم علما.

في تحديد المعمور من الأرض عندهم:

في كتاب "بّهوين كوش" الرش: إنّ الأرض المعمورة من "هممنت"^(١) نحو الجنوب وتسمّى "بهارث برش"، سمّيت باسم رجل اسمه بهارث كان يسوسهم ويمونهم، و أهل هذه المعمورة هم الذين يقع عليهم الثواب

(١) هممنت: هي جبال الهملايا.

والعقاب دون غيرهم، وتنقسم هذه المعمورة تسعة أقسام تسمى "توكند برثم" أي التسع القطع بحار يعبر فيها من واحد إلى آخر، وعرض المعمورة من الشمال إلى الجنوب ألف "جوزن"، فأشارته هاهنا إلى هممت هي إلى الجبال التي في الشمال عند منقطع العمران من البرد والعمارة ضرورة في جنوبها، وإشارته إلى أهلها أنهم هم المكثفون دليل على زوال التكليف عن غيرهم، وزواله لا يكون إلا بالارتفاع عن الأنسية إلى رتبة الملائكة الذين هم ببساطة جواهرهم ونقاء طباعهم لا يعصون أمراً ولا يسأمون العبادة، أو بالانحطاط عنها إلى رتبة البهائم التي لا تعقل، فليس ممّا عدا المعمورة إذن أحد من الناس.

وليس بهارث برش أرض الهند فقط كاعتقاد الهند فيها أنها الدنيا وأنهم الناس فقط فليس تخترق أرضهم بحر تميزُ به فيها قطعة عن قطعة، ولا يُذهبُ في القطع إلى الديبات فقد صرّح بأنّ تلك البحار يُعبرُ فيها من جانب إلى جانب، ولزم من قوله أنّ أهل الأرض كلّهم والهند في لزوم التكليف شرع واحد، وإنما سمّيت هذه القسمة "برثم" أي أول لأنهم يقسمون أرض الهند بها أيضاً وحدها فتكون قسمة المعمورة أولى وهذه ثانية، ومنجموهم يقسمون كلّ مملكة بها فتكون قسمة ثالثة، وذلك عند نظرهم في مواقع المناحس والسعادات منها.

وقال البيروني أيضاً في (تحقيق ما للهند من مقولة، ص ١٤):
ومنها أنهم يباينوننا بالديانة مباينة كلية لا يقع منّا شيء من الإقرار بما عندهم ولا منهم بشيء مما عندنا.

إلى أن قال في عادتهم فيمن يخالفهم، قال: يسمونه (مُلّنج) وهو

القدر لا يستجيزون مخالطته في مناكحة ومقاربة أو مجالسة، ويستقذرون ما يصرف على مائه وناره، وعليهما مدار المعاش، ثم لا مطمع في صلاح ذلك بحيلة كما يطهر النجس بالانحياز إلى حال الطهارة.

ومنها أنهم يباينوننا في الرسوم والعادات حتى كادوا أن يخوفوا ولدانهم بنا، وبزينا وهياتنا وينسبوننا إلى الشيطنة.

في ذكر بيذ والبرانات وكتبهم المليّة:

"بيذ" تفسيره العلم لما ليس بمعلوم، وهو كلام نسبوه إلى الله تعالى من فم "براهم" ويثلوه "البراهمة" تلاوة من غير أن يفهموا تفسيره ويتعلمونه كذلك فيما بينهم يأخذهم بعضهم من بعض ثم لا يتعلم تفسيره إلا قليل منهم وأقل من ذلك من يتصرف في معانيه وتأويلاته على وجه النظر والجدل؛ ويعلمونه "كشتر"^(١) فيتعلمه من غير أن يطلق له تعليمه ولو لبرهمن، ثم لا يحلّ لبيش ولا لشوذر أن يسمعا فضلا عن أن يتلفظا به ويقراه وإن صحّ ذلك على أحدهما دفعته البراهمة إلى الوالي فعاقبه بقطع اللسان؛ ويتضمّن بيذ الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب بالتحديد والتعيين والثواب والعقاب، ومُعظمه على التسابيح وقرابين النار بأنواعها التي لا تكاد تحصى كثرة وعسرة؛ ولا يجوزون كتيبته لأنه مقروء بالحن فيتحرجون عن عجز القلم وإيقاعه عنها.

وقال الإمام المؤرخ المسعودي في مروج الذهب:

وقد تنوزع في مبدأ النهر المعروف بنهر الهرمند، فمن الناس من رأى أنه من عيون بجمال السند والهند، ومنهم من رأى أن مبدأ نهر

(١) كشتر: أحد طبقات السكان في الهند.

الكنك^(١)، وهو نهر الهند، ويمر بكثير من جبال السند، وهو نهر حاد الانصباب والجريان، عليه يعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد وتغرقها زهداً في هذا العالم ورغبة في النقلة عنه، وذلك أنهم يقصدون موضعاً في أعالي هذا النهر المعروف بالكنك، وهناك جبال عالية، وأشجار عادية، ورجال جلوس، وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر، وقطع من الخشب، فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية، فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون من تزهيدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه، فيطرحون أنفسهم من أعالي تلك الجبال العالية على تلك الأشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة، فينقطعون قطعاً، ويصيرون إلى هذا النهر أجزاء، وما ذكرنا فموصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك.

إلى أن قال المسعودي:

والهند تعذب أنفسها على ما وصفنا بأنواع العذاب من دون الأمم، وقد تيقنت أن ما ينالها من النعيم في المستقبل مؤجلاً لا يكون بغير ما أسلفت من تعذيب أنفسها في هذه الدار معجلاً، ومنهم من يصير إلى باب الملك يستأذن في إحراقه نفسه، فيدور في الأسواق، وقد أجمت له النار العظيمة وعليها من قد وكل بإيقادها، ثم يسير في الأسواق وقدامه الطبول والصنوج، وعلى بدنه أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه، وحوله أهله وقرابته، وعلى رأسه إكليل من الريحان، وقد قشر جلده عن رأسه، وعليها الجمر وعليها الكبريت والسندروس؛ فيسير وهامته {تحترق} وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التنبول وحب الفوفل،

(١) الكنك هو نهر الكنج الذي يسميه أهل الهند الآن قانقا.

والتنبول في بلادهم ورق ينبت كأصغر ما يكون من ورق الأترج يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل، وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلاً من الطين، ويكون عند الصنادلي للورم وغير ذلك.

وهذا إذا مضغ على ما ذكرنا بالورق والنورة شد اللثة، وقوى عمود الأسنان، وطيب النكهة، وأزال الرطوبة المؤذية، وشهى الطعام، وبعث على الباه، وحمّر الأسنان حتى تكون كأحمر ما يكون من حب الرمان، وأحدث في النفس طرباً وأريحية، وقوى البدن، وأثار من النكهة روائح طيبة {خمرة}.

والهند خواصها وعوامها تستقيح من أسنانه بيض، وتجتنب من لا يمضغ ما وصفنا، فإذا طاف هذا المعذب لنفسه بالنار في الأسواق وانتهى إلى تلك النار وهو غير مكترث ولا متغير في مشيته ولا متهيب في خطوته، ففيهم من إذا أشرف على النار وقد صارت جمراً كالثل العظيم يتناول بيده خنجراً- ويدعي الجريء عندهم- فيضعه في لبتة^(١).

وقد حضرت ببلاد صيمور من بلاد الهند من أرض اللار من مملكة البلهرا، وذلك في سنة أربع وثلاثمائة، والملك يومئذ صيمور المعروف بحاج^(٢)، وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافيين وعمانيين وبصريين وبغداديين وغيرهم من سائر الأمصار ممن قد تأهل وقطن في تلك البلاد، وفيهم خلق من وجوه التجار، فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ما وصفنا في أسواقهم، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقّه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على

(١) لبتة: صدره.

(٢) لعلها وجائع.

كبده ف جذب منها قطعة وهويتكم فقطعها بالخنجر، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاوناً بالموت ولذة بالنقطة، ثم هوى بنفسه في النار، أنتهى ما ذكره السعودي.

أقول: هذا غير ممكن عقلياً ولا طيباً، ولعل ما رآه المسعودي هو تخييل سحري أو لعله رأى الرجل قطع قطعة من ظاهر بطنه، فظن أنها من كبده. ثم قال المسعودي:

وإذا مات الملك من ملوكهم، أو قتل نفسه حرّق خلق من الناس أنفسهم لموته، يدعون هؤلاء البلاجرية، وأحدهم بلانجري وتفسير ذلك: المصادق لمن يموت، فيموت بموته، ويحيا بحياته وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس، من أنواع الآلام والمقاتل التي تألم عند ذكرها الأبدان، وتتشعر منها الأبخار^(١).

وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا (أخبار الزمان)^(٢).

وقال الشيخ سليمان الندوي في كتابه (تاريخ الصلات بين الهند والبلدان العربية).

وكذلك نظم الشعراء العرب بعض حقائق الهند وتجاربها في شعرهم كأنها المثل السائر والحكم الهندية، وفي ذلك قول المسعودي: "وللهند التتقم في صناعة الطب، ولهم فيه اللطافة والحدق، وذكر هذا المخبر عن الهند هو: أن السعال عندهم أقبح من الضراط وأن الجشاء في وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب عنها ريحها، واستشهد هذا المخبر عن

(١) الأبخار: جمع بشرة وهي الجلود.

(٢) مروج الذهب ج ١، ص ٢١٠.

صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة القول في ذلك عند كثير من الناس
عنهم حتى نكر ذلك عنهم في السير والأخبار والنوادر والأشعار.

فمن ذلك ما ذكره أبان بن عبد الحميد في الأرجوزة المعروفة بذات

الحلل وهي:

مقالة أجاد فيها عندي	قد قال ذو العلم النصيح الهندي
وخلها وافتح لها ما استفتحت	لا تحبس الضرطة إما حضرت
والروح والراحة في إفكاكها	فإن أدوا الداء في إمساكها
والشوم في العطاس لا الضراط	والقبح في السعال والمخاط
وننته على الفساء زائد	أما الجشاء ففساء صاعد

عبادة البقر في الهند

قدمت شيئاً من الكلام عن عبادة البقر في الهند، كما نعرفها الآن، وقد وجدت أبا الريحان البيروني رحمه الله تكلم على ذلك قبل ألف سنة في كتابه: (تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مردولة) قال:

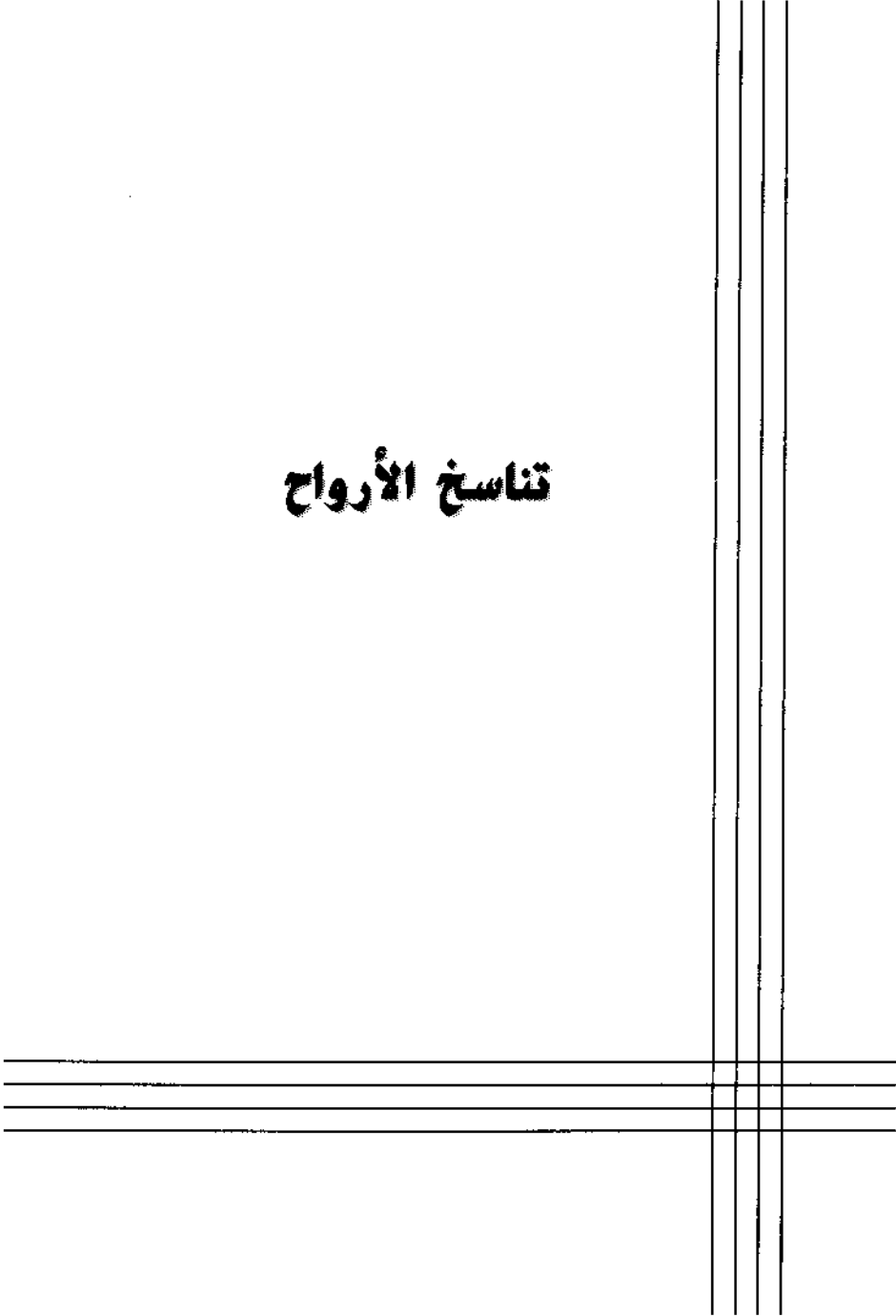
وقد قال بعضهم إن البقر كان قبل بهارت¹ مباحاً ومن القرابين ما فيه قتل البقر إلا أنه حرم بعد بهارت لضعف طباع الناس عن القيام بالواجبات كما جعل "بيذ" وهو في الأصل واحد أربعة أقسام سهيلاً على الناس، وهذا كلام قليل المحصول فإنّ تحريم البقر ليس بتخفيف ورخصة وإنما هو تشديد وتضييق، وسمعت غير هؤلاء يقولون: إن البراهمة كانت تتأذى بأكمل لحمان البقر، لأن بلادهم جروم⁽¹⁾ وبواطن الأبدان فيها باردة والحرارة الغريزية فيها فاترة والقوة الهاضمة ضعيفة يقوّنها بأكل أوراق التبّول عقب الطعام ومضغ الفوفل، فيُلهب التبّولُ بحدّته الحرارة وينشف ما عليه من النورة البيلة ويشدّ الفوفل الأسنان واللثة ويقبض المعدة، ولما كان كذلك حظروه للغلظ والبرودة.

وأنا أظنّ في ذلك أحد أمرين، إمّا السياسة فإنّ البقر هي الحيوان الذي يخدم في الأسفار بنقل الأحمال والأنقال وفي الفلاحة بالكرب والزراعة وفي الكنخذهية بالألبان وما يخرج منها، ثم يُنفع بأخثانه بل في الشتاء بأنفاسه، فحرم كما حرمه الحجاج لما شكى إليه خراب السواد، وحكى لي أن في بعض كتبهم: أنّ الأشياء كلها شيء واحد وفي الحظر والإباحة سواسية، وإنما تختلف بسبب العجز والقدرة، فالذئب يقتدر على حطم الشاة فهي أكلته والشاة تعجز عنه وقد صارت فريسته، ووجدت في كتبهم ما شهد بمثله إلا أنّ ذلك يكون للعالم بعلمه إذا حصل فيه على رتبة يستوي فيها عنده البرهمن⁽²⁾ و"جندال"⁽³⁾، وإذا كان كذلك استوت عنده أيضاً سائر الأشياء في الكفّ عنها، فسواء كانت كلها حلالاً إذ هو مستغن عنها أو كانت حراماً فإنّه غير راغب فيها، فأما من له فيها أرب باستحواذ الجهل عليه فبعض له حلال وبعض عليه محرّم والسور بينهما مضروب.

(1) لم أعرف معنى حروم وربما كانت محرفة عن (حور).

(2) البرهمن و(جندال) طبقتان من الطبقات الاجتماعية لأهل الهند.

تناسخ الأرواح



قال أبو الريحاني البيروني رحمه الله:

في حال الأرواح وترددها بالتناسخ في العالم:

كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين والتثليث علامة النصرانية والاسباب علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد من جملتها فإنهم قالوا: إن النفس إذا لم تكن عاقلة لم تُحط بالمطلوب إحاطة كلية دفعة بلا زمان واحتاجت إلى تتبع الجزئيات واستقراء الممكنات وهي وإن كانت متناهية فلعددتها المتناهي كثرة والاثيان على الكثرة مضطراً إلى مدة ذات فسحة، ولهذا لا يحصل العلم للنفس إلا بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعال والأحوال حتى يحصل لها في كل واحد تجربة وتستفيد بها جديد معرفة، ولكن الأفعال مختلفة بسبب القوى وليس العالم بمعطل عن التدبير وإنما هو مزموم وإلى غرض فيه مندوب فالأرواح الباقية تتردد لذلك في الأبدان البالية بحسب افتتان الأفعال إلى الخير والشر ليكون التردد في الثواب منبهاً على الخير فتحرص على الاستكثار منه وفي العقاب على الشر والمكروه فثبالبغ في التباعد عنه ويصير التردد من الأرنل إلى الأفضل دون عكسه لأنه يحتمل كليهما ويقتضي اختلاف المراتب فيهما لاختلاف الأفاعيل بتبيان الأمزجة ومقادير الازدواجات في الكمية والكيفية.

فهذا هو التناسخ إلى أن يحصل من كلتي جنبتي النفس والمادة كمال الغرض أما من جهة السفلى ففناء ما عند المادة من الصورة إلا إعادة المرغوب عنها وأما من جهة العلو فذهاب شوق النفس بعلمها ما لم تعلم واستيقانها شرف ذاتها وقوامها لا بغيرها واستغناءها عن المادة

بعد إحاطتها بخساستها وعدم البقاء في صورها والمحصول في محسوسها والخبر والانفصال والعود إلى المعدن فائزة من سعادة العلم بمثل ما يأخذه السمس من العدد والأنوار فلا يفارق دهنه بعد ذلك ويتحد العاقلُ والعقلُ والمعقولُ ويصير واحداً.

وحقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم في هذا الباب وما يشبهه من كلام غيرهم، قال "باسديو لارجن" يحرصه على القتال وهما بين الصفيين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فأعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقبها موت البدن ثم العود.

وقال له: كيف ينكرُ الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يُغصتها ولا ريحُ تبيسها لكنها تنتقل عن بدنها إذا عثق نحو آخر ليس كذلك كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق فما غمك لنفس لا تبيد ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكلاً مولود ميتة عائد وليس لك من كلام الأمرين شيء إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور وإليه تصير، ولما قال له "ارجن" في خلال كلامه: كيف حاربت براهيم في كذا وهو متقدم للعالم سابق للبشر وأنت الآن فيما بيننا منهم معلوم الميلاد والسن؟

أجابه وقال: أما قدم العهد فقد عمّني وإياك معه فكم مرةً حيننا معاً قد عرفتُ أوقاتها وخفيت عليك وكأما رمتُ المجيء للإصلاح لبستُ بدناً إذ لا وجه للكون مع الناس إلا بالتأنس؛ وحكى عن ملك أنسيت اسمه أنه

رسم لقومه: أن يحرقوا جثته بعد موته في موضع لم يحرق فيه ميت قط، وإنهم طلبوا موضعاً كذلك فأعياهم حتى وجدوا صخرة من ماء البحر نائية فظنوا أنهم ظفروا بالبغية، فقال لهم "باسديو": إن هذا الملك أحرق على هذه الصخرة مرّات كثيرة فافعلوا ما تريدون فإنه إنما قصد إعلامكم وقد قضيت حاجته.

وقال "باسديو": فمن يأمل الخلاص ويجتهد في رفض الدنيا ثم لا يطاوعه قلبه على المبتغى إنه يثاب على عمله في مجامع المثابين ولا ينال ما أراد من أجل نقصانه ولكنه يعود إلى الدنيا فيؤهل لقلب من جنس مخصوص بالزهادة ويوقفه الإلهام القدسي في القلب الآخر بالترجّح إلى ما كان إرادته⁽¹⁾ في القلب الأول ويأخذ قلبه في مطاوعته ولا يزال يتصفي في القوالب إلى أن ينال الخلاص على توالي التوالد.

وقال باسديو: إذا تجرّدت النفس عن المادة كانت عالمة فإذا تلبّست بها كانت بكنورتها جاهلة وظننت أنّها الفاعلة وأنّ أعمال الدنيا معدة لأجلها فتمسكت بها وانطبعت المحسوسات فيها فإذا فارقت البدن كانت آثار المحسوسات فيها باقية فلم تتفصل عنها بالتمام وحنّت إليها وعادت نحوها وقبولها التغيير المتضادة في تلك الأحوال يلزمها لوازم القوى الثلاث الأولى فماذا تصنع إذا لم تُعدّ وهي مقصورة الجناح.

وقال أيضاً: أفضل الناس هو العالم الكامل لأنه يحب الله ويحبه الله، وكم تكرر عليه الموت والولادة وهو في مدد عمره مواظب على طلب الكمال حتى ناله.

وفي "بشن دهرم" قول "ماركنديو" عند ذكره الروحانيين: إنّ كل

(1) من ز، وفي ش: إرادة.

واحد من "براهم" و"كارنكيو بن مهاديو" و "لكشمي" مخرج الهنائة من البحر و"دكش" الذي ضربه "مهاديو" و"أماديو" امرأة مهاديو هم في وسط هذا "الكلب" وكانوا كذلك مراراً كثيرة.

وكان "ماني" نفي من "ايرانشهر"^(١) فدخل أرض الهند ونقل التتاسخ منهم إلى نحلته.

انتهى ما ذكره البيروني عنهم من هذه الخزعبلات الكفرية التي مرجعها إلى أوهامهم الفاسدة مثل قولهم: إن نهر الكنغ ينزل من الجنة في السماء ولذلك عبده، ثم عرفوا أنه ينبع من جبال الهملايا، وقد أوردنا ذلك لبيان تخطبهم في الضلال البعيد.

وبالنسبة للتتاسخ فالهند في عهد المتكلم منهم ربما كان عدد سكانها عشرة ملايين والآن ألف مليون فمن أين جاءت تلك الأرواح التي زعم أنها تتردد في الأجسام؟

(١) ماني: زنديق ظهر في إيران وهو الذي تتسبب إليه المانوية وإيران شهر: بلاد إيران لأن شهر بلاد أو مدينة.

نظام الطبقات في الهند

نظام الطبقات في الهند أكثر نظام للطبقات ظهوراً في العالم لمن يزور بلداً فيه نظام للطبقات ومن يزور الهند لابد أن يلاحظ فيرى أو يسمع المنبوذين الذين لا يواكلهم البراهمة ولا يشاربونهم فضلاً عن أن يتزاوجوا معهم.

ومع علمنا بأن هذا قديم بل عريق في الهند عراقة ثقافتهم الهندوكية لأنه جزء منها حتى لقد قال رئيس وزراء الهند السابق: (جواهر لال نهرو): ما عرفت الهند المساواة بين بني البشر، ولا سمعت به إلا عند ما دخلها الإسلام.

ولابد لمن تحدث في شؤون الهند أن يتحدث عن نظام الطبقات الكرية فيها.

وقد رأيت الباحث العبقرى العلامة أبا الريحان البيروني ذكر قبل ألف سنة نظام الطبقات في الهند، فأحبيت نقل بعض ما قاله مع ما قاله عالم من علماء الهند المسلمين وهو السيد عبدالحى الحسنى والد السيد أبي الحسن الندوي الزعيم الدينى الشهير.

قال البيروني في ذكر الطبقات التي يسمونها ألواناً ومادونها:

وقد كان الملوك القدماء المعنيون بصناعتهم يصرفون معظم اهتمامهم إلى تصنيف الناس طبقات ومراتب يحفظونها عن التمازج والتهاج ويحظرون الاختلاط عليهم بسببها ويلزمون كل طبقة ما إليها من عمل أو صناعة وحرفة لا يرخصون لأحد في تجاوز رتبته ويعاقبون من لم يكتف بطبقته؛ وسيرُ أوائل الأكاسرة تفصح بذلك فلم به آثارٌ قوية لم يقدح فيه تقربٌ بخدمة ولا توسلٌ برشوة حتى إنَّ "أردشير بن بابك"

عند تجديده ملك فارس جدّد الطبقات وجعل الأساورة وأبناء الملوك في أولاهاء، والنسّاك وسدنة النيران وأرباب الدين في ثانيتهما، والأطباء والمنجمين وأصحاب العلوم في ثالثتها، والزراع والصنّاع في رابعها، على مراتب في كلّ واحدة منها تميّز الأنواع في أجناسها على حدة بحيالها، وكل ما كان على هذا المثال صار كالنسب إن تكررت أوائله ونشبا إن نُسيت أسبابه وقواعده، والنسيانُ لا محالة يتناول الأمد وتراخي الأزمة وتكاثر القرون مقرون.

وللهند في أيّامنا من ذلك أوفر الحظوظ حتى إنّ مخالفتنا أيّاهم وتسوينا بين الكافة إلا بالتقوى أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام، وهم يسمّون طبقاتهم "برن" أي الألوان ويسمونها من جهة النسب "جابك" أي الموالي، وهذه الطبقات في أول الأمر أربع، عليها "البراهمة" قد ذكر في كتبهم أن خلقتهم من رأس "براهم"^(١) وأنّ هذا الاسم كناية عن القوة المسماة "طبيعة" والراس علاوة الحيوان فالبراهمة نقاوة الجنس ولذلك صاروا عندهم خيرة الإنس، والطبقة التي تتلوهم "كشتر" خلقوا بزعمهم من مناكب براهم ويديه ورتبتهم من رتبة البراهمة غير متباعدة جداً ونونهم "يش" خلقوا من رجلي براهم، وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان، وعلى تمايزهم تجمع المدن والقرى، أربعتهم مختلطي المساكن والنور، ثم أصحاب المهن دون هؤلاء غير معنودين في طبقة غير الصناعة ويسمّون "انترز" وهم ثمانية أصناف بالحرف ويتمازجون بما يشابهها من الحرف الأخر سوى القصار والاسكاف والحائك فإنه لا ينحط إلى حرفتهم سائرهم وهم القصار والاسكاف واللّعاب ونساج الزناويل والأترسة والسفان وصيّاد

(١) براهم هو الإله الأعظم عندهم.

السّمك وقناص الوحوش والطيور والحائك فلا يساكنهم الطبقات الأربع في بلدة وإنما يآوون إلى مساكن تقربها وتكون خارجها.

وأما "هادي" و"دوم" و"جندال" و"بدهتو" فليسوا معدودين في شيء وإنما يشتغلون برذالات الأعمال من تنظيف القرى وخدمتها، وكلهم جنس واحد يميزون بالعمل كولد الزنا، فقد ذكر أنهم يرجعون إلى أب "شودر" وأم "برهمن" خرجوا منهما بالسفاح فهم منفيون منحطون، ويلحق كلّ واحد من أهل الطبقات سمات وألقاب بحسب فعله وطريقته كالبرهمن مثلاً فإنّ هذه سمته مطلقة إذا لزم بيته في عمله فإذا لزم خدمة نار واحدة لقب "أيشتهى" وإذا خدم ثلاثاً من النيران فهو "أكن هو ترى" وإذا قرب للنار مع ذلك فهو "ديكشت"، فكذلك هؤلاء إلا أنّ "هادي" أحدهم لأنه يترفع عن القانورات ويتلوه دوم لأنه يجنكي⁽¹⁾ ويضطرب، ومن بعدهما يترشح للقتل والعقوبات صناعة ويتولاها وشرهم "بدهتو" فإنه لا يقتصر بأكل الميئة المعهودة ولكنه يتجاوزها إلى الكلاب وأمثال ذلك.

وكل طبقة من الأربع فإنها تصطف في المؤكلة على حدة ولا يشتمل صفّ على نفرين مختلفي الطبقة فإن كان في صف البراهمة مثلاً نفران منهم متنافران وتقارب مجلسهما فرق بين المجلسين بلوح يوضع فيما بينهما أو ثوب يمدّ أو شيء آخر بل إن حطّ بينهما تمايزاً، ولأنّ الفضلة من الطعام محرمة فإنها توجب الانفراد بالمأكل لأنه إذا تناوله أحد المؤاكلين في قصعة واحدة صار ما بقى بتناول الآخر وانقطاع أكل الأوّل فضلة محرمة.

فهذه حال الطبقات الأربع وقد قال "باسديو" حين سأله "أرجن" عن

(1) يجنكي: يضرب بالحنك، من آلات الطرب.

طبائع الطبقات الأربع وما يجب أن يتخلفوا به من الأخلاق: يجب أن يكون "البرهمن" وافر العقل، ساكن القلب، صادق اللهجة، ظاهر الاحتمال، ضابطاً للحواس، مؤثراً للعدل، بادي النظافة، مقبلاً على العبادة، مصروف الهمة إلى الديانة؛ وأن يكون "كشتر" مهيباً في القلوب، شجاعاً، متعظماً، ذلق اللسان، سمح اليد غير مُبال بالشدائد حريصاً على تيسير الخطوب وأن يكون "بيش" مشتغلاً بالفلاحة واقتناء السوائم والتجارة؛ وشوُدر" مجتهداً في الخدمة والتملق، متحيباً إلى كل أحد بها؛ وكل من هؤلاء إذا ثبت على رسمه وعادته نال الخير في إرادته إذا كان غير مقصر في عبادة الله، غير ناس ذكره في جلّ أعماله، وإذا انتقل عما إليه إلى ما إلى طبقة أخرى وإن شَرقت عليه كان إثماً بالتعدّي في الأمر.

وقال السيد عبدالحى الحسني والد السيد أبي الحسن الندوي العالم والداعي المشهور في كتابه: (الهند في العهد الإسلامي).

الهنديون وديانتهم:

أما "هندو"⁽¹⁾ فهم على أربعة أقسام: الاول البراهمة، ويقال لهم الكهنة أيضاً، ولهذا القسم التقدم على بقية الأقسام في جميع الأمور، الثاني: الجنر، ومن هذا القسم الملوك والحكام، والثالث: التجار والفلاحون، والرابع: أصحاب الصنائع والأعمال من كل نوع، وهذا القسم ينقسم أيضاً إلى أقسام شتى باعتبار الصناعة والعمل، وجميع هذه الأقسام لا يختلط بعضها ببعض أصلاً، ولا يمكن لمن ولد في أحدها أن ينتقل إلى الآخر.

وأما ديانتهم فهي عبارة عن المذهب البرهمني، وآلهتم كثيرة،

(1) يقصد بذلك الهنادكة الذين يعتقدون الديانة الهندوكية.

أعظمها "برهم" ويزعمون أنه في الغالب نائم وتارة يستيقظ، وفي إحدى اليقظات اشتق برهما ووشنو وشيراو آلهة أخرى تبلغ نحو ثلاثمائة وثلاثين ألف ألف، وكذلك جميع دقائق الهيولي في الأرض، والشمس والقمر والنجوم، ومن عقائدهم أن الاغتسال في نهر "كنك" يظهر من الخطيئة، فهم يقصدونه من الأطراف البعيدة لهذه الغاية ويحملون من مائة إلى أقاليم بلادهم، وقد جرت عاداتهم أن يحرقوا موتاهم بالنار، وإن كان للرجل المتوفى زوجة يحرقونها معه حية، ولكن هذه العادة الرديئة أبطلها الحكم الإنكليزي، فلا تجرى إلا خفية، أو في مكان ليس تحت سلطة الإنكليز، ومن عقائدهم أنهم لا يجيزون ذبح البقرة، وجزاء من ذبحها عندهم أن يخاط في جلدها ويحرق، وهم يعظمون البقرة، ويشربون أبوالها للبركة والاستشفاء إذا مرضوا، ويلطخون بيوتهم وحيطانهم بأرواثها، ومنها أنهم لا يأكلون اللحوم البتة إلا الجنديون، ومنها أنهم لا يأكلون إلا ما طبخوه بأنفسهم أو صنعوه بأيديهم، فإن اضطروا إلى الأكل من طعام غيرهم يرخص لهم في أكل الحبوب والبقول، واللبن والسمن، ودهن السمسم، ونحو ذلك، ولا يرون بتعذيب الحيوان وذبحه، ويغتسلون للأكل كغسل الجنابة، ولا ينكحون في أقاربهم إلا فيمن كان بينهم وبينه سبعة أجداد، وأن لا يدخل المسلم دورهم ولا يطعم في أيّتهم، فإن طعم فيها كسروها، أو أعطوها للمسلمين، فإن طبخوا له الطعام صبوه على أوراق الموز، وصبوا عليه الإدام، وما فضل عنه تأكله الكلاب، والطيور.

اللغة:

اللغات في الهند كثيرة متعددة تصل إلى أكثر من مائتي لغة، ولكن

الشخص الغريب الذي يصل إلى الهند لا يجد صعوبة في التفاهم مع الناس بالإنكليزية لأنها لغة الثقافة، والتعليم في عموم الهند ولأنه لم تكن توجد لغة واحدة موحدة لأهل الهند كلهم.

أما أشهر اللغات أو أكثرها استعمالاً في الهند لعامة الشعب فإنها كانت (الأوردية) وتسمى لغة (الأردو) والأردو هو المعسكر وذلك فيما قيل إنها نشأت في معسكر أحد ملوك المغول أو أكثر من ملك منهم حيث كانت نتيجة اختلاط عدد من اللغات باللغة السنسكريتية التي هي اللغة القديمة في الهند وذلك أن فيها الكثير من العربية والفارسية.

وظني أن هذا ليس بذاك وأنه لا يمكن أن تنشأ لغة بهذا الحجم من الكلمات وفيها الاستعارات والتشبيهات المجازية نتيجة اختلاط جنود في المعسكر، وإنما ذلك كانت نتيجة طبيعية، فاللغة الفارسية كانت لغة الثقافة فيما وراء النهر بخاصة بلاد الأفغان الذين كان منهم فاتحو الهند، والفارسية نفسها فيها الكثير من الألفاظ العربية وبخاصة المصادر، واللغة العربية هي لغة الدين والثقافة الدينية، وكانت لغة الثقافة الأولى في العصر العباسي وما بعده بقليل حتى في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر، لذلك دخلت إلى الهند مع الفاتحين ومع رجال العلم، ونتيجة لذلك كله وجدت اللغة الأوردية التي كانت تسمى في أول الأمر باللغة الهندية.

وعندما استقلت الهند في عام ١٩٤٧م كانت الأوردية هي اللغة الأولى بين اللغات الموجودة في الهند ولكن الحكومة الهندية رسمت خطة لإحلال اللغة الهندية التي أخذت من اللغة السنسكريتية التي هي لغة الثقافة القديمة في الهند آلاف الكلمات أدخلتها بديلة للأردية في البلاد حتى صار كثير من الناس وبخاصة من الهنادكة يعتبرونها اللغة الوطنية،

وهجروا (الأردنية) واسمها (الهندي) مع أن الفروق التي بينها وبين لغة (الأردو) ليست كبيرة وإذا سمع الشخص الذي لا يعرفها من يتكلم بها ظنه يتكلم الأوردية.

على أن هذه اللغة (الهندية) ليست معروفة حتى الآن ولا مستعملة في مناطق عديدة في جنوب الهند مثل ولايات (تامل نادو) و(كيرالا) و(كرناتك) فكل ولاية من هذه الولايات لها لغتها الوطنية الخاصة.

وقد فوجئت عندما كنت في مدينة مدراس التي هي المدينة الرابعة في الهند من حيث عدد السكان بعد كلكتا ودلهي وبومبي على الترتيب فسمعت مكبرات الصوت في مطارها لا تتكلم باللغة الهندية وإنما تستعمل اللغة الإنكليزية وأحياناً معها (التاميلية) التي هي لغة (تامل نادو).

ومثل ذلك يقال في ولاية كيرالا التي تتكلم بلغة (مالا يالم) التي اسمها بعضهم نظرفاً لغة (مالا يعلم).

وهذا الكلام على اللغات هو بالنسبة للمتعلمين وأشباههم، أما العامة وغير المتعلمين من أهل الهند فإن كل واحد منهم لا يعرف إلا اللغة الشائعة في الولاية أو المنطقة التي يعيش فيها.

وأذكر أننا كنا مرة مسافرين من مدينة (كاليكوت) في جنوب الهند إلى مدينة بنقلور عاصمة ولاية (كرناتك) وهي تتكلم بلغة كَنَرا فوجدنا رجلاً ريفياً يبيع شيئاً من الخضرات على الطريق وكان معنا من أهل كيرالا من يتكلم (مالا يالم) والتاميلية والأوردية والإنكليزية فلم يعرف الرجل شيئاً من هذه اللغات وكنا بحاجة إلى شراء شيء مما عنده فاضطررنا أن نستجد بشخص مر بسيارته وأشرنا إليه فتفاهمنا معه بالإنكليزية.

قال الشيخ سليمان الندوي في كتابه (تاريخ الصلات بين البلدان العربية والهند):

أثر الثقافة العربية في تكوين اللغة الأوردية في هذا العصر:

طوال عصر المماليك كانت تسمى : "لغة بالي براكرت" باللغة الهندية، إلا أنها في العصر المغولي اتخذت لنفسها شكلاً خاصاً وراجت رواجاً عاماً بين الناس حتى صارت لغة التفاهم والأدب والشعر في أنحاء الهند، وكانت هذه اللغة تسمى بأسماء كثيرة حسب أطوارها المختلفة مثل براكرت وبرج بهاشا ثم الهندوستانية أو الأردية، وفي العصر المغولي بنى الملك "أكبر" ثالث ملوك المغول - قصراً كبيراً وأنشأ فيه سوقاً كبيرة حيث كانت تتردد الملكات والأميرات والنساء الفارسيات والتركيات ونساء الهنديات، وهذا الاتصال والالتقاء كان السبب في أن تستمد "بالي براكرت" الكلمات الفارسية والتركية والعربية وتعبيراتها ومفاهيمها، وكذلك أنشأ "أكبر" معسكراً كبيراً اجتمع فيه أجناس مختلفة من الناس مثل الهنود والعرب والفرس والأتراك والمغول وغيرهم، وهذه الظاهرة هي الأخرى ساعدت على أن تتجاوب هذه اللغة مع اللغات الثلاث المذكورة وتستمد منها الكلمات والتعبيرات.

ولم يتجاوز هذا التفاعل والتجارب حدود الكلمات والتعبيرات لأن "براكرت" أو "برج بهاشا" لم تفقد أصالتها وهيكلها الأري السنسكريتي من حيث القواعد أو هندسة التركيب.

ثم زاد هذا التفاعل على مرور العصور حتى لم يكد يصل عصر "أورنجزيب عالمكير" - أعظم ملك مغولي وآخرهم قوة ومجداً - حتى

ترجمت إليها كتب كثيرة فارسية مثل "منطق الطير للشيخ فريد الدين العطار"، ثم ظهر في هذه اللغة أعظم شاعر وهو "ولي الدكني" الذي خلف لنا ديواناً كبيراً وأبياتاً كثيرة لا تزال ترددها ألسنة الأدباء والشعراء، وبهذا خطت هذه اللغة خطوات حثيثة نحو التقدم والازدهار حتى أصبحت من أشهر وأكبر لغات العالم إذ ينطق بها ملايين الناس في الهند وباكستان.

وفيما يتعلق بهذه اللغة ينبغي لنا أن نذكر ظاهرتين هامتين:

أولاهما: أنه قد استمدت هذه اللغة فيما بعد كلمات عربية وفارسية لا حد لها دون أن تتخذ لنفسها أصولاً ومنهاجاً لاستعارة الكلمات الجديدة، فكانت اللغة العربية والفارسية قدوة لها في معظم الأحيان، ولذلك طغت عليها الكلمات العربية والفارسية، كما استمدت أيضاً الحروف العربية والفارسية وهذه هي الأردية.

والثانية: قد اتخذت هذه اللغة التي كان يتكلم بها الهندوس منهاجاً وأصولاً لها تستمد بموجبها الكلمات الجديدة وتصريف الأسماء وتستعير المفردات تبعاً لمقتضياتها، وهذه اللغة قد سميت بالهندية الآن والتي تواجه الهند مشكلات لا حد لها في اتخاذها اللغة الرسمية في أنحاء الهند، وما زلنا نجد في اللغتين فرقا بسيطاً جداً والتقارب والتشابه صار قوياً جداً، وإذا وجدت في اللغة الهندية الكلمات العربية والفارسية بنسبة الثلث فالباقي من الكلمات السنسكريتية التي نبشت من مرقدتها، أما الأردية فتحوي على مقدار الثلثين من الكلمات العربية والفارسية والثلث وحده من الكلمات السنسكريتية وغيرها من الكلمات.

وفي ختام البحث للعصر المغولي ينبغي لنا القول بأنه عصر

ازدهار للعلوم والمعارف بدون نزاع، وكذلك ازدهرت العلوم العربية وتقدمت تقدماً ملحوظاً حينما ترجمت أمهات الكتب العربية إلى الفارسية ودونَ الفقه الإسلامي وألفت كتب قيمة- رغم وجود الضعف في المنهج والأسلوب- مثل مسلم الثبوت في الأصول لحجة الله البالغة في فلسفة التشريع الإسلامي، وكتب قيمة في السنة النبوية للشيخ علي المتقي والشيخ محمد بن طاهر الفتني والشيخ عبدالحق الدهلوي والإمام الشاه ولي الله الدهلوي، كما برز في مجال المعاجم العربية عبدرب النبي بن عبدرب الرسول ومحمد علي التهانوي اللذان ألقا أشهر المعاجم في مصطلحات العلوم والفنون.

انتهى كلامه.

وقال أبو الريحاني البيروني في أول كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة) إن القوم- يعني أهل الهند- تباين بجميع ما تشترك فيه الأمم وأولها اللغة وإن تباينت الأمم بمثلها ومتى رامها أحد لإزالة المباينة لم يسهل ذلك لأنها في ذاتها طويلة عريضة تشابه العربية يسمى الشيء الواحد فيها بعدة أسماء مقتضبة ومشتقة.

وبوقوع الاسم الواحد على عدة مسميات محوجة في المقاصد إلى زيادة صفات إذ لا يفرق بينها إلا ذو فطنة لموضع الكلام، وقياس المعنى إلى الورا والامام.

ثم هي منقسمة إلى مبتدل لا ينتفع به إلا السوقة، وإلى مصون فصيح يتعلّق بالتصاريّف والاستئناف ودقائق النحو والبلاغة، لا يرجع إليه غير الفضلاء المهرة، ثم مركبة من حروف لا يطابق بعضها حروف العربية والفارسية ولا تشابهها، بل لا تكاد السنننا ولهواتنا تنقاد لإخراجها

على حقيقة مخرجها، ولا أذانا تسمح بتمييزها من نظائرها وأشباهها، ولا أيدينا في الكتابة لحايتها، فيتعذر بذلك إثبات شيء من لغتهم بخطنا لما نضطر إليه من الاحتيال لضبطها بتغيير النقط والعلامات وتقييدها بإعراب إما مشهور وإما معمول.

ويكفيك معرفاً أننا ربما تلقفنا من أفواههم اسماً واجتهدنا في التوثقة منه، فإذا أعدناه عليهم لم يكانوا يعرفونه إلاً بجهد.

قال أبو الريحاني البيروني: ويجتمع في لغتهم - أي أهل الهند - كما يجتمع في سائر لغات العجم حرفان ساكنان وثلاثة وهي التي يسميها أصحابنا متحركات بحركات خفية، ويصعب علينا التفوه بأكثر كلماتها وأسمائها لافتتاحها بالسواكن.

وقال السيد عبدالحى الحسني في كتابه (الهند في العهد الإسلامي):

أما لغاتهم - أي الهنود - فهي على نحو سبع وأربعين ومائة لغة، وهي متفرعة من أصلين: أحدهما "سنسكريت" وهذه اللغة لا يتكلمون بها ولكن كتب علومهم الدينية مكتوبة بها، ومن فروعها "بنكلة" و"بهاشنا" و"أريا" و"الكجراتي" و"المرهتي" و"البنجابي" و"أردو" وغيرها، أما "أردو" فهي مترتبة من اللغات الهندية والفارسية والعربية، غالباً تكتب بالحروف العربي على شكل الخط الفارسي، وهي شائعة في أكثر بلاد الهند، والثانية لغة الهند الأصلية، ومن فروعها "تامل" و"التنكي" و"الكثري" و"ملايالم" وغيرها، وهي شائعة في البلاد الجنوبية، وهذه لغات أهالي الهند الأصلية، و"تامل" و"التنكي" لا يقصران عن "سنسكريت" في الحكمة والأدب والشعر.

دخول الإسلام إلى الهند

لدينا مراجع عديدة متوافرة باللغة العربية عن كيفية دخول الإسلام إلى الهند وإن ذلك كان في وقت مبكر أي أثناء إمارة الحجاج بن يوسف على العراق في آخر القرن الأول، ولكن ذلك اقتصر على منطقة السند، ثم دخل الإسلام بقوة وعزم وجهود عظيمة بذلها المسلمون وبخاصة الملك المجاهد محمود بن سبكتكين وأبناءه وأقاربه من خلفائه، وكانت عاصمته (غزنة) في أفغانستان الآن.

ولم يكن ذلك بالأمر السهل بل تطلب من المسلمين الغزوات تلو الغزوات قدموا فيها الشهداء وبذلوا الأموال والأنفس في سبيل الله.

وقد رأيت توفيراً للجهد والوقت ومن أجل توثيق الكلام أن أخص بعض ما ذكره السيد عبدالحى الحسني والد السيد (أبو الحسن الندوي) الزعيم الديني والداعية الكبير في كتابه (الهند في العهد الإسلامي) كما أسماه بذلك السيد أبو الحسن وطبع بإشرافه في الهند.

فالمؤلف السيد عبدالحى كتب كتابه بالعربية لأنه عالم بالعربية متشبع بأدابها مطلع على ما ورد في موضوع دخول الإسلام إلى الهند في المراجع العربية وذكر أنه لم يقتصر على ذلك وإنما رجع إلى مراجع بالفارسية والأوردية اللتين كان يحسنهما.

وهذا ملخص لما جاء في كلامه:

قال تحت عنوان (ظهور الإسلام بأرض الهند):

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان في سنة ٥ هجرية، فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان، فبعث جيشاً إلى "تانه"، فلما رجع الجيش

كتب إلى عمر يعلمه ذلك، فكتب إليه عمر "يا أبا ثقيف! حملت دوداً على عود، وإنني أحلف بالله أن لو أصيبوا لآخذن من قومك مثلهم".

ووجه الحكم أيضاً إلى "بروص" ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاص إلى خور الديبل، فلقى العدو فظفر.

فلما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه وولى عبدالله بن عامر بن كريز "العراق"، كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكيم بن جبلة العبدي، فلما رجع أوفده إلى عثمان، فسأله عن حال البلاد فقال: يا أمير المؤمنين! قد عرفتھا وتحررتها، قال: فصفا لي، قال: ماؤها وشل، وثمرها دقل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فقال له عثمان: أخابر أم ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يغزها أحداً.

فلما كان آخر سنة ثمان وثلاثين وأول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن أبي مرة العبدي متطوعاً بإذن علي، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً، وقسم في يوم واحد ألف رأس، ثم إنه قتل ومن معه بأرض القيقان إلا قليلاً، وكان مقتله في سنة اثنتين وأربعين والقيقان من بلاد السند مما يلي خراسان.

ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية رضي الله عنه سنة أربع وأربعين، فأتى "بنة" و"الأهواز" وهما بين "ملتان" و"كابل" فلقى العدو فقاتله ومن معه، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفة، فقاتلوه فقتلوا جميعاً.

ثم ولي عبدالله بن عامر في زمن معاوية بن أي سفيان عبدالله بن

سواد العبدى، ويقال: ولاء معاوية من قبله ثغر الهند، فغزا القيقان فأصاب مغنماً، ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلاً قيقانية، وأقام عنده، ثم رجع إلى القيقان فاستجاشوا الترك فقتلوه.

وولي زياد بن أبي سفيان في أيام معاوية سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، فأتى الثغر، ففتح مكران عنوة ومصرها، وأقام بها وضبط البلاد، وقيل إن الذي فتح مكران حكيم بن جبلة العبدى، ثم استعمل زياد على ثغر الهند راشد بن عمرو الجديدي من الأزدي، فأتى مكران، ثم غزا القيقان فظفر، ثم غزا الميد، فقتل وقام بأمر الناس سنان بن سلمة، فولاه زياد الثغر، فأقام به سنتين، وغزا عياد بن زياد ثغر الهند من سجستان، فأتى "سنارود" ثم أخذ على حوى كهزالي "الروذبار" من أرض سجستان إلى "الهندمند" فنزل "كش" وقطع المفازة حتى "القندهار" فقاتل أهلها فهزمهم وقلهم، وفتحها بعد أن أصيب رجال من المسلمين.

ورأى فلانس أهلها طوالاً، فعلم عليها فسميت العيادية، ثم ولي زياد المنذر بن الجارود العبدى، ويكنى أبا الأشعث ثغر الهند، فغزا البوقان والقيقان، فظفر المسلمون وغنموا، وبث السرايا في بلادهم وفتح "قصدار"، وسبى بها، وكان سنان فتحها إلا أن أهلها انتقضوا وبها مات.

ثم ولي عبيد الله بن زياد ابن حري الباهلي، ففتح الله تلك البلاد على يده وقاتل بها قتالاً شديداً، فظفر وغنم، وقال قوم: إن عبيد الله بن زياد ولي سنان بن سلمة، وكان ابن حري على سراياه وأسلم أهل البوقان.

وقد بنى عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي بها مدينة سماها البيضاء، وذلك في خلافة المعتصم بالله، ولما ولي حجاج بن

يوسف النّفقي العراق ولى سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي مكران وذلك الثغر، فخرج عليه معاوية ومحمد أبنا الحارث العلافيان، فقتل وغلب العلافيان على الثغر، فولى الحجاج مجاعة بن سعر التميمي ذلك الثغر، فغزا مجاعة فغنم وفتح طوائف من "قنداييل"، ثم أتم فتحها محمد بن القاسم ومات "مجاعة" بعد سنة بمكران.

ثم استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون بن نراع النمري فأهدى إلى الحجاج في ولايته ملك جزيرة الياقوت نسوة ولدن في بلاده مسلمات، ثم ولى الحجاج محمد بن قاسم النّفقي في أيام الوليد بن عبدالمك فغزا السند، وكان محمد بفارس، وعمد الحجاج إلى القطن المحلوج، فنقع في الخل الحاذق، ثم جفف في الظل، فقال: إذا صرتم إلى السند فإن الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن في الماء، ثم اطبخوا به وأصطبغوا^(١)، ويقال: إن محمداً لما صار إلى الثغر كتب يشكو ضيق الخل عليهم، فبعث إليه بالقطن المنقوع في الخل، فسار محمد بن القاسم إلى مكران، فأقام بها أياماً، ثم أتى قنزبور ففتحها، ثم سار محمد بن القاسم إلى أرمائيل ونصب منجنيقاً تعرف بالعروس، وكان يمد فيها خمسمائة رجل، وكان بالديبل بد^(٢) عظيم (بتخانته) فيما ذكروا منارة عظيمة تتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم، أو أصنام يشتهر بها، وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضاً، وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد عليه بصفة ما قبلها، واستطلاع رأيه، فيما يعمل به في كل ثلاثة أيام، فورد على محمد من الحجاج كتاب أن انصب العروس، واقصر منها قائمة، ولتكن مما يلي المشرق، ثم ادع صاحبها، فمره أن

(١) اصطبغوا: أنتموا، أي اجعلوه إداماً.

(٢) البد: بيت العبادة للبوذيين وربما أريد به هنا مجرد بيت العبادة للكفار.

يقصد برميته للدقل^(١) الذي وصفت لي، فرمى الدقل فكسر، فاشتد طرة الكفر من ذلك، ثم إن محمداً ناهضهم وقد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردهم، وأمر بالسلاليم فوضعت، وصعد عليها الرجال، وقتل سادن بيت ألهمهم، واختط محمد للمسلمين بها وبنى مسجداً، وأنزلها أربعة آلاف، ثم أتى محمد بن القاسم البيرون، وكان أهلها بعثوا سمنيين^(٢) منهم إلى الحجاج، فصالحوه فأقاموا لمحمد العلوقة، وأدخلوه مدينتهم ووفوا بالصلح، وجعل محمد لا يمر بمدينة إلا فتحها، حتى عبر نهراً دون مهران.

ثم إن محمداً احتال لعبور نهر مهران، حتى عبره مما يلي بلاد راسل ملك قصة (معرب كجه) من الهند على جسر عقده الملك وداهر ملك المنطقة الهندوكي مستخف به، ولاه عنه، ولقيه محمد والمسلمون وهو على فيل، وحوله الفيلة ومعه التكاكرة، فاقتلوا قتالاً شديداً لم يسمع بمثله، وترجل داهر وقاتل، فقتل عند المساء وانهزم الهنادك فقتلهم المسلمون كيف شاؤا، ولما قتل داهر غلب محمد بن القاسم على بلاد السند.

ثم أتى محمد بن القاسم برهمناباد العتيقة، وهي على رأس فرسخين من المنصورة، ولم تكن المنصورة يومئذ، إنما كان موضعها غيضة، وكان فل داهر ببرهمناباد هذه، فقاتلوا عامله وهي اليوم خراب، وسار وانتهى محمد إلى الرور وهي من مدائن السند، وهي على جبل، فحصرهم أشهراً، ففتحها صلحاً على أن لا يقتلهم ولا يعرض لكنائسهم^(٣)، ووضع عليهم الخراج بالرور وبنى مسجداً، وسار محمد إلى السكة، وهي مدينة تون بياس ففتحها، ثم قطع نهر بياس إلى الملتان، فقاتله أهل الملتان

(١) الدقل: عمود السفينة الذي يوضع فيه شراعها.

(٢) السمنيون هم الذين يعتقدون بمذهب السمنية، قيل هو البوذية وقيل هو قريب منها.

(٣) يريد معابدهم وإلا فإنهم لم يكونوا على الدين المسيحي.

فأبلى زائدة بن عمير الطائي، وانهزم المشركون فدخلوا المدينة وحصرهم محمد، ونفدت أزواد المسلمين فأكلوا الحمر^(١)، ثم أتاهم رجل مستأمن، فدلهم على مدخل الماء الذي منه شربهم، وهو ماء يجري من نهر "بسمد" فيصير في مجتمع له مثل البركة في المدينة، وهم يسمونه التلاح، فغوره، فلما عطشوا نزلوا على الحكم.

وأصاب المسلمون ذهباً كثيراً، فجمعت تلك الأموال في بيت يكون عشرة أذرع في ثمان أذرع، يلقي ما أودعه في كوة مفتوحة في سطحه، فسميت الملتان فرج بيت الذهب، والفرج الثغر.

قالوا: ونظر الحجاج فإذا هو أنفق على محمد بن القاسم ستين ألف ألف، ووجد ما حمل إليه عشرين ومائة ألف ألف، فقال: شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا، وأزددنا ستين ألف ألف درهم، ورأس داهر (ملك السند).

فلما كان أول الدولة العباسية ولي أبو مسلم عبدالرحمن بن مسلم الخراساني مغلماً العبدى ثغر السند، وسار حتى صار إلى منصور بن جمهور الكلبى وهو بالسند، فلقية منصور فقتله وهزم جنده، فلما بلغ أيام مسلم ذلك عقد لموسى بن كعب التميمي ثم وجهه إلى السند، فلما قدمها كان بينه وبين منصور مهران، ثم التقيا فهزم منصوراً وجيشه وقتل منظوراً أخاه، وولي موسى السند سنة أربع وثلاثين ومائة، فرم المنصورة وزاد في مسجدها، وغزا وافتتح ثم سار إلى العراق، واستخلف ابنه عيينة بن موسى على أرض السند، ومات موسى بالعراق بعد ذلك فخلع عيينة الطاعة، فلما بلغ الخبر إلى المنصور العباسي

(١) الحمر: جمع حمار.

الخليفة سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة، ووجه عمر بن حفص بن أبي صفراء العتكي عاملاً على السند والهند، فحاربه عيينة، فسار حتى ورد السند فغلب عليها سنة اثنتين وأربعين ومائة.

ثم توالى الولاة على السند وما حولها وجرت عليهم خطوب كثيرة كانوا يقاتلون من نقض الهند أو ارتد عن الإسلام من ملوكها أو من تقاعس من ولاتها، وهي حوادث ذات عبر عظيمة في الصبر والمصابرة واستسهال الصعب في تثبيت راية الإسلام في السند وما حوله.

ثم قال السيد عبدالحى الحسني تحت عنوان: استيلاء الملوك الغزنوية والغورية على الهند:

لما استولى الأمير سبكتكين على خراسان بعد أن توفي أبو إسحاق ابن ألبتكين صاحب جيش غزنة السامانية، واتفق الناس عليه سنة ست وستين وثلاثمائة، ساس أمورهم سياسة حسنة، وسار نحو الهند سنة سبع وستين فافتتح قلاعاً حصينة على شواهد الجبال، وبنى المساجد بها، و عاد إلى غزنة سالماً وظافراً.

وولى الملك بعده ابنه محمود بن سبكتكين سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، واشتغل بأمر خراسان فثنى عنانه نحو الهند ودخل الهند سبع عشرة مرة، وجاس البلاد وغنم أموالاً، فمنها أنه قصد الهند سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وأقام على مدينة بيشاور فأتاه جيال ملك الهند في عساكر كثيرة، فاختار محمود من عساكره والمتطوعة خمسة عشر ألفاً وسار نحوه، فالتقوا واقتتلوا وصبر الفريقان، فلما انتصف النهار انهزم المشركون وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جيال ومعه جماعة كثيرة من

أهله وعشيرته، وغنم المسلمون منهم أموالاً جلييلة وجواهر نفيسة.

ثم سار نحو "ويهند" فأقام عليها محاصراً لها حتى فتحها قهراً، وبلغه أن جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد، فسير إليهم طائفة من عسكره، فأوقعوا بهم، وأكثروا القتل فيهم، ولم ينج منهم إلا الشريد الفريد، وعاد إلى غزنة سالماً ظافراً سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

ثم غزا بهاطية من أعمال السند، وهي وراء ملتان سنة ثلاث وقيل خمس وتسعين وثلاثمائة، وهي مدينة حصينة عالية السور، يحيط بها خندق عميق، فامتنع صاحبها بها، ثم إنه خرج إلى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة أيام، ثم انهزم في الرابع وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه، فسبقهم المسلمون إلى باب البلد، فملكوه عليهم وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم، وأقام محمود بهاطية، حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها، وعاد عنها إلى غزنة، واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه.

ثم في سنة ست وتسعين وثلاثمائة غزا ملتان وقصد صاحبها أبا الفتح داود بن نصير بن حميد القرمطي الملتاني، الذي نقل عنه خبث اعتقاده ونسب إلى مذهب القرامطة، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه فأجابوه، فرأى محمود أن يجاهده ويستنزله عما هو عليه، فسار نحوه فرأى الأنهار التي في طريقه كثيرة الزيادة، عظيمة المد، وخاصة سيحون، فإنه منع جانبه من العبور، فأرسل الملك إلى أنندبال يطلب إليه أن يأذن له في العبور ببلاده إلى ملتان فلم يجبه إلى ذلك، فابتدأ به قبل

ملتان وقال: تجمع بين غزوتين، فدخل بلاده وجاسها، وأكثر القتل فيها، ففر أندبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان، من مضيق إلى مضيق، إلى أن وصل إلى كشمير، ولما سمع أبو الفتح بخبر إقباله إليه، علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه، فنقل أمواله إلى كشمير وأخلى ملتان، فوصل محمود إليها ونازلها فإذا أهلها في ضلالهم يعمهون، فحصرهم وضيق عليهم وتابع القتال حتى افتتحها عنوة وألزم أهلها عشرين ألف ألف درهم عقوبة لعصيانهم.

وسمع محمود في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة أن سكهبال أحد ملوك الهند أرتد عن الإسلام، وكان قد أسلم على يده قبل ذلك وكان أمره على ويهند فسار إليه مجداً، فحين قاربه فر الهندي من بين يديه، واستعاد محمود تلك الولاية وأعادها إلى حكم الإسلام، واستخلف عليها بعض أصحابه وعاد إلى غزنة واستراح هو وعساكره.

ثم استعد لغزوة أخرى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، فسار نحو الهند فانتهى إلى شاطئ نهر هندمند، فلاقاه هناك برهمن بال بن أندبال في جيوش الهند فاقتلوا ساعات من النهار، وكاد المشركون يظفرون بالمسلمين، ثم إن الله تعالى جاء بالنصر فظفر بهم المسلمون فانهزموا على أعقابهم وأخذهم المسلمون بالسيف، وتبع محمود أثر برهمن بال حتى بلغ نرركوت، وكانت على جبل عال وكان المشركون قد جعلوها خزانة لصنمهم الأعظم فينقلون إليها أنواع الذخائر قرناً بعد قرن وأعلاق الجواهر، وهم يعتقدون ذلك ديناً وعبادة، فاجتمع فيها على طول الأزمان ما لم يسمع بمثله، فنازلهم محمود وحصرهم وقتلهم، فلما رأى المشركون كثرة جمعه وحرصهم على القتال وزحفهم إليه مرة بعد

أخرى، فخافوا وجبنوا وطلبوا الأمان وفتحوا باب الحصن وملك المسلمون القلعة وصعد محمود إليها في خواص أصحابه وثقاته، فأخذ منها من الجواهر ما لا يحد ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهية، ومن الأواني الذهبية والفضية سبعمائة ألف وأربعمائة من، وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً، إلى غير ذلك من الأمتعة، وعاد إلى غزنة بهذه الغنائم.

وسار نحو الهند سنة أربعمائة عازماً على غزوها، فسار إليها واخترقها واستباحها ونكس أصنامها، فلما رأى ملك الهند أنه لا قوة له به راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلاً، وأن يكون له في خدمته ألفا فارس لا يزالون، فقبض منه ما بذله، وعاد عنه إلى غزنة، وتتابعت القوافل بين خراسان وبلاد الهند في ضمان الأمان والرفاهية والاطمئنان، وتسمى هذه الغزوة بوقعة نارائن.

ثم سار إلى الهند سنة أربع وأربعمائة في جمع عظيم وحشد كثير، وقصد واسطة البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب أصحابه وعساكره، فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده وأصحابه وبرز إلى جبل هناك، صعب المرتقى ضيق المسالك، احتفى به وطاول المسلمين، وكتب إلى المشركين يستدعيهم من كل ناحية، واجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحاً، فلما تكاملت عدته نزل من الجبل، وتصاف هو والمسلمون، واشتد القتال وعظم الأمر، ثم إن الله تعالى منح المسلمين أكتافهم، فهزموهم وأكثروا القتل فيهم، وغنموا ما معهم من مال وفيل وسلاح وغير ذلك، وتسمى هذه الغزوة بفتح ناردين، وكانت قلعة ناردين على جبل بالناتيه.

ثم سار إلى الهند سنة خمس وأربعمائة، وعزم على غزوة تهانيسر، فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة، فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر، وعرة المسالك، وقفاراً فسيحة الأقطار والأطراف بعيدة الأكتاف، والماء بها قليل، فلحقوا شدة، وقاسوا مشقة، إلى أن قطعوها، فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهراً شديداً الجرية، صعب الماخضة، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه، يمنع من عبوره، ومعه عساكره وفيلته، فأمر محمود شجاعان عسكره عبور النهر واشغال الكافر بالقتال، ليتمكن باقي العسكر من العبور، ففعلوا ذلك وقتلوا المشركين وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في الماخضات وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار، فانهزم المشركون وظفر المسلمون، وغنموا ما معهم من أموال وفيلة، وكان فيها معبد للمشركين من أعظم المعابد، فهدمه وأخذ الجواهر النفيسة والذهب والفضة وغيرها من الأموال الطائلة.

ثم رجع إلى غزنة وسار نحو الهند على عادته سنة ست وأربعمائة، فضل أدلاؤه الطريق، ووقع هو وعسكره في مياه فائضة فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه أياماً حتى تخلص وعاد إلى خراسان، وقيل إنه سار إلى كشمير وحاصر قلعة "لوه كوٹ" مدة من الزمان واضطر الناس ممن يلزم ركابه من البرد والتلج إلى ترك المحاصرة فرجع إلى غزنة.

ثم سار نحو الهند على عادته سنة سبع وأربعمائة، عازماً على غزو كشمير إذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين كشمير، وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد، وسار إليها من غزنة ثلاثة أشهر سيراً دائماً، وعبر نهر "سيحون" و"جيلم" وهما

نهران عميقان شديدا الجرية، فوطئ أرض الهند وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الإتاوة، فلما بلغ درب كشمير أتاه صاحبها وسار بين يديه يريد قنوج ففتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن قنوج، وكان حصنها منيعا عاليا لا يكاد أن يفتح ولكن الله سبحانه ألقى الرعب في قلب صاحبها فخرج في نحو عشرة آلاف يطلب الأمان فقبله محمود.

ثم سار محمود بعد ثلاثة أيام إلى حصن "ميرت" وصاحبها هروت لما علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه سلم الحصن إلى بعض أصحابه وخرج منها فوصل محمود إليها ونازلها وتابع القتال وضيق عليهم فأرسلوا إليه يطلبون الأمان، فقبله وأخذ منهم الأموال الطائلة، ثم سار إلى حصن مهاون، كان على شاطئ نهر جمنا، وصاحبها كلجند كان من أعيان الهند، وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها إلا بمشقة، فسير كلجند عساكره وفيوله إلى أطراف تلك الغياض، يمنعون من سلوكها، فترك محمود عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا إلى الحصن، فلم يشعروا به إلا وهو معهم، فقاتلهم قتالا شديدا، فلم يطيعوا الصبر على حد السيوف فانهزموا، وأخذهم السيف من خلفهم ولقوا نهرا عميقا بين أيديهم فاقتحموه، فغرق أكثرهم، وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين ألفا.

ثم سار إلى متهرا مولد كرشن، وكان فيها معبد للمشركين، من الأبنية على نهر جمنا، ولهم به من الأصنام كثير، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر، وكان فيها من الذهب ستمائة وتسعون ألفا وثلاثمائة مقال، وكان بها من الأصنام المصوغة من الفضة نحو مائتي صنم، فأخذ جميعه وأحرق الباقي وسار بعد عشرين يوما إلى

حصون غير ما ذكرناه، فرأى أن صاحبها راجبال قد فارقها وعبر الماء المسمى بكنك^(١) فأخذها محمود، وهي سيع على الماء المذكور، وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم.

ثم سار إلى قلعة البراهمة فقاتلوه وثبتوا، فلما عضهم السلاح عرفوا أنهم لا طاقة لهم، فاستسلموا للسيف، فقتلوا ولم ينج منهم إلا الشريد.

ثم نحو قلعة آسي، وصاحبها جندبال، فلما قاربها هرب جندبال، وأخذ محمود حصنه وما فيه، ثم سار إلى قلعة شروه، وصاحبها جند راي، فلما قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منبعة يحتمي بها، وعمى خبره فلم يدر أين هو، فنازل محمود حصنه، فافتتحه وغنم ما فيه، وسار في طلب جندراي جريده^(٢) وقد بلغه خبره، فلحق به فقاتله، فقتل أكثر جنده وأسّر كثيراً منهم، وغنم ما معه من مال وفيل، وهرب جندراي في نفر من أصحابه فنجوا.

وفي سنة تسع وأربعمائة سار إلى الهند غازياً واحتشد وجمع واستعد وأعد أكثر مما تقدم، وسبب هذا الاهتمام أنه لما فتح قنوج وأطاه صاحبها ثم عاد إلى غزنة أرسل نندا ملك "كالنجر" إلى كوره ملك قنوج يوبخه على انهزامه وإسلام بلاده للمسلمين، وطال الكلام بينهما، وآل أمرهما إلى الاختلاف، وتأهب كل واحد منهما لصاحبه وسار إليه، فالتقوا واقتتلوا فقتل راجبال وأتى القتل على أكثر جنوده، فازداد نندا بما اتفق له شراً وعتواً، وقصده بعض ملوك الهند الذين ملك محمود بلادهم، والتجأ إليه فوعده باعادة ملكه إليه، فتمت هذه الأخبار إلى محمود فأزعجته،

(١) يريد نهر الكنج أو (قانقا).

(٢) جريده يعني في الخفيف من الفرسان والركبان من العسكر، دون الامتعة والاتباع.

وتجهز للغزو وقصد كالنجر، وسار عن غزوة ، ثم أستقل على المسير، وعبر نهر كنك، فلما جازه رأى قوافل قد بلغت عدة أحمالهم ألفا فغنمها، وهي من العود والأمتعة فائقة، وجدّ به السير فأتاه في الطريق خبير حفيد جيبال الذي تقدم ذكره، سار بين يديه ملتجئاً إلى نندا فطوى المراحل ولحق به، وكان بينه وبين المشركين نهر عميق، فعبر إليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال، ثم عبر هو وباقي العسكر إليهم، فاقتتلوا عامة نهارهم، وانهزم حفيد جيبال ومن معه، وكثر فيهم القتل والأسر، وأسلموا أموالهم، وأهل بهم، فغنمها المسلمون وأخذوا منهم الكثير من الجواهر، وأخذ ما يزيد على مائتي فيل، وسار المسلمون يقنقون آثارهم، وانهزم ملكهم جريحاً وتحير في أمره وأرسل إلى محمود يطلب الأمان فلم يؤمنه، وقتل من عساكره ما لا يحصى، وسار الملك المذكور ليلاحق بنندا، فانفرد به بعض المشركين فقتله.

فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم إلى محمود يبذلون له الطاعة، وسار محمود بعد هذه الواقعة إلى باري، وهي من أحسن القلاع والبلاد وأقواها فرآها من سكانها خالية وعلى عروشها خاوية، فأمر بهدمها وتخريبها، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، وسار يطلب نندا فلحقه، وقد نزل إلى جانب نهر، وأجرى الماء من بين يديه فصار وحلاً، وترك عن يمينه وشماله طريقاً يبساً يقاتل منه إذا أراد القتال، وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس، ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل، وسبعمائة وستة وأربعين فيلاً، فأرسل محمود طائفة من عسكره للقتال فأخرج إليهم نندا مثلهم، ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان فأدركهم الليل، وحجز بينهم، فلما كان

الغد بكر محمود إليهم، فرأى الديار منهم بلاقع، وركب كل فرقة منهم طريقاً مخالفاً لطريق الأخرى ووجد خزائن الأموال والسلاح بحالها، فغنم الجميع واقتفى آثار المنهزمين، فلحقهم في الغياض والأجام، وأكثر فيهم القتل والأسر، ونجا "نندا" فريداً وحيداً، وعاد محمود إلى غزنة.

ثم قدم السلطان محمود بن سبكتكين الهند سنة اثنتي عشرة وأربعمائة عازماً على الغزو، فقصده كشمير وحاصر قلعة "لوه كوٹ" وأدام الحصار شهراً كاملاً، وضيق عليهم واستمر القتال، ثم استيأس من الفتح، ورجع إلى لاهور، فسير جيوشه إلى ناحيتها، فغنم المسلمون كثيراً من المال، ولما رأى حفيد جيبال عجزه عن المقاومة انحاز إلى أجمير واحتفى بصاحبها، فقبض محمود على لاهور، وقبض على ما والاها من البلاد، وأقام الخطبة له وأمر بها واحداً من أمرائه، ثم رجع إلى غزنة.

وسار نحو الهند سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وقصد نندا، فلما وصل إلى قلعة كوالير، وهي على رأس جبل منيع، ليس له مصعد إلا من موضع واحد، تسع خلقات، وفيها من الغلات والمياه وجميع ما يحتاج إليه الناس، فحصر أهلها وأدام الحصار وضيق عليهم واستمر القتال، فقتل منهم كثير، ولما رأوا ما حل بهم أذعنوا له وطلبوا الأمان فأمنهم وهرب صاحبها نندا إلى كالنجر، فسار خلفه إليها وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف إنسان، وفيه خمسمائة فيل وعشرون ألف دابة، وفي الحصن ما يكفي الجميع مدة، فلما قاربها وبقي بينهما سبعة فراسخ رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق ما لا قدرة عليه، فأمر بقطعها ورأى في الطريق خندقاً عظيم العمق بعيد القعر، فأمر أن يطم منه مقدار ما يسع عشرين فارساً، فطموه بالجلود المملوءة تراباً، ووصل إلى القلعة فحصرها ثلاثة

وأربعين يوماً، وراسله صاحبها في الصلح، فلم يجبه، ثم صالحه على خمسمائة قبل وثلاثة آلاف من فضة.

ورحل من غزنة في عاشر شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة عازماً إلى سومنات، وكانت بلدة كبيرة على ساحل البحر، فافتتحتها عنوة وكسر الصنم المعروف بسومنات، والمشركون يزعمون أنه يحيى ويميت ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه إذا شاء أبرأ من العلل، وربما كان يتفق لشقوتهم ابلال عليل يقصده، فيوافقه طيب الهواء وكثرة الحركة، فيزيدون به افتتاناً ويقصدونه من أقاصي البلاد رجالاً وركباناً، ومن لم يصادف منهم انتعاشاً احتج بالذنب وقال: إنه لم يخلص له الطاعة، ولم يستحق منه الإجابة، ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التتاسخ، وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجون إليه كل ليلة خسوف من كل صقع بعيد، ويأتون من كل فج عميق، ويتحفونه بكل مال نفيس، ولم يبق في بلاد الهند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة إلا تقرب إلى هذا الصنم بما عسر عليه من أمواله وذخائره، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة في تلك البقاع، وامتلات خزائنه من أصناف الأموال، وفي خدمته من البراهمة ألف رجل يخدمونه، وثلثمائة يحلقون رؤوس حججه ولحاهم عند الورود عليه، وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه، ويجري من مال الأوقاف المرصدة له لكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم.

وكان بين المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلّة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها، فسار إليها محمود في ثلاثين ألف فارس، جريدة مختارة من بين

عدد كثير سوى المتطوعة، وأنفق عليهم من الأموال ما لا يحصى، وسلك سبيل ملتان وفي طريقه إلى الهند قفر لا ساكن فيها، ولا ماء ولا ميرة، وعسكره على قدر الحاجة، ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل، تحمل الماء والميرة، وقصد انهلواره (أي نهرواله) فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصوناً مشحونة بالرجال، وعندها آبار قد غوروا ليعتذر عليه حصرها، فيسر الله تعالى فتحها عند قربها منها بالرعب الذي قذفه في قلوبهم وتسلمها وأهلك أوثانها، واستقوا الماء وامتاروا ما يحتاجون إليه، وسار إلى انهلوراه فرأى صاحبها بهيم قد أجفل عنها وتركها وقصد حصناً له يحتمي به.

فاستولى محمود على المدينة وسار إلى سومنات فلقى في طريقه عدة حصون كثير من الأوثان شبه الحجاب والنقباء لسومنات، فقاتل من بها وفتحها، وخربها وكسر أصنامها وسار إلى سومنات في مفازة قفرة قليلة الماء، فلقى فيها عشرين ألف مقاتل، فأرسل إليهم السرايا فقاتلهم، وهزمهم وغنموا مالهم وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا ديولواره، وهي على مرحلتين من سومنات، وقد ثبت أهلها له ظناً منهم أن سومنات معهم ويدافع عنهم، فاستولى عليها، وقتل رجالها وغنم أموالها، وسار عنها إلى سومنات، فرأى حصناً حصيناً مبنياً على ساحل البحر بحيث تبلغه أمواجه وأهله على الأسوار يتفرجون على المسلمين واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم، ويهلكهم، فلما كان الغد زحف وقاتل من به فرأى المشركون من المسلمين قتالاً لم يعهدوا مثله، ففارقوا السور، فنصب المسلمون عليه السلام وصعدوا إليه وأعلنوا بكلمة

الإخلاص وأظهروا شعار الإسلام، فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب، وتقدم جماعة المشركين إلى سومنات، فعفرُوا له خدودهم وسألوه النصر، وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض، فلما كان الغد بكر المسلمون إليهم وقاتلوه، فأكثرُوا فيهم القتل وأجلوه عن المدينة إلى بيت صنمهم فقاتلوا على بابهِ أشد قتال حتى كاد الفناء يستوعبهم، فدخلوا البحر إلى مركبين لهم لينجوا فيهما، فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضاً وغرق بعض.

وأما البيت الذي فيه سومنات فكان مبيناً على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص، وسومنات من حجر، طوله خمسة أذرع: ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان في البناء وليس بصورة مصورة، فأخذه محمود فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه معه إلى غزنة ليكون عتبة الجامع، وكان بيت الصنم مظلماً وإنما الضوء الذي عنده من قناديل الجواهر الفائق، وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس، وزنها مائتا مَنّ كلما مضى طائفة معلومة من الليل حركت السلسلة فيصوت الجرس فيقوم طائفة من البراهمة إلى عبادتهم، وعنده خزانة فيها عدد من الأصنام الذهبية والفضية، وعليها الستور المعلقة المرصعة بالجواهر كل واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم، وقيمة ما في البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار، فأخذ الجميع، وكانت عدة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل.

ثم إن (محمود) ورد عليه الخبر أن بهيم صاحب انهلواره قد قصد قلعة تسمى كندهه، في البحر بينها وبين البر من جهة سومنات أربعون فرسخاً، فسار إليها من سومنات، فلما حاذى القلعة رأى رجلين من الصيادين فسألهما عن خوض البحر هناك فعرفاه أنه يمكن خوضه لكن

إذا هبت الريح ولو يسيراً غرق من فيه فاستخار الله تعالى وخاضه هو
ومن معه فخرجوا سالمين، فرأوا بهيم وقد فارق القلعة وأخلاها، فعاد
عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها ارتد عن الإسلام، فلما بلغه خبر
مجئ محمود احتمى بغياض أشبة، فقصدته محمود من موضعين فأحاط به
وبمن معه فقتلوا أكثرهم، وغرق منهم كثير ولم ينج منهم إلا القليل، ثم
سار إلى بهاطيه، فأطاعه أهلها ودانوا له، فرحل إلى غزنة فوصلها
عاشر صفر سنة سبع عشرة وأربعمائة، وتوفى سنة إحدى وعشرين
وأربعمائة بغزنة.

ثم ولي الملك مسعود بن محمود الغزنوي لما استقر له الملك بعد
أبيه، وعرف أن نائبه بأرض الهند أرياق الحاجب استبد بالأمر استقدمه
إلى معسكره ببلخ واحتال لقدمه إليه فأمنه أحمد بن الحسن المهندي
الوزير، فذهب إلى بلخ وكان معه قوته ورجاله من الترك ومشركي الهند
فالتقاه مسعود بالرحبة والإكرام، وقربه إلى نفسه حتى اغتر الحاجب
بإكرامه، ووقع في اللذات والخمر، فقبض عليه ذات يوم وقد غلب عليه
السكر، ثم ولي أحمد بن نيالتكين الحاجب على أرض الهند، وذلك في
سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

وفي سنة أربع وعشرين وأربعمائة قصد قلعة سرستي، وكانت من
أمنع حصون الهند وأحصنها، فحصرها وقد كان حصرها أبوه غير مرة،
فلم يتهياً له فتحها، فلما حصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالا
على الصلح، فأجابه إلى ذلك، وكان فيها قوم من التجار المسلمين، فعزم
صاحبها على أخذ أموالهم وحملها على مسعود من جملة القرار عليه،

فكتب التجار رقعة في نشابة، ورموا بها إليه يعرفونه فيها ضعف
المشركين بها، وأنه إن صابروهم ملكها، فرجع عن الصلح إلى الحرب،
وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره وفتح الله عليه، وقتل من فيها
وأخذ ما جاورها من البلاد، فكان عازماً على طول المقام والجهاد، فاتاه
من خراسان خبر الغزو، فرجع إلى غزنة.

فلما سار إلى خراسان عصى نائبه أحمد نيالتكين ببلاد الهند وجمع
الجموع وقصد البلاد بالأذى، فسير إليه مسعود جيشاً كثيفاً، وكانت ملوك
الهند تمنعه من الدخول إلى بلادهم، وتسد منافذ هربه، ولما وصل الجيش
المنفذ إليه قاتلهم، فانهزم، ومضى هارباً إلى ملتان، وقصد بعض ملوك
الهند بمدينة بهاطية، ومعه جمع كثير من العساكر فلم يكن لذلك الملك
قدرة، وطالب منه سفناً ليعبر نهر السند، فأحضر له السفن، وكان في
وسط النهر جزيرة ظنها أحمد ومن معه متصلة بالبر من الجانب الآخر،
ولم يعلموا أن الماء محيط بها، فتقدم ملك الهند إلى أصحاب السفن
بإنزالهم في الجزيرة والعود عنهم، ففعلوا ذلك وبقي أحمد ومن معه فيها
وليس معهم طعام إلا ما معهم فبقوا بها تسعة أيام ففنى زادهم وأكلوا
دوابهم وضعفت قواهم، فأرادوا خوض الماء فلم يتمكنوا منه لعمقه وشدّة
الوحل فيه، فعبر الهندي إليهم عسكره في السفن وهم على تلك الحال،
فأوقعوا بهم وقتلوا أكثرهم وأخذوا ولد أحمد أسيراً وقتلوا أحمد ومن معه،
فسير مسعود ولده مجدوداً إلى الهند سنة ست وعشرين وأربعمائة فاستقر
بها إلى زمان أخيه مودود بن مسعود، كما في الكامل.

وقال فرشته في تاريخه إنه دخل سنة سبع وعشرين وأربعمائة، قصد قلعة هانسي، وكانت من أمنع قلاع الهند، فملكها في ستة أيام، ثم قصد قلعة سوني بت وملكها، ثم رجع إلى لاهور، وأمر على عساكره بالهند ولده مجدوداً وجعل أياز أتاكاً له، ثم سار إلى غزنة.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة تولى مودود بن مسعود الغزنوي فسار ملك دهلي بالعساكر الكثيفة إلى قلعة هانسي، فحاصرها ثم ملكها، ثم قلعة تهانيسر فملكها، ثم نكر كوت، فملكها أيضاً، ثم قصد لاهور، واجتمع به ملكان آخران من ملوك الهند، فحاصرها سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، فجمع مقدم العساكر الإسلامية بالهند من عنده منهم، وأرسل إلى مودود يستجده، فسير إليه العساكر، فانفق أن بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد إلى طاعة مودود، فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما، فسارت العساكر الإسلامية إلى أحدهما، وكان يعرف بدوبال هرهان، فانهزم منهم وصعد إلى قلعة منيعة له هو وعساكره فاحتما بها، وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل، وحاصرهم المسلمون وضيقوا عليهم، وأكثروا القتل فيهم، فطلب المشركون الأمان على تسليم الحصن، فامتنع المسلمون من إجابتهم إلا بعد أن يضيفوا إليه باقي حصون ذلك الملك الذي لهم، فجعلهم الخوف وعدم الإقرار على إجابتهم إلى ما طلبوا وتسلموا الجميع، وغنم المسلمون الأموال وأطلقوا ما في الحصون من أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف نفر.

فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني واسمه ثابت بالري فتقدم إليهم ولقيهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم المشركون، وانجلى المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح، وغنم المسلمون أموالهم

وسلاحهم ودوابهم، فلما رأى باقي الملوك ما تقي هؤلاء أذعنوا للطاعة وحملوا الأموال وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم فأجيبوا إلى ذلك.

إلى أن قال السيد عبدالحى الحسني: ثم تولى الملك إبراهيم بن مسعود الغزنوي قصد الهند سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، فحصر قلعة أجودهن، وكانت قلعة جصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة، فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف إليهم غير مرة، فرأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفاً ورعباً، فسلموا القلعة إليه، وكانت في نواحي الهند قلعة يقال لها "روبال" على رأس جبل شاهق، تحتها غياض أشبية، وخلفها البحر، وليس عليها قتال إلا من مكان ضيق، وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف، فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب، وملك القلعة واستنزلهم منها.

وفي بلاد الهند موضع يقال له "دره" وهو بر بين خليجين، فقصده إبراهيم فوصل إليه، وفي طريقه عقبات كثيرة، وفيها أشجار ملتفة، فأقام هناك ثلاثة أشهر، ولقي الناس من الشتاء شدة، ولم يفارق الغزوة حتى أنزل الله نصره عليه، وعاد إلى غزنة سالماً مظفراً.

ومات إبراهيم في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، فقام بالملك بعده ولده مسعود بن إبراهيم، وأمر على الهند طغاتكين، الحاجب الذي كان مقطعاً بلاهور، ومات مسعود سنة ثمان وخمسمائة، فقام بالملك بعده ولده أرسلان شاه، وأمر على بلاد الهند محمد باهليم الحاجب فخرج عليه أخوه بهرام شاه وغلب عليه، ففر أرسلان شاه إلى الهند ثم قصد "غزنة" وقتل في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة.

بهرام بن إبراهيم الغزنوي:

قام بالملك بعد أخيه أرسلان شاه، وقد دخل الهند سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وكان محمد باهليم نائب أخيه بالهند أظهر العصيان عليه، فأصلح الفاسد وقبض عليه وحبسه أولاً، ثم أطلقه من الأسر وأمره على عساكره بالهند مرة ثانية ورجع إلى غزنة.

فلما أبعد عن الهند جمع محمد باهليم المذكور عسكرياً من الأفغانية والخليجية وغيرهما، وشن الغارة على المشركين، وفتح البلاد والقلاع، وأسس قلعة بناكور في جبال "سوالك" وأختن بها، وأقام عياله فيها ثم أظهر العصيان مرة ثانية، فلما سمع بهرام شاه رجع إلى الهند فلقبه بعساكره واقتتلوا أشد قتال، فقتل ومعه أبناؤه، ثم أمر بهرام شاه على عساكره بالهند سالار حسين بن إبراهيم العلوي، ورجع إلى غزنة.

وصلب سيف الدين، فلما سمع ذلك صنوه علاء الدين ملك غور قصد غزنة بعساكره، ومات بهرام شاه قبل وصوله إلى غزنة فوصل إلى غزنة وملكها، وخرج خسرو شاه بن بهرام شاه إلى الهند، ولم يزل بها حتى مات بلاهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فقام بالملك بعده ولده خسرو ملك بن خسرو شاه، وانقرضت دولة آل سبكتكين عليه، كما سنذكره في ذكر شهاب الدين سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

شهاب الدين محمد الغوري:

لما استقر أمره بغزنة في أيام أخيه غياث الدين الغوري سار إلى الهند سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، فانترع ملتان وما والاها من أيدي القرامطة، ثم حاصر "أج" وبها ملك من المشركين، ثم إنه لما فتح ملتان

و"أج" أمر عليهما عليا كرماج وعاد إلى غزنة، ثم سار منها سنة أربع وسبعين وخمسائة من طريق ملتان إلى كجرات، فلقبه صاحبها "بهيم ديو" وقائله، فانهزم المسلمون وقتل كثير منهم فعاد إلى غزنة.

وقصد بلاد الهند سنة ثلاث وثمانين وخمسائة، ففتح قلعة "بهتنده" وهي حصن منيع عامر، وملك سرستي وكوه رام (كهرام) وأمر على بهتنده وغيره ضياء الدين التولكي، فلما سمع برتهى راج ملك أجمير وداهلي، جمع العساكر وأكثر وسار إلى داهلي مع أخيه كهاندي راو، نائبه بأرض داهلي وأكثر ملوك الهند، فالتقوا في قرية نارائن على شاطئ نهر سرستي على أربعين ميلاً من داهلي، وقامت الحرب على ساق، فلما اشتدت الحرب انهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم، فقال لشهاب الدين بعض خواصه: قد انكسرت الميمنة والميسرة فانج بنفسك، لا يهلك المسلمون، فأخذ شهاب الدين الرمح وحمل على المشركين فوصل إلى الفيلة، فطعن فيلاً منها في كتفه، فزرقه كهاندي راو بحربة في ساعده فنفذت الحربة من الجانب الآخر، فوقع حينئذ على الأرض فقاتل عليه أصحابه ليخلصوه، وحرص المشركون على أخذه، وكانت عنده حرب لم يسمع بمثلها، وأخذ أصحابه فركبوه فرسه وعادوا به منهزمين، فلم يتبعهم المشركون، فلما أبعدوا عن موضع الوقعة بمقدار فرسخ أغمي على شهاب الدين من كثرة خروج الدم، فحمله الرجال على أكتافهم في محفة اليد أربعة وعشرين فرسخاً، فلما وصل إلى لاهور استراح بها ثم رجع إلى غزنة وأخذ الأمراء الغورية الذين انهزموا ولم يثبتوا وعلق على كل واحد منهم عقيق شعير وقال: أنتم دواب! ما أنتم بأمراء.

ثم جمع عساكره وسار نحو الهند سنة ثمان وثمانين وخمسائة،

ولما وصل إلى بشاور تقدم إليه شيخ من الغورية كان يدل عليه فقال له: قد قربنا من العدو! وما يعلم أحد أين يمضي ولا من يقصد ولا يرد على الأمراء سلاماً وهذا لا يجوز فعله، فقال له شهاب الدين: أعلم أنني منذ هزمني هذا الكافر لم أنم مع زوجتي، ولم ألبس ثياباً بيضاء، وأنا سائر إلى عدوي ومعتمد على الله لا على الغورية ولا على غيرهم، فإن نصرني الله سبحانه ونصر دينه فمن فضله وكرمه، وإن انهزمنا فلا تطلبوني، فما انهزمت ولو هلكت تحت حوافر الخيل، فقال له الشيخ: سوف ترى بني عمك من الغورية ما يفعلون فينبغي أن تكلمهم وترد سلامهم، ففعل ذلك، وبقي الأمراء الغورية يتضرعون ويقولون: سوف ترى ما نفعل! وسار إلى أن وصل إلى موضع المصاف الأول، وجازه مسيرة أربعة أيام، وأخذ عدة مواضع من بلاد العدو.

فلما سمع برتهي راج تجهز وجمع عساكره وسار يطلب المسلمين، فلما بقيت بين الطائفتين مرحلة عاد شهاب الدين وراءه وبرتهي راج في أعقابهم أربعة منازل، فأرسل برتهي راج إليه يقول له: أعطني يدك على أنك تصادفني في باب غزنة، حتى أجيء وراءك، وإلا فنحن متقلون، ومثلك لا يدخل البلاد شبيه اللصوص ثم يخرج هارباً، فأعاد الجواب أي لا أقدر على حربك، وتم على حاله عائداً إلى أن بقي بينه وبين بلاد الإسلام ثلاثة أيام، وبرتهي راج في أثره يتبعه حتى لحقه قريباً من مرنده، فجرد شهاب الدين من عسكره سبعين ألفاً قال: أريد هذه الليلة تدورون حتى تكونوا وراء عسكر العدو وعند صلاة الصبح تأتون أنتم من تلك الناحية وأنا من هذه الناحية، ففعلوا ذلك وطلع الفجر، ومن عادة المشركين أنهم لا يبرحون مضاجعهم إلى أن تطلع الشمس، فلما أصبحوا

حمل عليهم عسكر المسلمين من كل جانب، وضربت الكوسات، فلم يلتفت برتهى راج إلى ذلك وقال: من يقدم عليّ أنا، هذا والقتل قد كثر في المشركين و النصر قد ظهر للمسلمين، ولما رأى برتهى راج ذلك أحضر فرساً له سابقاً وركب ليهرب، فقال له أعيان أصحابه: إنك حلفت لنا أنك لا تخلينا وتهرب! فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه، والقتال شديد والقتل قد كثر في أصحابه، فانتهى المسلمون إليه وأخذوه أسيراً، وحينئذ عظم القتل والأسر في المشركين ولم ينج منهم إلا القليل، وأحضر برتهى راج بين يدي شهاب الدين، فقال شهاب الدين: لو استأسرتي ما كنت تفعل بي؟ فقال: قد استعملت لك قيلاً من ذهب أفيك به، فقال شهاب الدين: بل نحن نجعل لك من القدر ما نقيدك، وغنم المسلمون من المشركين أموالاً كثيرة وأمتعة عظيمة، وفي جملة ذلك أربعة عشر فيلاً، من جملتها الفيل الذي جرح شهاب الدين في تلك الواقعة.

ثم سار شهاب الدين إلى أجمير، فأخذه، وأخذ جميع البلاد التي تقاربه، وولى عليها كوله ولد برتهى راج المذكور، ثم سار إلى دهلي، فأرسل صاحبها الهدايا من الأموال الطائلة فرجع عن ظاهرها، وقنع بسرستي، وهانسي، وكهرام، وسامانه، وغيرها من القلاع والبلاد، وأقطعها لملوكه قطب الدين أيبك، ثم رجع إلى غزنة.

فقام قطب الدين بالملك بعده وشن الغارة على ميرته فملكها ثم سار إلى دهلي وقاتل صاحبها أشد قتال فهزمه ودخل دهلي.

وقدم شهاب الدين بلاد الهند سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ففتح قلعة "تهنكر" التي سموها بعد ذلك "بيانه" بفتح الموحدة وولى عليها بهاء الدين طغرل وبعث مملوكه قطب الدين إلى كوالير، فقاتل صاحبها

سلمكن وفتحها صلحاً، ورجع شهاب الدين إلى غزنة.

ثم قدم الهند سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وبعث مملوكه قطب الدين إلى نهر واله، فوصلها سنة ثمان وتسعين، فلقى عسكر المشركين، فقاتلوه قتالاً شديداً، فهزمهم قطب الدين واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدواب وغيرها، وتقدم إلى نهر واله، فملكها عنوة، وهرب ملكها بهيم ديو، فجمع وحشد فكثر جمعه، وعلم شهاب الدين أنه لا يقدر على حفظها إلا بأن يقيم هو فيها ويخليها من أهلها، ويتعذر عليه ذلك، فصالح صاحبها على مال يؤديه إليه عاجلاً وأجلاً، وأعاد عساكره عنها وسلمها إلى صاحبها.

وفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة ملك قطب الدين قلعة "كالبى" و"كالنجر" وبدايون، وقد اتخذ قطب الدين دهلي عاصمة إسلامية وبنى فيها (مسجد قوة الإسلام) الذي لا تزال منارته شامخة تتحدى القرون واسمها "قطب منار" أي منار قطب، وسوف يأتي الكلام عليها في (اليوميات) بإذن الله.

المسلمون في الهند في ضوء الإحصاءات:

جاء في بحث أعده للرابطة الدكتور محمد يونس النجرامي -
مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية قوله:

إن بلاد الهند بلاد واسعة الأرجاء والأطراف تقع في الجزء الجنوبي لقارة آسيا مساحتها ٣,٢٩٧,٢٦٣ كيلومتر مربعاً، وسكانها ٨٤٤,٣٢٤,٢٢٢ نسمة وفق إحصاء ١٩٩١م، وطولها من الشرق إلى الغرب ٢,٩٣٣ كيلومتر، وعرضها من الشمال إلى الجنوب ٣٢١٤ كيلومتر، وحدودها في المنطقة اليابسة ٧٥٢٠ كيلومتر، وساحلها البحري ٧,٥١٧ كيلومتر، وهي من الدرجة السابعة مساحة في بلدان العالم كله، ومكانتها تلي مكانة الصين في عدد السكان.

وليس سكانها البالغ عدده إلى ٨٣٤,٣٠٠,٠٠٠ نسمة منتشراً في كل بقعة من بقاعها بصورة متساوية، لأن كثرة السكان في أي منطقة من مناطق البلاد إنما تنحصر في أوضاعها الطبيعية، يعني نجاد الأرض ووهادها خصبها وغازرة الأمطار، ووسائل سقاية الزرع، وتسهيلات وسائل التنقل والسفر، وغير ذلك من الحاجات والشئون.

تسكن في هذه البلاد ٣٨٧ نفساً في كيلو متر مربع، ولكن نسبة السكان في كل كيلو متر مربع في الولايات والمناطق تختلف كثيراً، فتسكن في ولاية بنغال الغربية في الكيلومتر ٧٦٦ نفس، وفي كيرالا ٧٤٧ نفساً، وفي بيهار ٩٤٧ نفس، وفي اتراباديش ٤٧٢ نفس، وفي تامل نادو ٣٢٨ نفس، في كل كيلومتر مربع، وفي ميغاليا ٧٨ نفساً فقط، وفي ناغاليند ٧٣ نفساً، وفي سكم ٥٧ نفساً، وفي ميزورم ٣٣ نفساً وفي أروناشال براديش ١٠ أنفس فقط في الكيلومتر المربع.

إن سكان الولايات التي توجد فيها أرض مسطحة حول الأنهار ومنطقة ميدانية على ساحل البحر أشد كثافة من سكان الولايات الجبلية الغير الممهدة التي أرضها غير صالحة ومناطقها محاطة بالغابات.

ولا أمل في إحصاء الاتباع لمختلف الأديان قبل أواخر ١٩٩٣م أو أوائل ١٩٩٤م وفق إحصاء ١٩٩١م.

ونظراً إلى إحصاء ١٩٦١م ازداد سكان البلاد الهندية بنسبة ٢١,٥١٪، وفي سنة ١٩٧١م إلى ٢٤,٨٠٪، وفي سنة ١٩٨١م ٢٤,٩٩٪.

أما عدد المسلمين فازدادت نسبتهم في السكان في سنة ١٩٦١م ٢٥,٦١٪، وفي سنة ١٩٧١م ٣٠,٨٥٪. وفي سنة ١٩٨١م إلى ٣٠,٥٩٪ ولم يزل هناك تفاوت ٥٪. في زيادة نسبة مجموع السكان في البلاد وزيادة نسبة المسلمين من كل إحصاء من إحصاءات السنوات.

كان عدد المسلمين في سنة ١٩٨١م ٧٥,٥١٢,٤٨٩ نسمة، ويرجى أن نسبة المسلمين ستزيد إلى ٢٨٪. بالنسبة إلى نسبة سكان البلاد ٢٣,٥٦٪. في إحصاء ١٩٩١م، وهكذا سيبلغ عدد المسلمين في إحصاء ١٩٩١م ٩٦,٦٥٥,٩٢٢ نسمة، وستكون نسبة المسلمين هذه أكبر نسبة مسلمة في أي بلد من بلدان العالم سوى بلاد أندونيسيا وبنغلاديش وباكستان.

عدد المسلمين في الهند:

ونذكر فيما يلي عدد المسلمين في الهند من ١٩٥١م إلى ١٩٨١م، ونسبته إلى السكان، ونسبة مجموع سكان الهند، وزيادة نسبة المسلمين في كل إحصاء.

العالم	عدد المسلمين	نسبة الزيادة	النسبة المئوية	نسبة زيادة السكان
١٩٥١	٣٥,٤١٤,٢٨٤	-	٩,٩	-
١٩٦١م	٤٦,٩٤٠,٧٩٩	٢٥,٦١	١٠,٧٠	٠,٧٩
١٩٧١م	٦١,٤١٧,٩٣٤	٣٠,٨٥	١١,٢١	٠,٥١
١٩٨١م	٧٥,٥١٢,٤٤٩	٣٠,٥٩	١١,٣٥	٠,١٤
١٩٩١م	٩٦,٦٥٥,٩٢٢	٢٨,٠٠	١١,٤٥	٠,١٠ (تقديراً)

ولا شك أن زيادة ١٠٪ في نسبة المسلمين ١١,٣٥٪ في سنة ١٩٨١م قليلة وضئيلة جداً ويرجى أن تكون نسبة ٢٨٪ في عدد المسلمين في سنة ١٩٩١م، وتزيد نسبتهم إلى أكثر من ١٢,٠٠٪ عن نسبتهم في سنة ١٩٨١م.

وأثر المسلمون المعيشة في المناطق المسطحة المخصصة التي تجري فيها الأنهار في شمال الهند، وفي جنوبها وأحبوا السكن في المناطق الواقعة على السواحل الشرقية والغربية، فأثروا المعيشة في مثل هذه المناطق على المعيشة في المناطق الجبلية الغير المسطحة المحاطة بالغابات، وذلك بناءً على بعض الأسباب التاريخية، وتوفر وسائل العيش البشري وأكثر من ذلك لميلهم الطبيعي.

ويوجد معظم عدد المسلمين في خط المدينة في هذه البلاد، أي درجة ٢٤ ودقيقة ٣١ في عرض البلد شمالاً، وخط المدينة هذا يقع على ١٢٠ كيلومتر شمالاً من خط السرطان درجة ٢٣ دقيقة ٢٧، ويمر بمديرية بناس كنتها في ولاية غجرات، والجزء الجنوبي لراجستان، والجزء الشمالي لمدهيا براديش، ومديرية لت فور، وسون بهدرا بولاية

اترابراديش، والجزء الأوسط لولاية بيهار، ومديرية بيريهوم، ومرشد آباد في ولاية بنغال الغربية، ومديرية كريم غنج وكجار لولاية آسام، والجزء الأوسط لمني فور.

ويوجد أكبر عدد من المسلمين في ولاية جامو وكشمير، والجزء الغربي لراجستان، والجزء الغربي لولاية كجرات، وجنوب جبال شيوالك، وفي ولايتي بيهار واترابراديش في منطقة نهر الكنج، وناغفور، والجزء الشمالي لسنتهال برغنة، وفي ولاية بنغال الغربية على جانبي نهر هغلي، وفي ولاية آسام في وادي نهر براهما بترا الأوسط وفي وادي نهر براك.

وعدد كبير من المسلمين يوجد في ثلاث ولايات متجاورة شمالية لبلاد الهند: اترابراديش، وبيهار، والبنغال الغربية، فيوجد عدد المسلمين أكثر من النصف أي ٥٢,٠١٪. في هذه الولايات الثلاث، ويوجد خمس عددهم بل أكثر منه بشيء أي ٢٢,٤٣٪. في أربع من ولايات الهند الجنوبية وهي : كيرالا وأندھرا برديش وكرناتكا، وتامل نادو، ومنطقة بانديجري المتحدة.

وسبع عدد المسلمين يوجد في ولايات الهند الغربية راجستان، وغجرات ومهاراسترا، وغوا وفي منطقتين صغيرتين متحدتين دمن وديو وادرا ونغر حويلي.

وكذلك يوجد عدد كبير للمسلمين في ساحل مالابار في ولاية كيرالا، وفي الجزء الأوسط لسطح دكن المرتفع، ومن مديرية نمار بولاية مدهيا براديش شمالا إلى مديرية بنغلور في ولاية كرناتكا جنوباً.

أما البلاد التي يوجد فيها أقل عدد للمسلمين فهي منطقتا جهتيس كراه ونداكارنيا في ولايتي مدهيا براديش وأريسه وتتصل بهذه المنطقة في الغرب ولايتا مدهيا براديش ومهاراسترا- وفي الجنوب منطقة أندھرا براديش الشمالية الشرقية وساحل سركار الشمالي.

هذه المنطقة الجبلية من البلاد التي يوجد فيها أقل عدد للمسلمين تمتد من الجزء الفوقي لنهر سون في الشمال إلى الجزء الأسفل لنهر غوداوري في الجنوب، ويجري من بينها مهاندي، كانت هناك صخور عالية وغابات متصلة وعرة، وكانت الأرض ذات صخور وأحجار، لم تكن فيها خصوبة، وكان مناخها رطباً غير ملائم للصحة، كانت تسكنها القبائل، وكانت هذه المنطقة بعيدة جداً عن مركز المسلمين السياسي والحضاري، وذلك هو السبب في أنه لم ينزح إليها المسلمون في عدد ضخم، لذلك نسبة المسلمين في مديريات هذه المنطقة كلها قليلة، بل ضئيلة جداً.

والمناطق الأخرى للبلاد التي يوجد فيها عدد قليل من المسلمين هي: ولاية بنجاب وھريانه، وھماشال براديش، ومنطقة شمال اترا براديش الغربية الجبلية كرهوال، وكما يون، وكذلك الولايات الصغرى الغير المعمورة إلى حد كبير لشمال الهند الشرقية مثل ولاية اروناشال براديك و ناغاليند، وميزورم، وميغاليا، ومني فور.

وليس ت أسباب قلة نسبة المسلمين في ولايتي بنجاب وھريانه طبيعية وفطرية بل هي أسباب ثقلية واعتدائية، إذ أدت الأوضاع في سنة ١٩٤٧م وقت تقسيم الهند إلى هذه الكيفية لتنتقل السكان على نطاق واسع.

أما قبل تقسيم الهند وتقل السكان في نطاق واسع فكان عدد المسلمين من ١٥٪ إلى ٣٣٪ في المديرية كلها التي هي في ولاية هريانه سوى المناطق الجبلية التي هي داخلة الآن في ولاية هماشال براديش، وكان عددهم من ٣٢٪ إلى ٥٠٪ في المديرية التي هي داخلة في ولاية بنجاب الآن.

انتهى كلام الدكتور النجرامى.

تعليق على عدد المسلمين في الهند:

قلنا ما هو معروف للجميع أو يكاد يكون كذلك وهو أن نسبة المسلمين بين سكان الهند هي ما بين ١٠٪ و ١٢٪. وآخر إحصاء سكاني للهند جرى فيما أذكر عام ٢٠٠١م ذكر أن مجموع السكان في الهند قد وصل إلى مليار ساكن، وعلى هذا يكون عدد المسلمين في الهند قد بلغ مائة وعشرة ملايين أو مائة مليون وعشرين مليوناً.

ولم أقف على نسبة المسلمين بين السكان في هذا الإحصاء الأخير ولكن هناك إحصاءات متوفرة عن نسبتهم في السابق أي في الإحصاءات السابقة، وهي تظهر أن نسبتهم في البلاد تزيد وتتسع باضطراد.

يبين هذا الجدول وقد نشر في مجلة الجامعة السلفية في بنارس في عدد (شهرى أبريل ومايو عام ١٩٨٠م) وما بعده من الأعوام يمكن أن يقاس عليه.

قائمة عدد السكان الهنود
واللغة السائدة في كل ولاية ونسبة المسلمين بينهم

اللغات	الأبنان الأخرى	الهنداك	النسبة المتوية	المسلمون	المساحة /كم ^٢	الولايات	الأرقام
الآسامية	٧٢٧٦٨٩	١٠٦٢٥٨٤٧	٢٤,٠٣	٣٥٩٤٠٠٦	٧٨٥٣٢	آسام	١
تلكور والاريدية	١٨٦٣٢٦٣	٣٨١١٩٢٧٩	٨,٠٩	٣٥٢٠١٦٦	٢٧٦٧٥٤	آندهر اير ادش	٢
الهنديّة والأردية	٦٦٧٠١٤	٧٣٩٩٧٥٩٧	١٥,٤٨	١٣٦٧٦٥٣٣	٢٩٤٤١٣	اترا بر اديش	٣
	٣٦٣٨٣٧	١٠٢٨٣٢	٠,١٨	٨٤٢	٨٣٥٧٨	اروناشل	٤
الأردية	٤٩٧٠٥٢	٢١١٢١٠٥٦	١,٤٩	٣٢٦٥٠٧	١٥٥٨٤٢	اريسا	٥
	٣٣٣٤٤	٧٠١٣٤	١٠,١٢	١١٦٥٤٥	٨٢٩٣	اندمان ونكوبار	٦
البنغالية والأردية	٦٣٥٨٠٩	٣٤٦١١٨٦٤	٢٠,٤٦	٩٠٦٤٣٣٨	٨٧٨٥٣	بنغال	٧
الهنديّة والأردية	١٧٢٧٣٩٥	٤٧٠٣١٨٠١	١٣,٤٨	٧٥٩٤١٧٣	١٧٣٨٧٦	بيهار	٨
تامل والإنجليزية والأردية	٢٤٢١١١٩	٣٦٦٧٤١٥٤٠	٥,٤١	٣١٠٣٨٩٩	١٣٠٠٦٩٦	تامل نامو	٩
البنغالية والتريفورية	٥٨٦٩٢	١٣٩١٦٨٩	٠,٦٨	١٠٣٩٦٢	١٠٤٧٧	ترى فورّه	١٠
الكشميرية والأردية والكوركية وغيرها	١٧٢٢١١	١٤٠٤٢٩٢	٦٥,٨٥	٣٠٤٠١٢٩	٢٢٢٢٣٦	جمون وكشمير	١١
	٢٣٥٥	٧١٠٧٥	١,٠	٧٤٠	٤٩١	دائرا ونكروجلي	١٢
الأردية والهنديّة والبنجابية	٣٩٤٨٤٤	٣٤٠٧٨٣٥	٦,٤٧	٢٦٣٠١٩	١٤٨٥	دهلي	١٣

الهندية والأردنية	٨٩١٦٣٦	٢٣.٩٣٨٩٥	٦,٩٠	١٧٧٨٢٢٥	٣٤٢٢١٤	راجستان	١٤
الفنجانية والأردنية	٦٩١٣٩	١٩٤٣٩٥	١,٤٥	٣٧٢٠	١١٤	سندي كره	١٥
	٤١٧٧١	٤٠٠٧٩٣	٦,١٨	٢٩١٤٣	٤٨٠	بانديشري	١٦
مليالم والعربية والإنجليزية	٤٥٠١٣٨٠	١٢٦٨٣٢٧٧	١٩,٥٠	١١٤٤٤٧	٥٠٣٦٢	فنجاب	١٧
الكجراتية والأردنية	٦١٢٩٤٩	٢٣٨٣٥٤٧١	٨,٤٢	٢٢٤٩٠٥٥	١٩٥٩٨٤	كجرات	١٩
المرهنية والكوركتية والكجراتية	٢٧٥٠٣٩	٥٥٠٤٨٢	٣,٧٦	٣٢٢٥٠	٣٨١٣	كوانمن ديو	٢٠
مليالم	٢٤٦	١٥٤٥	٩٤,٣٧	٣٠٠١٩	٣٢	لكش ديپ	٢١
الهندية والأردنية	٨١٤٢٧٢	٣٩٠٢٤١٦٢	٤,٣٦	١٨١٥٦٨٥	٤٤٢٨٢١	مدھية براديش	٢٢
المنى فورية	٣٦٩١٨٧	٦٣٢٥٩٧	٦,٦١	٧٠٩٦٩	٢٢٣٥٦	منى فور	٢٣
المرهنية والأردنية	٤٨٧١٩٢٥	٤١٣٠٧٣٨٧	٨,٤٠	٤٢٣٣٠٢٣	٣٠٧٧٦٢	مھاراسترا	٢٤
الكنارية والأردنية والإنجليزية	٨٥٣٢٢٨	٢٥٣٢٢٣٨٨	١٠,٦٣	٣١١٣٢٢٨	١٩١٧٧٣	كر ناك	٢٥
خاصي وجينيا وكارو	٧٩٨٢١٢	١٨٧١٤٠	٢,٦٠	٢٦٣٤٧	٢٢٤٨٩	ميغاليا	٢٦
ناكا	٤٥٤١٥٢	٥٩٠٣١	٠,٥٨	٢٩٦٦	١٦٥٢٧١	ناغاليند	٢٧
الهندية والأردنية	٦٧٤٧٧٥	٨٩٥٦٣١٠	٤,٠٤	٤٠٥٧٢٣	٤٤٢٢٢	ھريانه	٢٨
الهندية والجبالية	٨٥٤٨٠	٣٢٢٤٦٢٧	١,٤٥	٥٠٣٢٧	٥٥٦٧٣	ھماشل براديش	٢٩

وهذا بحث آخر لأحد الباحثين المسلمين من أهل الهند بعنوان "المسلمون في الهند في ضوء الإحصاءات ونسبتهم في القوات الهندية".

لا تزال تتم عملية إحصاءات السكان في الهند بعد كل عشر سنوات بصورة مستمرة منذ سنة ١٩٨١م، ويقام بهذا العمل تحت مادة سنس لسنة ١٩٤٨م بعد استقلال البلاد، وأثناء الإحصائية لا يحصى عدد رؤوس الناس فقط، ولا تكون إحصاءات النفوس فحسب، بل تجمع الإحصاءات أيضاً على مختلف الجوانب الإنسانية والاجتماعية التي يسهل بدراستها فهم القضايا الاجتماعية والاقتصادية.

كما يحصل على المعلومات عن ديانة كل فرد من أفراد البلاد كذلك عند إحصاءات السكان بالإضافة إلى الأمور الأخرى، وتسجل ديانة الفرد مثلما يخبر بها، فإن قال إنه لا يدين بدين يكتب ذلك أيضاً، لا يدين بدين".

وتجمع الإحصاءات عن أتباع ست ديانات كبيرة توجد في الهند وهذه الديانات هي: الهندوسية، والإسلام، والديانة المسيحية، وديانة السيخ، والديانة الجينية، وديانة بوذا، وأما بقية الناس فتسجل أسماؤهم تحت: "الديانات الأخرى"، والمسلمون يشكلون ثاني أكبر سكان هذه البلاد بعد الهندوس، وكان عدد السكان المسلمين وفقاً للإحصائية الواقعة في سنة ١٩٨١م ٧١٧٢٨٢٦٣، الذي كان يشكل نسبة ١٠,٨٨ في المائة من إجمالي السكان، وتزايد عدد السكان المسلمين في عشر سنوات بنسبة ٣٢,٧٦ في المائة فصار في سنة ١٩٩١م ٩٠٥٢٢٨٥٣، الذي كان يشكل نسبة ١١,٦٧ في المائة من جميع سكان البلاد، كما ارتفع عدد السكان من أتباع الديانات الستة في الفترة ما بين ٩١-١٩٨١م بالنسبة التالية:

م	الولايات	نسبة السكان المسلمين	مجموع عدد السكان المسلمين	ارتفاع نسبة السكان في عشر سنوات (٨١-١٩٩١م)
١	جامو وكشمير	./٠٦٤,١٨	-	-
٢	ولاية أسام	./٠٢٨,٤٣	٦٣٧٣٢٠٤	-
٣	بنغال الغربية	./٠٢٣,٦١	١٦٠٧٥٨٣٦	./٠٣٦,٨٩
٤	ولاية كيرالا	./٠٢٣,٣٣	٦٧٨٨٣٦٤	./٠٢٥,٤٩
٥	الولاية الشمالية	./٠١٧,٣٣	٢٤٠٩٦٨٤	./٠٣٦,٥٤
٦	ولاية بيهار	./٠١٤,٨١	١٢٧٨٧٩٨٥	./٠٢٩,٥٠
٧	ولاية كرناتاكا	./٠١١,٦٤	٥٢٣٤٠٢٣	./٠٢٥,٧١
٨	ولاية مهاراشترا	./٠٩,٦٧	٧٦٢٨٧٥٥	./٠٣١,٤٠
٩	أندھرا برديش	./٠٨,٩١	٥٩٢٣٩٥٤	./٠٣٠,٦٦
١٠	ولاية غجرات	./٠٨,٧٣	٣٦٠٦٩٢٠	./٠٢٤,٠٥
١١	راجستان	./٠٨,٠١	٣٥٢٥٣٣٩	./٠٤١,٤٦
١٢	ولاية مني فور	./٠٧,٢٧	١٣٣٥٢٥	./٠٣٤,٤٤
١٣	ولاية تری فورہ	./٠٧,١٣	١٩٦٤٩٥	./٠٤١,٨٤
١٤	ولاية تامل نادو	./٠٥,٤٥	٣٠٥٢٧١٧	./٠٢١,١٦
١٥	ولاية غوا	./٠٥,٢٥	٦١٤٥٥	./٠٤٧,٧٤
١٦	مدھيا برديش	./٠٤,٩٦	٣٢٨٢٨٠٠	./٠٣١,٢١
١٧	ولاية هريانه	./٠٤,٦٤	٧٦٣٧٧٥	./٠٤٥,٨٩
١٨	ميغاليه	./٠٣,٤٦	٦١٤٦٢	./٠٤٨,٣٤
١٩	ولاية أريسه	./٠١,٨٣	٥٧٧٧٧٥	./٠٣٦,٨٣
٢٠	هما جال بریش	١,٨٢	٨٩١٣٤	./٠٢٨,٠٤
٢١	ناغا ليند	./٠١,٧١	٢٠٦٤٢	./٠٧٤,٨٤
٢٢	أرونا جال برديش	./٠١,٣٨	١١٩٢٢	./٠١٣٥,٠١
٢٣	ولاية بنجاب	./٠١,١٨	٢٣٩٤٠١	./٠٤٢,٤٢
٢٤	ولاية سكم	./٠٠,٩٥	٣٨٤٩	./٠١٨,٧٦
٢٥	ولاية ميزورم	./٠٠,٦٦	٤٥٣٨	./٠١٠٥,٨٠

ملحوظة: لم تتم عملية إحصاءات السكان في جامو وكشمير في ١٩٩١م وفي أسام في سنة ١٩٨١م.

وأما ارتفاع نسبة السكان من أتباع الديانات المختلفة فهو كما يلي:

١-	البوذيون	٣٥,٩٨ في المائة
٢-	المسلمون	٣٢,٧٦ في المائة
٣-	السيخ	٢٥,٤٨ في المائة
٤-	الهندوس	٢٢,٧٨ في المائة
٥	النصاري	١٦,٨٩ في المائة
٦-	الجبينون	٤,٤٢ في المائة
٧-	أتباع الديانات الأخرى	٠,٣٨ في المائة

وقد ازداد في الهند ازدياداً ظاهراً عدد الذين يأبون اتباع دين من الديانات ويقولون بصراحة، "أكتبوا ليس لي دين"، وكان عدد أمثال هؤلاء الناس في سنة ١٩٨١م ٦٠٢٠٩ فقط، أي كانوا يشكلون نسبة ٠.١٪ من إجمالي السكان، ولكن ارتفع هذا العدد وتزايد في سنة ١٩٩١م حتى بلغ ٤٠٥٤٨٦، يعني ٠.٥٪ من مجموع السكان.

وهكذا كانت نسبة أتباع الديانات المختلفة الستة من إجمالي سكان البلاد في سنة ١٩٨١م وفي سنة ١٩٩١م كما ذكرناه فيما هو أعلاه.

ويتضح من الإحصاءات المذكورة أعلاه أن المسلمين والسيخ والبوذيين قد ارتفعت نسبة عددهم من إجمالي سكان البلاد، وكانت الزيادة الباهرة من بينهم في عدد السكان المسلمين الذي قد ارتفع وازداد بنسبة ٠.٧٩٪، وبالعكس من ذلك قد انتقصت نسبة السكان الهندوس بنسبة ٠.٦٨٪.

ودلت الإحصاءات المذكورة أعلاه على أن أقل نسبة السكان المسلمين أعني ٠.٦٦٪ توجد في ولاية ميزورم، كما توجد أكثر نسبتهم

في ولاية جامو وكشمير، وإنما هم يشكلون نسبة أكثر من عشرين في المائة في ثلاث ولايات فقط، وهي ولاية آسام وولاية بنغال الغربية وولاية كيرالا.

بينما ولاية جامو وكشمير وحيدة من نوعها حيث نسبة عدد السكان المسلمين أكثر من ستين في المائة أيضاً، وحيث كان عدد المسلمين وفقاً للإحصاءات الواقعة في سنة ١٩٨١م ٣٨٤٣٤٥١ من مجموع سكان الولاية الذين بلغ عددهم ٥٩٨٧٣٨٩.

وان نظرنا إلى العدد بدلاً من النسبة وجدنا أن أكثر عدد السكان المسلمين في الهند أعني ٢٤١٠٩٦٨٤ في ولاية أترابرايش، ثم في بنغال الغربية حيث يسكن المسلمون في عدد ١٦٠٧٥٨٣٦، والولاية الثالثة حيث يسكن المسلمون في عدد أكثر من عشرة ملايين أعني (١٢٧٨٧٩٨٥) هي ولاية بيهار، وهكذا يوجد أكثر من نصف عدد المسلمين (٥٥,٦٣ في المائة) في هذه الولايات الثلاث.

وكانت الولايات الشمالية الشرقية هي التي قد ارتفعت فيها نسبة السكان المسلمين أكثر مما سواها في السنوات العشر الماضية، يتضح ذلك من الإحصاءات المذكورة أعلاه تماماً.

وتزايد عدد السكان المسلمين في أروناجال براديش بنسبة ١٣٥,٠١ في المائة، وفي ميزورم بنسبة ١٠٥,٨٠ في المائة، وفي ناغاليند بنسبة ٧٤,٨٤ في المائة، بينما تزايد عددهم في ولاية ميغاليا بنسبة ٤٨,٣٤ في المائة، يتضح ذلك أيضاً بدراسة الإحصاءات دراسة دقيقة وقريبة.

وكان ارتفاع نسبة السكان المسلمين في بنغال الغربية وكيرالا أكثر من سائر الولايات، وكانت هذه النسبة في سنة ١٩٩١م أكثر من ٢,١٠ في المائة و٢,٠٨ في المائة بالنسبة إلى سنة ١٩٨١م، وهي أكثر من النسبة التي توجد في سائر الولايات، وإنما ولاية سكم هي الوحيدة التي كان ارتفاع النسبة فيها في سنة ١٩٩١م أقل مما كان في سنة ١٩١٨م، لأن عدد السكان المسلمين كان تزايد بنسبة ١,٠٣ في المائة في سنة ١٩٨١م بينما كانت هذه النسبة في سنة ١٩٩١م ٠,١٥ في المائة فقط.

هذا ونذكر ونقدم هنا جدولاً يري الفرق فيما بين ارتفاع نسبة السكان من أتباع الديانات المختلفة في سنتي ١٩٨١م و١٩٩١م، ثم نذكر نسبة تمثيل المسلمين في القوات الهندية في مختلف الولايات، لكي نعرف مكانة المسلمين في هذه البلاد معرفة جيدة، والجدول كما يلي:

م	الديانة	سنة ١٩٨١م	سنة ١٩٩١م	الفرق
١	الهندوس	./٠.٨٣,٠٩	./٠.٨٢,٤١	./٠.٠,٦٧
٢	المسلمون	./٠.١٠,٨٨	./٠.١١,٦٧	./٠.٠,٧٩
٣	النصارى	./٠.٢,٤٥	./٠.٢,٣٢	./٠.٠,١٣
٤	السيخ	./٠.١,٩٦	./٠.١,٩٩	./٠.٠,٠٣
٥	البوذيون	./٠.٠,٧١	./٠.٠,٧٧	./٠.٠,٠٦
٦	الجينيون	./٠.٠,٤٨	./٠.٠,٤١	./٠.٠,٠٧
٧	الديانات الأخرى	./٠.٠,٤٢	./٠.٠,٣٨	./٠.٠,٠٤

جدول تمثيل المسلمين في الشرطة

الولاية/ منطقة تحت المركز	عدد الشرطة الإقليمية	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
ولاية مهارا ستر	١٥٨٥٤٣	٦٦٣٣	./٠.٤,٢
ولاية أندھرا برديش	٦٣١٤٧	١٠٤٩٩	./٠.١٦,٦
أرونا جال برديش	٤٠٨١	لا يوجد	لا يوجد

./۰.۸,۹	۳۹۳۶	۴۳۹۹۰	ولاية آسام
لا يوجد	لا يوجد	۸۳۳۳۲	ولاية بيهار
./۰.۲,۹	۷۳	۲۵۳۵	ولاية غوا
./۰.۶,۲	۳۸۹۷	۶۳۰۹۲	ولاية غجرات
./۰.۱,۷	۳۲۵	۳۰.۴۳۱	ولاية هريانه
./۰.۱,۴	۱۶۳	۱۷۴۶	هما جال برديش
./۰.۴۴,۹	۱۸۰.۴۵	۴۰.۱۸۰	جمو وكشمير
./۰.۷,۲	۳۵۵۷	۴۹۳۲۲	ولاية كرناتكا
./۰.۹,۵	۳۲۷۰	۳۴۳۷۵	ولاية كيرالا
./۰.۴,۲	۳۷۲۰	۸۸۶۷۳	مدهيا برديش
./۰.۸,۵	۹۳۴	۱۱۰.۳۲	ولاية مني فور
./۰.۱,۱	۱۵۸	۸۲۷۱	ولاية ميغاليا
./۰.۱۳,۶	۶۹۹	۵۱۵۲	ولاية ميزورم
./۰.۰,۶	۱۴۵	۱۴۷۵۴	ولاية ناغاليند
./۰.۲,۸	۱۰۲۹	۳۶۵۹۵	ولاية أريسه
./۰.۰,۲	۲۱۰	۶۳۳۱۰	ولاية بنجاب
./۰.۵,۶	۳۲۲۱	۵۷۱۶۷	ولاية راجستان
./۰.۰,۲	۷	۲۷۳۲	ولاية سكم
./۰.۴,۲	۳۰۲۴	۶۹۰۲۱	ولاية تامل نادو
./۰.۴,۹	۸۰۷۲	۱۶۳۸۷۵	الولاية الشمالية
./۰.۹,۸	۳۴۴۲	۵۹۱۳۷	بنغال الغربية
./۰.۵,۹	۱۱۱	۱۸۵۲	اندمان نكوبار
./۰.۰,۶	۶	۴۰.۸۶	جندي كره
./۰.۲,۲	۵	۲۲۲	دار نكر حويلي
./۰.۲,۱	۵	۲۳۶	دمن وديو
./۰.۲,۳	۱۶۰	۵۰.۷۹۸	دهلي
./۰.۴۵,۴	۱۶۳	۳۵۹	لكشديب
./۰.۳,۴	۶۲	۱۸۶۶	بانديجری

وقد كتب لنا الدكتور محمد يونس النجرامي عن المسلمين في الهند قبل استقلالها وبعده، وهو من تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وقد عاد إلى الهند بعد إكمال دراسته وبقي هناك، فرأت رابطة العالم الإسلامي الاستفادة من علمه وخبرته وإطلاعه الواسع على شئون السكان بعامة وعلى شئون المسلمين خاصة أن تعيينه مستشاراً لها لشئون الهند مقيماً هناك، فكان يواصل إرسال التقارير والمقالات التوضيحية عن الأحوال المتعلقة بالمسلمين في تلك البلاد.

وهذا ما كتبه عن هذا الموضوع الذي أثبتته على طوله لأنه مهم كما هو واضح.

المسلمون في الهند قبل استقلال الهند وبعدها دراسة لأموهم وأوضاعهم:

يعتبر ٣١ من شهر ديسمبر عام ١٦٠٠ ميلادية يوماً ذا أهمية فائقة في تاريخ إنجلترا والهند حين أعطت ملكة بريطانيا إليزابيث إذناً عاماً بالشركة الهندية الشرقية لتبادل التجارة على أوسع نطاق مع البلدان الشرقية، وانتهز الإنجليز هذه الفرصة السانحة السانحة لبيسط نفوذهم وسلطانهم، فأخذوا في التجارة الواسعة في بلاد جاوا وسومطرا.

وكان من سوء حظ ملوكنا المسلمين في بلاد الهند أنهم قد انخدعوا بكيد الإنجليز الذين لم يقدوا إلى الهند لغرض تجاري، بل جاعوا إليها مضمرين نواياهم الاستعمارية وألقوا على ذلك رداء التجار الكثيف، فإنهم استأذنوا الملك المغولي جهانكير للتجارة في الهند، فأذن لهم بها عام ١٦١٣ الميلادي، فأسس الإنجليز مراكز تجارية واسعة في مختلف مدن

الهند الكبيرة كمدينة سيرت في غجرات، ومدينة آجرة وأحمد آباد وبهروج وبرودة، وركزوا كل العناية والجهد على توسيع التجارة.

ففي مدة طويلة ازدهرت تجارة الإنجليز واتسع نطاقها، وأستولت على الأسواق، ولما رأى الإنجليز ازدهار تجارتهم بدعوا يظهرون ما كانوا يخفونه في صدورهم من نوايا استعمارية ومطامع خبيثة، فاستغلوا تدهور الاقتصاد الهندي وكذلك التدهور السياسي، فأراندوا أن يثبتوا أقدامهم لنيل المآرب والبيغية التي كانوا يسعون لها ويتحملون المشقات من أجلها.

فأولاً مهّدوا الطريق لإسكان القوات والجنود لصيانة الأجهزة والمحلات التجارية ثم تطرقوا إلى التواطؤ مع الأمراء النواب المحليين، وخلال هذه الفترة قد اعترى الحكومة المغولية الوهن والضعف والخلود إلى الراحة ولا حقيقة لها إلا أنها أصبحت رمزا للحكومة الإسلامية لم تكن فيها روح جديدة وقوة متفاعلة، ودم حار يجري في عروقها، وتجردت عن جميع الخصائص التي بها تكون الحكومة حية متدفقة بالحياة والحيوية والروح والنشاط وقوة الدفاع وصفة المغامرة والبطولة وروح التضحية والفداء والمخاطرة بالنفس والافتحام في غمار المخاطر والسير على صهوات الأشواك، فإن هذا كله قد دفع الإنجليز على بسط نفوذهم وتحقيق مطامعهم، فبدوا يتدخلون علناً وجهاً دون تخوف وإحجام في شؤون البلاد السياسية وتدرجياً ترسخت أقدام الإنجليز في أرض الهند، ولمع نجم قوتهم، ونجحت الخطة التي تم إعدادها بأيدي المستعمرين الحاقدين على الإسلام والمسلمين والدول الإسلامية.

فكان أول من نهض لمقاومة الإنجليز هو البطل المغوار سراج الدولة فإنه بدأ الحرب مع الإنجليز لإخراجهم من الهند وتحريرها من

غطرتهم فوقعت المعركة بين قوات سراج الدولة وقوات الإنجليز الذي كان يقودها لارديكالثيو في حلبة بلاسي سنة ١٦٥٧م.

ولكن من سوء حظ هذه البلاد أن سراج الدولة قد واجه الانهزام وفوض روحه إلى بارئها تعالى في ٢٣ من شهر يونيو من نفس العام، ولم تتحقق تلك الأمنية المعسولة التي كان يحلم بها، ويسعى لتحقيقها ويركز على إنجازها جهوداً مكثفة، وإن انهزام سراج الدولة لم يكن بسبب فتور همته وخوار قوته إنما كان نتيجة غدر وخيانة ومكيدة نسج خيوطها بعض أفراد خاصته الذين كانوا يظهرون له الولاء والحب ولكنهم كانوا يرتبطون بالإنجليز ارتباطاً وثيقاً، ويواصلون إليهم جميع الأنباء والأسرار الحربية، فكان من هؤلاء الخائنين الغدرة مير جعفر سيته جكت رائي، ولبهرام، أوى جند موهن لال، غووند رام متهرا، وتاريخ بلاد الهند لن ينساهم ولا جرائمهم التي اقترفوها.

ولم تخبُ بعد هذه الكارثة الأليمة المخزية جذوة تحرير البلاد من الأجنبي في نفوس المسلمين وأمرائهم الغيارى المتحمسين لصيانة الإسلام وعزته ومجده وبهائه وروائه، فبين فينة وأخرى قام المغاوير المسلمون ضد الاستعمار البريطاني فمن أولئك الأبطال البواسل أسد ولاية ميسور تيبو سلطان الذي لم يزل مصدر قلق واضطراب للإنجليز، وكان شوكة لا يستطيع الإنجليز دفعها، وقلعة منيعة لا يقدر على فتحها، وعاصفة هوجاء لا يمكن لهم أن يصرفوا وجهتها، وبطلاً فذاً لا تثبت أمام صلابته وشكيمته جبال راسيات فكان يورق الإنجليز فيبيتون وهم ساهرون مضطربو البال موزعو القوى مشتتو الفؤاد، وكانوا لا يستطيعون أن يذيقوه هزيمة فدبروا ودرسوا، وانتهى بهم الأمر إلى

مكيدة، فكادوا، ووطدوا صلتهم بأصحابه الخونة الغدرة الذين كانوا موضع أسرار له، فنجح الإنجليز في غايتهم وهزموه بعد جهد طويل، فقتلوه في ٤ من شهر مايو عام ١٧٩٩م في سوق رنغا فتمت لولاية ميسور.

ولسنا نحن بصدد سرد تفصيل هذا أحوال البطل العظيم ولكن يجدر بنا الإشارة إلى أنه لم يواجه الخيبة والهزيمة في المعركة إلا بسبب جنوده الذين خذلوه وحيداً فريداً، حتى تحصن، وصمد للقوات الإنجليزية ولم توذن الشمس بالغروب حتى فتح أحد الخونة باب القلعة فدخل الإنجليز فيها، وقتلوا أهلها وأضرموا النيران في داخل القلعة، والمصير لا يحتاج إلى مزيد من الكلام، وشجع هذا الانتصار الكاسح الإنجليز حتى قال قائد الجيش "من اليوم الهند لنا".

وفي عام ١٨٥٧م هبت ريح عامة لتحرير الهند من مخالب الاستعمار البريطاني فكان المسلمون وقادتهم هم الذين في طليعة هذه الحركة الاستقلالية فأسهم فيها آخر ملوك الهند المغوليين بهادر شاه ظفر والنواب أحمدالله شاه، والمملكة لكشمي بائي، وتانيا توبه مساهمة جبارة، واكتنوا بنارها، ولكن كان من سوء حظ هذه البلاد وشقاوتها أن هذه الحركة الاستقلالية قد واجهت الإخفاق والفشل بأسباب عديدة فمنها تواطؤ بعض أمراء الهند مع الإنجليز لإرضائهم وتحقيق مآربهم، ومنها تسليح القوات الإنجليزية بأحدث الوسائل العسكرية والخبرة الكافية والمعرفة التامة الدقيقة باستراتيجية الحسب، وسمى الإنجليز هذا الجهد العظيم الذي بذل لتحرير الهند ثورة، والحقيقة أن هذه المقاومة والنضال لم يكن ثورة إنما كان حرباً ونضالاً بريئاً ومقاومة نزيهة لإخراج الإنجليز من هذه البلاد.

وبعد ما هدا الوضع وسكن وعاد الأمر إلى الإنجليز وضعوا السيف في المسلمين وقاموا بجلاء الملك المغولي بهادر شاه ظفر إلى مدينة رنغون في بورما حيث مات موتاً أليماً في السجن، وقتال ثلاثة عشر ألفاً من أكابر علماء المسلمين وأربعة مائة وألف من عامة المسلمين في هذه الثورة، والجدير بالذكر أن هذه الحرب اشترك فيها المسلمون والهندوس جميعاً شأواً بشأور ونعلاً بنعل، ولكن القيادة كانت في أيدي المسلمين لأن الحكومة قد سلبت منهم فكانوا أكثرهم وأشدّ تحملاً من الآخرين وأكثر شعوراً بالألم والرزية، فكانوا مستهدفين حقاً لغضب الإنجليز وسخطهم فذلك أن الإنجليز لم يكتفوا بإبادة المسلمين وقتكهم، بل أهانوا كل ما يمت إلى المسلمين بصلة من مساجد ومقابر ومراكز إسلامية ومؤسسات دينية وتربوية وجرحوا مشاعرهم.

وقد فرضوا الحظر على الصلاة في المسجد الجامع بدلهي، واستمر هذا الحظر سنتين ونصفاً، وخلال هذه كم حثت قلوب المسلمين إلى تأدية الصلاة في هذا المسجد، و الخضوع فيه لربهم، وإن له في قلوب المسلمين تقدساً ويعتبر علامة لشوكتهم وعظمتهم ومجدهم في هذه البلاد، ولم يكتف الإنجليز بإهانة المسجد وتجريح مشاعر المسلمين بل إنهم ضيقوا في إتيان العبادات على المسلمين وقد صدر إعلان من الإنجليز ببيع هذا المسجد الجامع بالمزاد ولكن رجلاً من المسلمين فياض الدين ميرتى دفع الثمن لتحرير المسجد ثم قام بوقفه للمسلمين.

ولا يمكن لمؤرخ أن يهمل جانب ما فعلته أسرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي وبذلت من تضحيات جسام لتحرير بلاد الهند فإن ابنه الشاه عبدالعزيز أفتى بالجهاد الإسلامي ضد الإنجليز واعتبر الحرب مع

الإنجليز جهاداً إسلامياً ولم يكتف بالإفتاء، بل ساعد في تعبئة جيش إسلامي بقيادة الإمام السيد أحمد بن عرفان البريلوي وحرص الناس على الانتماء في هذا الجيش فاشترك فيه ابن أخيه الإمام إسماعيل الشهيد، وزحف الجيش الإسلامي، وخرج هذا المد الإسلامي لمقاومة الإنجليز فخاض في كثير من المعارك الطاحنة، حينئذ انتصر وحيناً آخر واجه الفشل.

واستمرت الحرب بين هذا الجيش المتحمس لإعادة مجد الإسلام السالف وبين القوى الإنجليزية وحلفائها مدة طويلة حتى هابه الإنجليز، وتغصنت به حياتهم، فأحسوا الخطر من قبل هذه الحركة الإسلامية فلم يدخلوا وسعاً في اقتلاع جنورها، حتى وقعت معارك عديدة في مختلف مناطق الهند، ووقعت المعركة الأخيرة في ميدان بلاكوت سنة ١٨٣١ الميلادي، ودارت هذه الحرب بين الحركة الإسلامية التي كان يقودها الإمامان السيد أحمد وإسماعيل الدهلوي وبين الشيخ الذين كانت القوات الإنجليزية تساعدهم وتزودهم بالأسلحة الفتاكة أبلى فيها المجاهدون بلاءً حسناً، وأظهروا فيها الأعاجيب، ولكن الله قدر لهذه الجماعة الهزيمة الظاهرة فرزق قائده وساعده الأيمن الشيخ إسماعيل الدهلوي وكثيراً من المجاهدين الشهادة، ففازوا وظفروا بهذه النعمة والمكانة الرفيعة.

ولم تتوقف مسيرة ما بدأه السيد أحمد بن عرفان الشهيد وإسماعيل الشهيد من الجهاد والمقاومة الإسلامية ضد الطموحات الاستعمارية الإنجليزية على شهادتهما وشهادة كثير من أصحابهما، بل واصل حركتهما الجهادية سفرها الشاق المضني برغبة وحماسة وجد ونشاط موفور، فلما وضعت معركة بلاكوت أوزارها ونجا من نجا من المجاهدين فلجأ الفلج إلى الجبال ولم يزل هؤلاء وأصحابهم في الهند

قائمين على الحق باذلين في ذلك النفس والنفيس، و الإنجليز يطاردونهم ويطاردون أملاكهم وأموالهم ويحاكمونهم محكمات طويلة عريضة، وهم صابرون محتسبون لا يضطربون ولا يتزعزعون.

وكان الشيخ عنايت علي والشيخ ولايت علي من رفقاء السيد أحمد الشهيد اللذين واصلا جهادهما ضد الإنجليز في بنغال المنطقة الجنوبية الشرقية من الهند مؤلفة من المسلمين فيها، وكان الإنجليز مستشاطين محققين ومضطربين فقاموا بشنق عدد كبير من المسلمين وكذلك قاتل الحافظ محمد ضامن ومعه آلاف وآلاف من علماء المسلمين الإنجليز في ميدان شاملتي، فمعظمهم نالوا الشهادة، واستشهد آلاف من المجاهدين في صادق فور المنطقة الشرقية للهند، وكان من الذين نالوا درجة الشهادة في معركة صادق فور ملالال قندهاري والمولوي مظهر علي وغيرهما من العلماء الكبار والذين اکتوا بنار حرب تولى عدد كبير من العلماء المسلمين وكان منهم المولوي نصير الدين منغلوي والشيخ عبدالله بنارسي والشيخ نظام الدين شاه جهان فوري، وقد شنق فضيلة الشيخ أحمد الله في قضية مؤامرة أوده في مدينة فيض آباد.

وبدأ محاكمة المتأمرين في الهند، ودامت مدة طويلة، وحوكم عدد من قادة هذه الحركة كان على رأسهم وفي مقدمتهم الشيخ يحيى علي العظيم آبادي والشيخ أحمد الله العظيم آبادي والشيخ جعفر علي التهانيسري والشيخ عبدالرحيم الصادق فيري حكم عليهم بالإعدام ثم بدل هذا الحكم بالنفي المؤبد إلى "بورت بلير" اندمان في جزائر سيلان.

وتاريخ هذا الجهاد الطويل والبطولات النادرة والأدوار الرائعة التي

أدائها العلماء المسلمون موضوع كتاب مفرد وسفر مستقل لا يمكن الإحاطة بمآثرهم المشرقة واستقصائها في هذه العجالة.

لا شك في أن المسلمين في الهند منذ بداية قدوم الأجانب إليها لم يرضوا باقبالهم واندفاعهم وتواجههم نحوها، فلما حاول الأجانب تثبيت أقدامهم في قلب الهند نهض المسلمون قائمين مناضلين مكافحين ضدهم كما أن المسلمين في ما لا بار نشبوا الحرب مع الحكومة البرتغالية عام ١٥٠٠م وكان المسلمون المالاباريون معروفين بالمهارة والبراعة في الحرب، وكانوا يصلون أنسابهم إلى أسرة كجالي الشهيرة، وينحدرون منها، وفي سنة ١٥٨٥م وقعت المعركة بقيادة كتا موسى ابن أخ كجالي وبدأت ثورة موبلار سنة ١٨٠٠م كان يقودها حيدر سوكتي، فإن الإنجليز قد صبوا ظلماً قاسياً على الثوار ومن كانت له مساهمة في إضرام نار الثورة.

وفي عام ١٩٢٢م أيضاً قد شهدت موبلادار مشهداً مؤلماً عنيفاً أشد العنف حين ثارت قبيلة نوائط (وهذه القبيلة مشهورة وعامة تسكن في مدن جنوب الهند وخاصة في مدينة بهنكل وماجاورها من المدن) على الإنجليز وقاد هذه الثورة سدى محمد بابو الذي كان والد القادر باشا النائطي، وخالاً لركن الدين شبير، فإن السدى محمد قد أبدى بطولته العجيبة النادرة وألجأ الإنجليز وجنودهم إلى التراجع والتقهقر ولكن من المؤسف جداً أنه لم يلبث أن انقلبت ثورته الناجحة الكاسحة اخفاقاً وفشلاً، وبعد اخفاق ثورة موبلادار قد اختفى، وترك وطنه المالوف الذي نشأ فيه واستنشق هواءه، وأريجه وتوجه شطر مدينة بهنكل يركب الباخرة، وحظر الإنجليز عليه دخوله في مالابار، وبعد أن نالت الهند استقلالها ذهب إلى كاليكوت حين توفي ودفن.

ولمسلمي مدينة ميرت بولاية إترابرديش إسهامات جلية وتضحيات
جسيمة في تحرير الوطن من براثن الإنجليز وما أكثر ما ساهم مسلمو
ميرات، وولاية راجستهان في هذه الحركة الاستقلالية، وما أكثر ما
شاهدت منطقة ميوات حين أحرقت قراها وأريافها برمتها.

وهذا بما أوماً به المستر كلفيورد عند ما جر الناثرون أخته وهي
عارية في جاندي جوك بمدينة دهلي، وما قام به المستر كلفيورد من
اعتداءات قاسية ومظالم رهيبة لا تزال تردد وتحكى وتنتقل إذا ذكرت
قصص الاعتداءات على الإنسانية، ولاسيما إذا ذكر المسلمون وما منوا به
من ظلم ووحشية في فترات مختلفة من التاريخ.

وفي بداية هذا القرن العشرين قام فوج كبير وسيل عارم من
العلماء والمتحمسين للدين الإسلامي لمقاومة طموحات الإنجليز
الاستعمارية، فمن أجل هذه الغاية أنشأ شيخ الهند مولانا محمود الحسن
الديوبندي حركة قوية عظيمة التأثير سريعة الانتشار واشتهرت هذه
الحركة بحركة المنديل الحريري، وفي مدة غير طويلة ذاع أثرها وشاع
ما أعدته من مخططات وبرامج، ولكن الله لم يقدر لها أن تتجح، وهو
أعلم بما خبا لها من حكم وأسرار، ولكن لو أنها قد نالت النجاح في
غايته وفيما تروم إليه من تغيير سياسي بل وتغيير القيادة لتقلبت
الأوضاع والاتجاهات التي تكون سائدة حين ذلك، وكان قائد هذه الحركة
رجلاً المعياً فذاً محنكاً، فحاول توطيد الصلات مع القيادات الإسلامية في
العالم الإسلامي وجاب من أجلها في كثير من البلدان، وأرسل كثيراً من
القواد والأمرء والحكام، فبصد ذلك قد باح سره وألقى عليه القبض حين
كان في مكة المكرمة وتم القبض عليه بإيعاز من رئيس مكة الذي قد

ارتكب هذه الجريمة لإرضاء الإنجليز .

وفي عهد تحمل عدد كبير من العلماء محن النفي والسجون وتجرعوا مرارة أليمة في سبيل تحرير البلاد من الاستعمار البريطاني ونفوذه الجائر الغاشم فكان على رأسهم ومقدمتهم الشيخ عبدالرحيم السندهي، ومولانا حسين أحمد المدني الفيض آبادي ثم الديوبندي مولانا عبدالله السندهي، ومولانا محمد علي جوهر رامفوري وأخوه الأكبر شوكت علي ومولانا حسرت موهاني، ومولانا عبدالحليم الصديقي، والدكتور السيد محمود بهادر يارجنغ، والدكتور الأنصاري والطيب أجمل خان، ومولانا أبوالكلام آزاد كلكتوي ثم الدهلوي، ومولانا حفظ الرحمن السيوهاروي ومولانا سعيد أحمد أكبر آبادي، والدكتور سيف الدين كجلو.

حركة تحرير الهند ودور النساء المسلمات:

وللنساء المسلمات دور عظيم بارز يجدر بالذكر والتتويه والإشادة ولهن إسهامات ضخمة رائعة في سبيل تحرير البلاد تحتاج إلى كشف القناع عن وجهها، فكانت (حضرت محل) امرأة فيها غيرة وحماسة وانفة وازدراء للسيطرة البريطانية، فإنها قامت بتعبئة جيش نسائي لمقاومة الإنجليز، واشتركت في الجيش الذي أعدته إماء القصر وجواربها اللاتي لا يعرفن إلا القيام والخدمة والأتيان بما يؤمرن ولكنهن اشتركن في الجيش وتجددت بمساهمتهن زكريات الماضي حين قامت المسلمات بالاسلات بأدوار رائعة مسفرة، واستمرت الحرب بين (حضرت محل) والقوات الإنجليزية حوالي عشرة أشهر فإنها كانت صامدة أمام الإنجليز صمود الجبال الراسيات، لا تعرف الوهن والضعف

والاستكانة، وكادت الحرب لا تنتهي.

ولما رأى القائد الإنجليزي أورم أن الوضع لا يمكن أن يهدأ ولا يسكن بل إنه لا يزال يتسع ويتفاقم يوماً فيوماً، فإنه عرض عليها شروط الصلح، ولكن تلك المرأة الأبية قد رفضت عرضه وأبت إلا أن تواصل الحرب مع الإنجليز، وفوق ذلك قدمت الملكة فكتوريا العذر إليها وطلبتها العفو والسماح، ولكنها ألحت على الرفض والإنكار وما لانت عريكتها، ولا ساومت ضميرها الغيور ولا رضيت بما قدمت إليها الملكة البريطانية من عذر وطلب العفو.

ثم لم تلبث إلا أن غادرت مدينة لكنو وطنها المألوف، وهاجرت إلى نيبال حيث أتاها اليقين فسلمت روحها الزكية إلى بارئها تعالى.

والتاريخ لن ينسى أصغرى بيجم القاطنة بتهانا بهون ولاية أترابرايش التي أحرقت وقد كانت حية بسبب تهمة الاشتراك والإسهام في الثورة، وكذلك أصدرت الحكومة البريطانية حكماً لشنق امرأتين مسلمتين إحداهما حبيبة والأخرى رحيم بما أن لهما إسهاماً فعالاً في حركة تحرير البلاد، وكانت هاتان المرأتان ترتبطان بقرية لمديرية مظفر نغر ولاية أترابرايش، وإن هناك عدداً لا يستهان به من النساء المسلمات لهن خدمات باهرة ودور إيجابي بناء في مجال إنقاذ الوطن من نير الاستعمار البريطاني، ومن أولئك النساء النجيبات الجرئيات أم مولانا محمد علي جوهر ومولانا شوكت علي التي حرّضت ابنيها علي التضحية والفداء والبطولة في سبيل تحرير البلاد، وشجعتهما عند كل غائلة ومحنة وشاركت هي أيضاً في الحركة الاستقلالية ونفذت روحها

في كثير من الشبان والأطفال وأوقدت شرارتها في نفوس النائمين
الساھين اللاھين الذين يغشاهم الوجود والسهو والغفلة عما يدور حولهم
من أحوال ووقائع، وإني لو لم أذكر حليمة مولانا حسرت موهاني: نشاط
النساء التي لها دور بارز في تعضيد زوجها وتعزيز جانبه وتقويته في
كل مرحلة وطور من أطوار رحلة تحرير البلاد لكان هذا خيانة تاريخية بل
وجناية تاريخية فإنها رافقت زوجها حذواً بحذو في شقائه وسعاده وفي حلوه
ومره، ولما حوكم علي مولانا حسرت الموهاني من قبل الإنجليز فإنها كانت
من تسلمت رصيد المحاكمة، وكم من مرة ذهبت إلى المحكمة من أجل قضية
ومحاكمة زوجها.

أما شخصية مهاتما غاندي فمن الواجب أن نعرف أن غاندي لم
يكن معروفاً في الأوساط الهندية، ولم يكن له صلة وعلاقة بشعب الهند،
إنما نشأ في الهند وتعلم ثم سافر إلى لندن لإتمام التعليم ثم توجه إلى
إفريقيا، وهناك كان يعيش حياة الخمول والذبول، ولم تكن له مكانة
وشهرة إذا به طار صيته وذاعت شهرته، وهذا كله بما كانت له علاقات
قوية بالمسلمين منذ مرحلة بداية التعليم في الهند، ثم في لندن وفي إفريقيا
أيضاً، ولذلك فإننا نرى أنه حين آب إلى الهند من إفريقيا عام ١٩١٥م
فكان أول من عرف به هم المسلمون ولاسيما العلماء، وعلى مقدمتهم
مولانا محمد علي جوهر وأخوه الأكبر مولانا شوكت علي ومولانا
عبدالباري فرنجي محلي، ولآخر الذكر يد كبيرة في القيام بتعريف غاندي
في الدوائر الهندية، كما ذكر أن مولانا عبدالباري قام بجولة على الصعيد
الهندي بالقطار ورافقه غاندي فكان يقف على كل محطة بما يمر بها،
ويعرف الناس بشخصه غاندي، فقصارى القول أن كل ما ناله غاندي

وأحرزه من مكانة وشهرة وصيت فائق، وجاء عريض كله يرجع إلى أيادي المسلمين الذين كانوا لا يعرفون ضيق النظر ولم ينوقوا التعصب، وإنما كانت صدورهم تجيش وتغلي بما يمكن به تمهيد الطريق إلى تحرير البلاد سواء في ذلك المسلمون والهندوس.

ولعدم ضيق النظر لعلماء المسلمين ترى عددا كبيرا من المتقنين والخريجين من الكليات والجامعات العصرية كانوا يرافقون العلماء، وكان العلماء المسلمون معنيين بهم، ولهم مكانة في قلوبهم ويعتبرونهم زادا قويا للرحلة الاستقلالية.

حزب المؤتمر الوطني وإسهام المسلمين فيه:

مما لا شك فيه أن الحزب المذكور هو الحزب الوحيد الذي نال تعطف المسلمين منذ تأسيسه في ٢٥ من شهر ديسمبر ١٨٨٥م بيد رجل إنجليزي (A.Q HUME) وكان الغرض لإنشاء هذا الحزب توحيد جماهير البلاد وتركيزها، وتحقيقا لهذا الغرض الهادف البناء بدأ الحزب سلسلة عقد المؤتمرات واللقاءات على الصعيد الوطني في مختلف مدن البلاد، فانعقد مؤتمره الأول في مدينة كلكتا تحت رئاسة المحامي الشهير (W. C. BAMERJI) اشترك فيه ٧٢ ممثلا من مختلف مدن الهند، ومن بينهم ممثلان مسلمان رحمت الله ساياتي وعلي محمد فهيم الذي كان وطنه مدينة بومباي، وبعد حفلة الأولى بدأ نطاق الحزب يتسع قليلا قليلا، وجعل المسلمون يقتربون منه ويبدون تعاطفهم ورغبتهم فيه حتى نجد عددا من المسلمين الذين تبؤوا منصب رئاسته قبل تحرير الهند، فإنهم هؤلاء بدر الدين طيب جي، ورحمت الله ساياتي، محمد علي جناح،

حسن إمام، حطيم اجمل خان، مولانا محمد علي جوهر، الدكتور مختار أحمد الأنصاري، مولانا أبو الكلام آزاد، وهؤلاء الذين لهم دور إيجابي في تطوير المؤتمر الوطني، ولهم تضحيات جسام لن ننسى، إنما لا يجدها إلا جاحد والجدير بالذكر أنه بعد نيل الهند استقلالها لم يعين أحد من المسلمين رئيساً لهذا المؤتمر إلى الآن خلال فترة خمسين سنة، وأن له أسباباً وامتدادات ترجع أصولها إلى فكرة خاصة وهي الفكرة الهندوسية، فإن الحرب قد وقع في دوامة هذه الفكرة بل أصبحت هذه الفكرة قوة موجهة رئيسية له وأساساً لا يمكن عنه الحياد، وسيطرت عليه الفكرة السرهمنية التي تعتبر المسلمين عدواً لدوداً فإن المسلمين قد قلت رغبتهم فيه وانحسر عددهم، واليوم يمثل هذا الحزب فكرة يتحملها الطبقات العليا من الهندوس.

حقيقة الحرية:

نعني بالحرية حرية الفرد بحيث أنه يكون حراً طليقاً في ممارسات أعماله وشئونه ما يشاء، وكيف يشاء لا تفرض عليه ضغوط، ولا توضع في سبيله عراقيل وعقبات قانونية، وكانت شخصيته مصونة من كل نوع من أنواع الظلم والاعتداء والقسوة، وليس لأحد أن يلقي عليه القبض بدون محاكمة قضائية، وله خيار وحرية تامة أن يذهب وينطلق حيث يشاء خارج بلده في البلاد، أو خارج البلاد بالإجازة، وتعتبر حرية الفرد أمراً يستحق الاحترام والتقدير والعناية البالغة به في كل مجتمع إنساني نزيه بصفة تجعل الفرد ذا قيمة وأهمية لا يمكن الظلم عليه، وعلى عرضه وماله، ومن ارتكب هذه الجريمة النكراء واعتدى على شخص في عرضه وماله فإن له عقاباً رادعاً وجزاء مخزياً لا يستطيع عليه صبراً ولا أن يتخلص منه.

وانطلاقاً من هنا يجب علينا أن نقوم بتحليل دقيق لأوضاع المسلمين في هذه البلاد وما أحرزوه من حرية لممارسات أعمالهم الدينية، وكذلك ينبغي لنا أن نتعرف على مدى إحرارهم المنافع مقابل ما بذلوه من مجهودات جبارة في سبيل تحرير الهند منذ أن بدأت الحركة الاستقلالية، وعلى ما جنوا من ثمار حلوة أو مرّة، وما تكرموا بالعز والكرامة والمناصب الرفيعة من قبل الهند، هذا هو الجانب المؤلم المظلم الذي يدفعنا إلى تقديم الحقائق والوقائع التي عاش خلالها المسلمون ولم يزلوا يعيشون اليوم في هذه الدولة التي قاموا بتطريز جنباتها وحواشيها، وأراقوا من أجلها دماء قانية، ولم ييخلوا بما كانوا يملكون من قوة ووسائل لأدنى لمحة ولو قفة قصيرة.

وقفّة مع المسلمين بعد تحرير الهند:

(لو جمع كل ما أريق من دماء المسلمين الزكية في الاضطرابات الدامية بعد استقلال الهند في موضع واحد لغرق بناء البرلمان أكبر بلاد ديمقراطية من بين دول العالم في بحر من الدماء القانية).

لقد مُني المسلمون وظلموا ظلماً شديداً فانفتح عليهم باب المؤامرات والخديعة والغدر والخيانة وسلب الحقوق، والانتهاكات والاضطرابات الطائفية، فالمسلمون دائماً منذ استقلال الهند في ضيق وحرَج ولا يخرجون من أزمة مشكلة فما أسرع ما يقعون في أزمة أخرى، وجميع أبواب الرقي والازدهار مغلقة عليهم، فليس لهم تمثيل تقر به العين في الجهاز الإداري ولا في الوظائف الرسمية ليست لهم إمكانات وفرص يستطيعون بها أن يقطعوا مسيرة الرقي والتقدم وغلقت عليهم أبواب التعليم ونتيجة لذلك صار المسلمون متخلفين أسد التخلف في مجال

التعليم، وكانت مساجدهم ومراكزهم العلمية والدينية في خطر شديد وكل يوم يرى وتشاهد مناظر مسرحية تعبت بها بكرامتهم وعواطفهم، وكم أريقت دماء المسلمين منذ استقلال الهند إلى يومنا هذا، وكم واجهوا أقسى المعاناة وأعنفها وأشدها في مختلف مجالات الحياة، وكم فرضت عليهم ضغوط عدوانية جائرة وبذلت جهود مكثفة لاسيئصالهم بأساليب مختلفة.

وفي الوقت الذي كانت أنديرا غاندي رئيسة الوزراء للهند ارتكب وزير لها جريمة نكراء بحيث إنه قد قضى على حيثية الإستقلالية التي كانت تتمتع بها جامعة عليجرا الإسلامية إذ إن هذه الحيثية هي التي كانت شارة لها تمتاز بها، ولكن الذهن الطائفي حاول القضاء عليها، وبعد ذلك انفجر غضب المسلمين، وتوحدت صفوفهم لإعادة مكانتها التي كانت عليها سابقاً، وبعد جهد طويل أعيدت إليها حيثيتها وإن هذه في الحقيقة مؤامرة خطيرة ضد مراكز المسلمين التعليمية في هذه البلاد ليكون المسلمون مقطوعي الأيدي في مجال التعليم والثقافة.

وإن هناك شبكات متنوعة للمؤامرات الهدامة الخطيرة ضد المسلمين في هذه البلاد ومن بينها محاولة القضاء على الأحوال الشخصية للمسلمين، وفرض القانون المدني الموحد عليهم محلها.

ويجدر بنا أن نذكر هنا تقريراً لواحد من أعضاء البرلمان راميشور سنج، كشف في تقريره عن وضع الجهاز الإداري والكيان الحكومي فيقول: إن الطبقة البرهمنية التي تبلغ نسبتها ٣٪. بالنسبة إلى مجموع سكان الهند لا تزال تمتلك ناصية البلاد منذ استقلالها فإن هذه الطبقة مسيطرة على جميع المناصب الحساسة فمثلاً محافظو هذه الطبقة لمختلف الولايات ٥٠٪. والسكرتير للحكومة المركزية ٤٦٪. ورؤساء الجامعات

٠.٨٧. / والسكرتير للوزراء ٠.٥٧. / والقضاة للمحكمة العالية ٠.٥١. /
والسفراء الدبلوماسيين في الدول الخارجية ٠.١٤. / والمسئولون عن
المؤسسات الرسمية ٠.٥٧. /

ويمكن للقاري من خلال هذه الحقيقة الباهرة أن يدرك تغلغل الطبقة
البرهمنية في مختلف مجالات الكيان الحكومية والآلة الإدارية.

وقدم خشونت سنغ الصحفي الشهير إحصاءاً في جريدة
(SUNDAY TIMES) الصادرة في ٢٩/١٢/١٩٩٠م ذكر فيه نسبة
تغلغل مختلف الطبقات الهندية في الجهاز الإداري، وهذا الإحصائي
يحتوي على فترة طويلة أي منذ سنة ١٩٣٥م إلى ١٩٨٢م وهذا ما يلي:

الطبقات	سنة ١٩٨٢م	سنة ١٩٣٥م
الطبقة الكاثيستيية	٧	٤٠
المسلمون	٣,٥	٣٥
المسيحيون	١	١٥
الطبقة الشيدولية (المختلفة)	٩	٠
الطبقة البرهمنية	٧٠	٣

ويتجلى من خلال الإحصاء المذكور أن نظام الهند السياسي والآلي
قد ارتكز في طبقة خاصة تحمل نظرية متطرفة متعسفة، وإن هذا
الارتكاز قد سبب أضراراً بالغة للمسلمين أكثر من الطبقات الهندوسية
المتخلفة وهذا لأن طبقة (دلت) والطبقات الوضيعة من الهندوس كانت
تتمتع بضمانات وتحفظات، وكانت في جنة ونعيم بها، ثم إن لجنة مندل
ضغطت على الحكومة الهندية على إعطائها ضمانات وتحفظات أكثر
وأوسع من قبل، وبالعكس أن المسلمين لم يزالوا في حرمان من حقوقهم

الأساسية التي يوفرها لهم دستور البلاد، ولم يكن الحرمان والتعاسة مقصوداً على جانب الحقوق والتحفيزات فحسب، بل أحرقتهم النزعة العنصرية والطائفية في نار من الاضطرابات الهائلة على الصعيد الوطني، فأحرقت بيوتهم، وهدمت مساجدهم، ونجحت رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهتكت الأعراض، وسرقت أموالهم، ونهبت ثروتهم، وغلقت عليهم أبواب الرقي والتقدم، وأثيرت الشكوك والشبهات ضد مراكزهم التعليمية والمؤسسات الدينية، ووجهت سهام النقد والغدر والخيانة إلى الشخصيات الإسلامية في الهند، وأبيدت تجارتهم في مختلف مدن الهند ليكونوا ضعفاء اقتصادياً، وفرضت ضغوط قاسية على المهن التي يمارسونها ويديرونها في البلاد، وكوّنت قوات عسكرية متطوعة لقمع وجودهم وترويعهم وإرهابهم لتلا يستقر لهم الأمن، والطمأنينة والهناء، وهدوء البال.

وبالجملة أن المسلمين في الهند لا يزالون موضع فنون من الأهداف الخطيرة وفي وجه التحديات التي تشكل عليهم خطراً كبيراً لهويتهم ولدينهم ولكل ما يمت بصلة إليهم وإلى الإسلام، فإن المسلمين صاروا غرباء أجانب في البلاد التي ضحوا في سبيل تحريرها من مخالب الاستعمار بكل نفيس وغال، ولم يحجم أبأؤهم عن آية تضحية في سبيلها فلم تتحقق للمسلمين أمنياتهم وأحلامهم التي رؤاها في الماضي، فهل للمسلمين أن ينهضوا من جديد ليحرروا هذه الدولة من النزعة البرهمنية الطائفية؟

التعصب الهندوكي

قضية القانون المدني الموحد:

عندما كان دستور الهند تحت الوضع، أثيرت قضية القانون المدني الموحد بقوة، ثم هدأت، وبعد ذلك أثيرت عدة مرات.

وينبغي عرض جوانب من هذه القضية بذكر بعض المباحث التي كانت أثيرت في تلك الأيام وكانت موضع البحث والنقاش، فيوجد أقوام من الهنادكة المتخلفين في جنوبي الهند يقدمون بناتهم الصغيرات السن نذراً لمعابد إله لهم خاص، يقربونهن له، ثم تصبح تلك البنت زوجة وعروساً لذلك الإله بعد القيام بتقليد خاص من تقاليدهم، فيعتبر معارضا ومخالفا لدينهم الهندوكي، ويعني ذلك أن تلك البنت لا يمكن أن تصير زوجة قانونية لرجل من الرجال، ولكنها يمكن أن تكون زوجة غير شرعية، فيضم الراغبون في ذلك أمثال هؤلاء الفتيات إلى بيوتهم عموماً.

وإن لم تجد فتاة من يجعلها زوجة له غير شرعية فإنها تدخل في زمرة البغايا، ويقال لأولاد هؤلاء النسوة منبوذين، وحينما ظهر المعنى الحقيقي الصحيح لهذه الكلمة جعل أتباع المستر غاندي يجتنبون استخدام هذه الكلمة.

هذا ولما أثيرت قضية القانون المدني الموحد نشأ السؤال: ماذا يفعل بهذا النوع المذكور من النساء؟

فكان بعض من محبي الإنسانية والقومية قد اقترحوا أن يقوموا بتزويج أمثال هؤلاء النساء، وأخيراً بذلت امرأة كانت ذات منصب كبير في ولاية من ولايات جنوبي الهند قصارى جهدها فعلا في تزويجهن، ولكن هناك عوائق من الديانة والتقاليد والأعراف في هذا السبيل، وكان يعوق أيضا عدم وجود الشباب الذين يتزوجون بأمثال هؤلاء الفتيات، فإن

هؤلاء الفتيات منبذات ومن طبقات مختلفة، فلا يمكن أن يتزوج بهن الشباب من طبقات عالية، وأما الشباب من طبقات المنبوذين المتخلفة فلا يستطيع أن يتزوج بهن إلا من يستطيعون القيام بالإنفاق على أسرهم وسكانهم، وكانت هذه الأمور مما كان يصعب القيام بها، فلأجل ذلك لم يكن من الممكن أن تتزوج هؤلاء العرائس المنسوبات إلى الآله.

فإذا كان الأمر كذلك كيف يقوم القائمون بوضع القانون المدني الموحد بمعالجة هذه القضية وحلها.

قضية أخرى:

وهي أيضا من أعقد القضايا وأصعبها عند كفار الهند، ففي الهند في وديان في جبال الهملايا وما جاورها من القرى والأرياف تجري العادة أنه مهما كان عدد الإخوة، لا يتم عقد الزواج إلا لأخ واحد، وتعتبر زوجته زوجة لجميع الإخوة، ويعتبر أولاده أولادا شرعيين لجميعهم، وقد ظهر لهم من فساد هذه العادة الأكبر وعيبتها الأعظم أن العاملين بها تعم فيهم الأدواء الجنسية والأمراض النفسية.

وتجري محاولات كبيرة منذ مدة طويلة لأن تنتهي هذه العادة القبيحة وتكون لكل رجل زوجة واحدة، لكن كل ذلك يذهب سدى، ويحول دون ذلك أمران:

الأمر الأول هو أنه لا بد لتحمل أعباء الزوجة ومسئوليتها أن يكون للرجل دخل مناسب، والأمر الثاني هو أن يتوفر للزوجة مكان من قبل الزوج تسكن فيه منعزلة عن الغير.

والسبب في استمرار هذه العادة الخبيثة عند أولئك الكفار أن رجال

هذه الأسر والبيوتات إما أنهم يقومون بالفلاحة والزراعة، أو يتولون وظيفة في الجند أو الشرطة.

وفي هاتين الحالتين لا يكون دخلهم كما يزعمون بمقدار ما يستطيعون القيام بالإفناق منه على الأهل والعيال، ولا يتوفر لهم بيت ولا مكان يليق بأسرة كبيرة، مع أن رجال الدين من الهنادكة الذين يتبعون ديانتهم ورجال إدارة الوقاية الصحية والعاملين في المجتمع لا يزالون يحاولون إنهاء هذه العادة والقضاء عليها ولكنهم لم ينجحوا في ذلك نجاحاً ملموساً.

وبهذا الطريق يتم تزويج بنت من بنات أمثال تلك البيوتات، ولكن لا تتحسن حالة أخواتها الباقيات، ولا تكون لهن أسرة وعشيرة لحرمانهن من الأزواج، فبعض منهن يذهبن إلى مراكز البغي والفحشاء وبعضهن يقتلن أنفسهن.

فهل يمكن وضع القانون المدني الموحد اليوم أو في المستقبل القريب؟

إن مدينة الهند التي وجدت منذ عدة آلاف من السنين قد مرت بكثير من الرفع والخفض والتطورات التاريخية، ومثل هذه الأوضاع والظروف قد أحدثت عشرات من التقاليد والعادات التي هي معقدة جلها متعب مثلما عرضت آنفاً، وهذه هي الحقائق التي لا تزول بوضع قانون أو إرشادات وتوجيهات، وإنما لا بد لها من تحولات ثورية أساسية، وما لم تتغير أمثال تلك العادات والتقاليد لا يمكن وضع القانون المدني الموحد وتطبيقه على جميع الهنادك وعلى الذين يقومون بإثارة هذه القضية والذين يخالفونهم أن يفكروا جميعاً في أمثال هذه التقاليد والعادات وإيجاد العلاج لها.

معارضة القانون المدني الموحد من المسلمين ومن غير المسلمين:

إن المطالبة بتنفيذ القانون المدني الموحد ومعارضته لا تزال مستمرة، من مدة، وقد تحقق خلال ذلك أن القانون الموحد لا يلحق الضرر بالحضارة والثقافة الهندية فحسب، بل هو قانون غير صالح للتطبيق في مثل بلاد الهند العلمانية، ولذلك يتساءل البعض عن الهدف من وراء الإلحاح على المطالبة به كما صرح بذلك وزير القانون والعدل الأسبق السيد أيج. آر. بهاردواج بأن الحديث بشأن القانون المدني الموحد إنما يدار لإثارة الشكوك والشبهات والحقد والكراهية ضد الإسلام والمسلمين، أعرب وزير القانون والعدل عن هذه الآراء في لقاء له غير رسمي مع المحامين في دلهي الجديدة تحت رعاية جمعية المحامين أيه. أيم. يو.

إن هذه الإنطباعات والآراء التي أعرب عنها بهاردواج عن القانون المدني الموحد تحمل أهمية كبيرة لأنه قد شغل منصب الوزارة التي تقوم بإعداد المسودات من كل نوع من أنواع القانون إنطلاقاً من متطلبات الأوضاع والظروف، وله خبرة تامة بأوضاع البلاد وطبائع الناس والتقاليد الاجتماعية الهندية، وهو يعرف بمدى خطورة ودقة القوانين التي يقبلها الناس ويرفضونها، فيقول إن الذين يتكلمون في شأن القانون المدني الموحد هم يعرفون هذه الحقيقة معرفة جيدة وهي أن البلاد سوف تضعف بالسعي لتطبيقه، وليس من الممكن تنفيذ قانون عائلي موحد على الطبقات المختلفة من البلاد وعلى مختلف الجنسيات التي تعمل وتتمسك بالتقاليد، والعادات لها أهمية كبرى في الديانة حتى إن المحاكم تقر هذه الأهمية وتعترف بها، وإن سنّ القانون المدني الموحد سهل ميسور، ولكن تطبيقه عملياً وعن طواعية النفس وجعله صالحاً للعمل والاعتراف به عسير، بل مستحيل.

وقال وزير القانون وهو يشير إلى هذه الدقة: إن هذا القانون الهندوكي كان قد تمّ وضعه في عهد رئيس الوزراء الأول للبلاد جواهر لال نهرو، لكن لم تقبله كثير من القبائل حتى اليوم، وهم لا يزالون يعملون بتقاليدهم وطقوسهم.

إن الذين يطالبون بتطبيق القانون المدني الموحد يذكرون من فوائده أنه ينتشر ويعم لأجله التضامن والوئام في الناس، لكن هذا الدليل لا نصيب له من الصحة عند وزير القانون والعدل، إذ يقول: إن بلاد الهند توجد فيها أديان وحضارات كثيرة، فليست قوتها في تضامنها ووحدتها، بل في الحفاظ على تنوعها واختلافها، وإن صياغة حضارة البلاد ووحدتها في تقوية المثل العلمانية ودعمها.

قال: ولا شك أن الوحدة والمودة لا تتحقق بالقوانين بل باحترام المواطنين لها، ويستطيع الناس أن يمثلوا الوحدة بجانب العمل بدينهم وثقافتهم، بشرط أن يضربوا بالحقد والكراهية عرض الحائط، ويقوموا بترويج مشاعر الأخوة والمودة فيما بينهم، ويشاركوا الآخرين في همومهم وأحزانهم، لكن مع الأسف الشديد إن بعض الأحزاب السياسية قامت بتأييد وتغذية النظريات البالية المذكورة لمجرد تلميع مكانتها السياسية وترويج سياستها الماكرة.

إن هذه الأحزاب لا تنظر ولا تفكر في مصلحة البلاد ووحدتها، وإنما هدفها إثارة الحقد والكراهية والتعصب، لأنهم يرون مستقبلهم مصوناً في أجواء الكراهية والتعصب، وإن كانت البلاد مهددة معرضة للأخطار والدمار.

فهذا القانون الهندوكي لا تقبله جميع الطبقات والفرق الهندوسية فكيف يمكن قبول القانون المدني الموحد في البلاد كلها، وإذا فكر المؤيدون للقانون المدني الموحد من هذه الناحية اتضح أمامهم ضعف مطالبتهم وخلوها من الروح والقوة، ويثبت عدم تأثيرها، ولكنهم يهدفون إلى غير ذلك، فإنهم يريدون أن يبقى المسلمون يتعرضون للأزمات والمشاكل والمصائب، وأن ينصرف اهتمامهم عن المسائل الرئيسية.

أضف إلى ذلك أن يكون لهم في البلاد صورة تجعل الناس يرون رأياً غير صحيح في المسلمين، وهو أن المسلمين يعارضون الوحدة والمودة، ولذلك لم ينجح هؤلاء في هدفهم هذا ولم يتحقق، ولم تقم أية طبقة بحماية مطالبتهم وتأييدهم، مما يدل على أن المسلمين لا يعارضون وحدهم القانون المدني الموحد فحسب، بل تعارضه البلاد كلها، وإن أكره الناس على قبوله وفرض عليهم بدون رضاهم فسوف يأتي ذلك بالنتائج الوخيمة، وتلحق الأضرار البالغة بالوحدة والتضامن في البلاد.

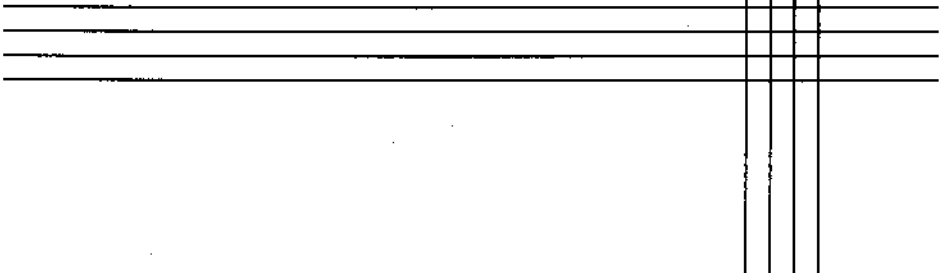
جهود رابطة العالم الإسلامي:

عندما طرح قانون الأحوال الشخصية الموحد في الهند ثار زعماء المسلمين وعلمائهم ووجدوا جهودهم، رغم اختلاف مذاهبهم واتجاههم لاسقاطه وقام الزعماء الدينيون السياسيون مثل الشيخ أبي الحسن الندوي بجهود عظيمة لدى الوزراء وكبار الموظفين موضحين أن ذلك يسوء المسلمين، ويتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية وقد عينوا كبار المحامين من المسلمين والهندوك للدفاع عن وجهة نظرهم وطلبوا من الهيئات والمنظمات الإسلامية في الخارج مثل رابطة العالم الإسلامي أن

تسهم في دفع نفقات المحامين والإجراءات اللازمة لمعارضة هذا القانون وقد اعتمدنا في رابطة العالم الإسلامي مبلغاً من المال مساعدة للجنة ألفها المسلمون لهذا الغرض على نفقات المحامين وغيرها حتى سقط القانون الموحد هذا.

ولاشك أن المسلم لا يمكنه أن يقبل قانوناً وضعياً يستمد أحكامه من عادات وتقاليد تقوم من الكفار ليحكمه في مسائل الزواج والطلاق المهمة لأن أحكام الشريعة الإسلامية قد سار عليها المسلمون في هذه الموضوعات ووجدوا فيها العدل والطمأنينة والسلام.

الاضطرابات والمذابح



نشرت جريدة الرائد التي تصدر باللغة العربية في الهند مقالا بتاريخ ١٤٢٧/١١/٤ جاء فيه:

تحترق الهند حاليا في الفتنة الطائفية لأن المنظمات الهندوكية المتطرفة قامت بتنظيم المسيرات الهندوسية في سائر أنحاء الهند منذ السنتين الماضيتين وتلك المسيرات رفعت النعرات والشعارات ضد المسلمين وحرضت الهندوس قائلة بأن المسلمين وحدهم مسؤولون عن جميع الفوضى والفساد في الهند، وهم عقبة كبيرة في تحقيق الوحدة الهندية لأنهم يصرون على الحفاظ على هويتهم الإسلامية، وأن سلفهم هدموا المعابد الهندوكية في الماضي وأقاموا المساجد على أنقاضها، وبالتالي يجب على الهندوس أن يستعيدوا جميع هذه الأماكن ويقوموا بتحويلها إلى المعابد الهندوكية مرة أخرى.

نتيجة لهذه التحريصات انفجرت الاشتباكات الدموية الحادة في مختلف الأماكن الهندية ومنها مدينة ميرت التي شهدت أسوأ الاضطرابات الطائفية التي انفجرت صباح يوم الثلاثاء في ١٩/٥/١٩٨٧ م واستمرت أكثر من أسبوع كامل، ومدينة دلهي التي شهدت حوادث العنف والاستبداد، وهناك بعض التقارير في ٢٥/٥/٨٧م التي تثبت همجية البوليس، وجاء في التقارير بأن شابا يبلغ ١٨ سنة من العمر ألقى القبض عليه وأطلق البوليس النار عليه من الخلف ومزق بطنه وفخذه، والملفت للنظر أن هذه الاضطرابات امتدت إلى القرى المجاورة لمدينة ميرت، وأذاع راديو لندن صباح يوم الأحد في ٢٤/٥/٨٧م بأن قوات P.A.C. أطلقت الرصاص على المسلمين الأبرياء في قرية مليانة المجاورة لمدينة ميرت، وأحرقت بيوتهم، وأذاع راديو لندن مرة أخرى

ليلة يوم الاثنين في ٢٥/٥/١٩٨٧م بأن الذين قتلتهم قوات P.A.C. في قرية مليانة عددهم ١٨ شخصاً وذلك بعد العثور على ٨ جثث في نفس القرية، ونظراً إلى اعتداءات البوليس هرب ٢٠٠٠ مسلم من بيوتهم ومساكنهم من نفس القرية.

وبلغت المأساة نروتها بالعثور على ٣٦ جثة في مراد نجر قريباً من مدينة ميرت وهم من سكان قرية مليانة الذين اعتقلهم رجال P.A.C. وقتلهم في الطريق رمياً" أضافت الصحيفة قائلة "الطائفة الهندوسية قد نشطت بعد اغتيال إنديرا غاندي وتعرض السيخ للإبادة والمجازر وبالتالي فقد ألوف منهم حياتهم".

وأعربت صحيفة "تأمس أف إنديا" في ٢٧/٥/٨٧م عن رأيها قائلة "العلاقات بين الهندوس والمسلمين متوترة للغاية لا في مدينة ميرت وحدها بل في جميع أنحاء ولاية اترابرديش حتى إنها اجتازت في شدتها وحدتها جميع الأحداث التي وقعت في سنة ١٩٤٧م".

وقالت صحيفة "بانير" في ٢١/٥/٨٧م الدين والسياسة قوتان متصارعتان في الهند والفتنة الطائفية سوف تستمر لأن الأصوليين والرجعيين لهم حرية كاملة بأن يمارسوا السياسة والدين معاً منذ ٣٠ سنة ماضية ولم تتمكن الحكومة من إيقاف الفتنة الطائفية والاضطرابات الدامية ومن واجبات الحكومة بأن تتخذ الإجراءات الحاسمة ضد الأصوليين والرجعيين وأن لا يتدخلوا في السياسة وإدارة الحكومة".

وكتبت صحيفة "تأمس أف إنديا" في ٢١/٥/٨٧م، فقدت الحكومة المحلية لولاية اترابرديش شرعيتها نظراً إلى الاضطرابات الدامية الرهيبة التي تستمر في مدينة "ميرت".

وأفادت صحيفة "بانير" في ٢٨/٥/٨٧م بأن وزير الداخلية لولاية
اترابراديش زار قرية مليانة التي يقطنها ٦٠٠٠ مسلم وأخبره سكان
القرية بأن ٦٨ من إخوانهم وأبنائهم مازال مصيرهم مجهولاً.

ونشرت صحيفة "راتم" اليومية في ٣١/٥/٨٧م قصة همجية لقوات
P.A.C. بكاملها قاتلة بأنها أصبحت متعطشة لدماء المسلمين وإنها قتلت
١٠٠ مسلم رمياً بالرصاص في قرية مليانة وحدها وأحرقت بيوتهم
وقتل النساء والأطفال وأنها قامت بإيادة بعض العائلات المسلمة بكاملها
وأخيراً أقفلت الأبواب وأحرقت البيوت لكي يموت حرقاً من بقي فيها.

تقول صحيفة استيو ميمس في ٢٤/٥/٨٧م بأن فتاة مسلمة كانت
تتبادل الحديث مع زوج أختها في بيتها إذ أطلقت عليها النار فماتت هي
وبعد دقائق تعرض السيد اشتياق زوج الأخت للرصاص أمامها واعتدى
رجال البوليس عليها وأخيراً أحرق بيتها وألقي ثلاثة أطفال صغار في
شعلة النار في نفس البيت، وحكت امرأة أخرى قصتها قاتلة بأن بعض
الناس اقتحموا البيت وقتلوا زوجها مع الطفلين الصغيرين وطفل آخر
أصيب برصاص على محله.

والقلب يعتصر ألماً وحزناً وأسى والعين تدمع على ما جرى في
مدينة ميرت وقرية مليانة وعلى ما تنشر الصحف والمجلات يومياً من
الأحداث والقصص التي وقعت في تلك الأيام الرهيبة المظلمة.

وهكذا انقضى رمضان واستعد المسلمون ليستقبلوا العيد المتلطح
بالدماء والدمار فقد وقعت حوادث مماثلة في مراد آباد يوم العيد، وذلك
جزء انتماءهم إلى الإسلام ورفضهم لما يسمى بالتيار القومي.

مذبحة المسلمين بمدينة مراد آباد بالهند ماذا حدث؟

عقب شهر الصيام (سنة ١٤٠٠هـ) توجه خمسون ألفاً من مسلمي مراد آباد (وهي مدينة معروفة تقع في شمال الهند)، يرافقهم الأطفال المبتهجون، في ملابسهم الزاهية، احتفالاً بذلك اليوم.. ولكن ذلك اليوم تحول إلى يوم روع وحزن وعنف وقتل ويأس لمئات الألوف من المسلمين القاطنين بتلك المدينة وللمائة مليون مسلم آخرين يسكنون الهند التي تدعي العلمانية وتعلن أنها أكبر بلد ديمقراطي في العالم.

وكان هذا اليوم تكراراً لعشرات الألوف من الحوادث والمذابح التي تعرض لها مسلمو الهند منذ عشرينات هذا القرن وخصوصاً ابتداء من الأربعينات.

وكما يحدث في مثل هذه المناسبات، التي يتجمع خلالها أناس كثيرون، فإن الإدارة المحلية وضعت عند مدخل ساحة الصلاة عدداً من رجال الشرطة للحيلولة دون أي شغب محتمل، والذي حدث قبيل أداء الصلاة مباشرة أن دفعت عدة خنازير - وهي نجسة بطبيعة الحال - إلى داخل ساحة الصلاة.. فتقدم بعض المسلمين يسألون الشرطة عن السبب في دخول الخنازير من مدخل الساحة - وهو المدخل الوحيد إلى مكان الصلاة - فأجابتهم الشرطة بتهكم مثير: إن عمل الشرطة ليس هو أن تحول دون وصول الخنازير إلى مساجد المسلمين، ثم بدأت الصلاة التي لم تستغرق أكثر من خمس دقائق، وخلال هذه الدقائق الخمس أطلقت الشرطة نيران رشاشاتها التي اخترقت صفوف المصلين فأردت مئات من الرجال والأطفال قتلى وجرحى.

وقالت إحدى الفرق الطبية التي توجهت إلى مكان الحادث إنها

وحدها التقطت جثث ٣٠ قتيلاً من الرجال و ٢٠ قتيلاً من الأطفال، وذلك من فوق سجاجيد الصلاة التي تشربت دماء الشهداء. ويقول شهود العيان: إن الشرطة نقلت كثيراً من الجثث ودفنتها في مكان مجهول لاختفاء جريمتها.

وقد بذلت الشرطة بالفعل جهداً كبيراً لتغطية جريمتها، فحاولت في بداية الأمر تدعي أن المسلمين هم الذين اعتدوا بفتح النيران على الشرطة وأن مسلمين مسلحين كانوا يجلسون في ساحة الصلاة لأحداث الشغب، إن الشرطة قد أردت المئات قتلى برشاشاتها ولكنها عجزت حتى الآن عن إبراز أي سلاح نارى تكون قد عثرت عليه مع القتلى أو المسلمين الآخرين. وادعت الشرطة عقب فضوح دعواها الأولى، أن المسلمين بدعوا برشق الشرطة بالطوب، ورداً على ذلك أطلقت الشرطة النيران على المسلمين.

تعليقات الصحافة العالمية حول المذابح:

من تقرير مراسل صحيفة (انترناشيونال هيرالد تريبيون) المنشور بعددها الصادر في ٢٦ أغسطس ١٩٨٠م:

"إن عدد القتلى بلغ المائة والخمسين قتيلاً، وجرح الآلاف وألقي بالقبض على الآلاف، ومئات من المتاجر قد نهبت وحرقت، و أوضحت هذه الحوادث أن مسلمي الهند لا يزالون معرضين للأخطار ولا يزالون غير أمنين بالرغم من مرور ٣٣ سنة على تعهد قادة الهند بإنشاء نظام علماني، والذي يحدث في معظم حوادث الشغب والقتال الطائفية أن المسلمين هم الذين يتعرضون لأكبر معاناة، ومثل الأفارقة السود بسويتو بجنوب إفريقيا والمجموعات الضعيفة في كل مكان، فإن مسلمي الهند ناقمون، وهم كغيرهم من الذين يتعرضون للتمييز العنصري، يتعرضون للاضطهاد، في فترات الأمن النسبية أيضاً.

ومسلمو الهند فقراء وحظهم أقل في التعليم والصحة من المواطن الهندي العادي، وهم يعانون من البطالة أكثر من الهندوس ونسبتهم في الشرطة والقوات المسلحة أقل بكثير من تعدادهم العام".

وتعليق صحيفة "الغارديان اللندنية" (عدد ٢٠ أغسطس ١٩٨٠م):

"إن تقسيم البريطانيين للهند إلى بلدين، فجر أكبر موجة للهجرة في التاريخ، فقد هاجر ملايين من المسلمين من الهند إلى باكستان، والموتى الذين سقطوا في المصادمات الطائفية خلال هذه الأحداث يقدرون بربع مليون نسمة، وقد يكونون أكثر من ذلك بكثير، ومنذ ذلك الوقت يتعرض المسلمون للاضطهاد، فأنت تشاهد في منطقة سكنية أنشئت حديثاً أن العادة هي أن الجزء الذي يسكنه الهندوس يحصل على المياه الجارية، والكهرباء ومجاري الصرف، أما الجزء الملاصق والخاص بالمسلمين فيكون عموماً محروماً من هذه الحاجات الأساسية، إن كثيرين من كبار المسؤولين والهندوس النافذين يعترفون بهذه الحقائق ويبدون عن أسفهم لها.

وهناك عدد ضئيل من المسلمين في مناصب رفيعة ولكن وجودهم في تلك المناصب يعتبر رمزياً لا غير".

مجلة "صنداي" الهندية الأسبوعية (عدد ٢٤ أغسطس ١٩٨٠م):

"مرة أخرى كانت هذه قضية بحثة وبسيطة لمظالم الشرطة، إن القوات "المحافظة على القانون والنظام" قد صبت جام غضبها على آلاف من المسلمين الذين حضروا لأداء صلاة العيد: يوم البهجة والاحتفال، إن مئات منهم قد سقطوا صرعى، وكثيرون منهم أطفال، في هذه المذبحة وخلال الفرار الجماعي عقبها.

"إن الكل من مسلمي مراد آباد وهندوسها يقولون لمن يريد أن يسمع: إن ما حدث يوم ١٣ أغسطس في مدينتهم لم يكن فتنة طائفية، بل كان مجابهة مباشرة من الشرطة ضد المسلمين، ولكن الشرطة تنشر الأكاذيب الآن حول ما حدث بالفعل، وذلك لتغطية أفعالهم الشنيعة، ومن شأن هذه الأساطير الكاذبة أن تصرف الأنظار عما وقع بالفعل في ساحة صلاة العيد".

قال البروفيسور. أ. سكرمير هورن بجامعة كيس وسترن رزرو بالولايات المتحدة: "إن الاضطرابات المعادية للمسلمين في الهند هي مذابح حقيقية تقترفها الأغلبية ضد الأقلية".

وقال ريتشارد لامبرت، عالم الاجتماع الأمريكي:

"إن الأرقام الحقيقة لقتلى المسلمين في هذه الاضطرابات هي أعلى من ضعفين ونصف إلى عشرة أضعاف عما يعترف بها رسمياً" عن مجلة "أمباكت" اللندنية، ١٢-٢٥ سبتمبر ١٩٨٠م.

جذور المشكلة:

إن مذابح المسلمين قد أصبحت أمراً اعتيادياً في الهند "العلمانية" التي يقطنها أكبر تجمع سكاني إسلامي (١٠٠ مليون مسلم) بعد إندونيسيا.

وقد وقعت في الهند فيما بين ١٩٤٦ و ١٩٧٩م: تسعة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون (٩,٥٤٢) من هذه الحوادث المعادية للمسلمين (إحصائية مجلة "سوريا انديا" الهندية الشهرية عدد يونيو ١٩٧٩م). وتصف الصحافة الهندية الرسمية والصحافة الغربية هذه الأحداث بأنها "اضطرابات هندوسية مسلمة" أو أنها "اضطرابات طائفية"، لكي تعطي انطباعاً بأنها أحداث تقع بين طرفين، بينما الحقيقة هي أن طرفاً واحداً

فقط يخطط هذه الأحداث ويبادر بها وينفذها- بالدم البارد وهذا الطرف هو الهندوس المتعصبون- في السلطة الحكومية وخارجها- المنتمون عموماً إلى حزب راشتريا سيوك سانغ وجناحه السياسي الجان سانغ، وكذلك إلى أحزاب إقليمية متطرفة مثل (شيف سينا) بإقليم مهاراشترا، وتستخدم الأحزاب الأخرى هذه الحوادث لفوائد سياسية.

"وقد بدأت هذه الاضطرابات المعادية للمسلمين أول الأمر خلال العشرينات من هذا القرن حين ظهرت حركات متطرفة مثل (هندومهاساها) منادية "تطهير" المسلمين من رجز الإسلام!!! وعقب الاستقلال تحولت هذه النعرة إلى "تهنيد" المسلمين وكأنهم أجنب في بلدهم نفسه.

"إن أفظع جانب لهذه المؤلمة من تاريخ البشرية هو أن هذه الحوادث تتجاهلها الصحافة المحلية والخارجية أو تحرفها، كما أن الشرطة دائماً تتغاضى عن المجرمين، وكذلك المسئولون المحليون والسياسيون، ومما يسبب الإهانة إلى جانب الجرح، أن المسلمين هم الذين توجه إليهم تهمة هذه الحوادث!

"والتطور الجديد والمخيف هو أن قوات الشرطة هي التي بدأت ترتكب هذه الجرائم، وفي أحدث هذه المذابح سقط ١٥٠ مسلماً- في لحظة واحدة- صرعى رشاشات الشرطة بمدينة مراد آباد في أغسطس ١٩٨٠م، وكان ذلك في نفس يوم العيد، وكان المتعصبون الهندوس قد ساقوا الخنازير النجسة إلى داخل ساحة الصلاة، وحين احتج المسلمون على هذا، ويقال إنهم رشقوا الشرطة بالحجارة، بدأت الشرطة تطلق عليهم النيران، عن كثب، من المدخل والمخرج الوحيد لساحة الصلاة، وسقط كثيرون من المسلمين الآخرين صرعى الرصاص حين استمرت الشرطة في التدريب على قنص البشر

العزل في مدينة مرادآباد وغيرها من مدن شمال الهند حيث تظاهر المسلمون ضد وحشية السلطة المناط بها حفظ الأمن والقانون.

"إن أرواح المسلمين ليست هي الضحية الوحيدة لهذه المذابح، لقد لوحظ (منذ عشرين سنة الآن) أن الدافع الحقيقي هو حرق بيوت المسلمين ودكاكينهم ومصانعهم، مدن جبل نور، جمشيد پور، بيوندي، بنارس، أحمد آباد، مرادآباد.

إن الاستراتيجية هي شل المسلمين اقتصادياً، والآن بعد النجاح في القضاء على ثقافة المسلمين ولغتهم (الأردية) الغنية، أصبحت أهداف القضاء هي أرواح المسلمين وممتلكاتهم نفسها.

"ولست هناك إشارة جادة تدل على أن حكام الهند يتفهمون هذه القضية ولديهم الشجاعة في معالجة جذورها وتقديم مجرمي هذه المذابح إلى المحاكم، إنها ليست قضية سياسية، بل هي قضية تخص القضاء والنظام والأمن، وقد أخفقت الحكومة الهندية في معالجة هذه المشكلة، وقد أعلنت رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي، بكل قسوة فؤادها، وهي تتحدث أمام مجلس النواب الهندي عقب مذبحه مرادآباد:

"إن الاضطرابات تقع في كل مكان من العالم، ولذلك ليس هناك من جديد في الاضطرابات المعادية للمسلمين في الهند".

"وإن لم تفهم سلطات الهند واجباتها، وإن لم يتحد المسلمون ويجمعوا صفوفهم لمحاربة المجرمين، دفاعاً عن أرواحهم وحقوقهم المهضومة، فليس هناك من أمل في بقاء مسلمي الهند على قيد الوجود".

(من تحقيق لمجلة "كريسنت انترناشيونال"، تورانتو، كندا، عدد

١ نوفمبر ١٩٨٠م.

شرح الاضطرابات الطائفية وتحليلها:

علق مستشار رابطة العالم الإسلامي للشئون الهندية الدكتور محمد يونس النجرامي بمقال على الموضوع، فقال:

إن التصريح الذي نشرته الصحيفة اليومية المرهتية "سامنا" قد اعتبره مجلس الصحافة الهندي مدانا يستحق الذم والاستكار، والذي قيل فيه "إن وقع الضرب والمسيب على آلهة الهندوس بالآلات الدالة على المعادن، فلن يسمح بالاحتفال بالعيد في البلاد"، هذه الصحيفة لمنظمة شيو سينا، وهذا التصريح أدلى به رئيس شيو سينا بال تهاكري، وإنه هو مدير هذه الجريدة، ويحكم حزبه الآن في مهاراسترا بالاشتراك مع بي جي بي، وبهذا الحزب يتصل كبير وزراء مهاراسترا مرلي منوهر جوشي، ويحظى بال تهاكري في مهاراسترا بالمنزلة التي يحظى بمثلها رئيس حزب بهوجن سماج كانشي رام في أترا براديش، وكلاهما موجهان للحكومة الجارية المشتركة بين هذين الحزبين، كما أن كل واحد منهما رئيس لحزبه، فإنهما يشرفان على هاتين الحكومتين الموجودتين في مهاراسترا وأترا براديش، ويضعان خططهما، ويقومان بإعطاء التوجيهات والإرشادات لتطبيق هذه الخطط والمواقف، ويعتبران هذا التحكم من بعد حقاً وجائزاً.

رواج شيوسينا: وبيان بال تهاكري هذا الذي اعترض عليه وأدانه مجلس الصحافة كان أدلى به هو أثناء الاضطرابات الطائفية الواقعة في يونيو ١٩٩٣م، وكان هذا التصريح محلاً للاعتراض لدى الحكومة الموجودة في مهاراسترا آنذاك أيضاً، ولأجل ذلك كان حاكم مديرية بومبائي راجع إلى مجلس الصحافة ضده، وتوجد القوانين في قانون الجزاء الهندي للحد من الأقوال والخطب والكتابات المثيرة للتنافر

الطائفي والمؤاخذة بها، فلا تزال تعلن وكالات الأنباء ومجلس الصحافة ومنظمات الجرائد والصحف والمجلات عن أنه لا حاجة لفرض القيود على الجرائد إلى وضع قانون جديد أو منح مجلس الصحافة السلطات الجزائية، وقد اعترفت بذلك الحكومة المركزية والحكومة الإقليمية كذلك، ولكنهما لم تتخذا أي إجراء تحت القانون المتداول ضد بال تهاكري على خطبه وكتاباته التي تثير التنافر الطائفي، وأما الآن فلا يمكن اتخاذ أي إجراء على أساس تقارير مجلس الصحافة، لأن بال تهاكري يحظى في الحكومة الإقليمية بمنزلة هي أعلى من منزلة كبير وزرائها.

وكان شيوسينا وحزب بي.جي.بي. قد نجحا في الانتخابات الإقليمية الماضية لأجل انقسام الأصوات العلمانية إلى حزب وآخر وعدة أحزاب، فاعتماداً على ذلك واستكباراً به لا يزال رئيس شيوسينا يهذي بعد تولي حزبه الحكم كما كان يهذي قبل ذلك أيضاً، ولا تزال الحكومة الإقليمية رهن إشارته، فيقام بتخويف المسلمين المحليين حيناً على أساس أن عدداً كبيراً من البنجلاديشيين والباكستانيين اقتحموا مهاراسترا ودخلوها ثم سكنوها بصورة غير مشروعة، ويعين "شيوسينك" أيضاً على مهمة البحث عن "الأجانب" مع الشرطة، وتطل لجنة شؤون الأقليات ذلك باسم المساواة حيناً آخر.

وكانت هذه المنظمة جاءت إلى حيز الوجود أولاً في ١٩٦٦م على أساس تحديد المناطق وحبها، وكان شعارها الأول "مهاراسترا للمرهتة"، وبدأت عملها إنطلاقاً من العمال وكان هذا الميدان قبل ذلك تحت سيطرة الشيوعيين، وقامت الأحزاب الأخرى أيضاً بتعزيز منظمة شيوسينا لإبعاد الشيوعيين عن مجالس العمال، وكان عرضة "شيوسينا" في ذلك الوقت

هم الغجراتيون والتامليون ثم بدأت هذه المنظمة تثير الطائفية مع إثارة عواطف تحديد المناطق وحبها، وصارت الطائفية أمراً مشتركاً بينها وبين حزب بي. جي. بي. وكان الحزبان يقفان موقفاً واحداً من قضية المسجد والمعبد في أيودها بالإضافة إلى الانتخابات، ويؤيد كل واحد منهما الآخر، فزعماء شيوسينا حاولوا رد الفضل في هدم المسجد البابري إلى حزبهم، وإن كانت هذه الحركة بدأها حزب بي. جي. بي. والجماعات الفرعية له كالمنظمة الهندوسية العالمية وبجرتك دل العسكرية.

استراتيجية التحفظ، وكان الاضطراب الطائفي الذي كان مجلس الصحافة أدان بخصوص ذلك في الأيام الماضية تصريح بالتهكري المذكور ونشره في الصحف والجرائد إنما كان ذلك صدى لمأساة أيودها الواقعة في ٦ ديسمبر ١٩٩٢م، وكانت حكومة مهاراسترا عينت لبحث هذا الاضطراب والكشف عنه في ٢٥ من يناير ١٩٩٣م لجنة التحقيق لعضو واحد وهو قاضي محكمة الاستئناف والشغب وافتخر به، وما كان عرض أمام لجنة التحقيق من شهادات وبيانات، أدى كل ذلك إلى هذا الاحتمال المحكم القوي أن تقرير اللجنة سوف يكون ضد شيوسينا وحليفها بي. جي. بي. وإنطلاقاً من مبدأ التحفظ والتدبير قد قامت حكومة شيوسينا وبهاجبا بتغيير منهاج عمل لجنة التحقيق، فإنهما الآن في الحكومة، وربطت حكومتها الاضطرابات التي كانت تبحث عن ذلك لجنة التحقيق لسرى كرشنا بانفجار القنابل الواقع في بومباي في ١٢ مارس ١٩٩٣م، وكانت وجهة نظر شيوسينا وموقفها قبل تولي الحكم أن المسلمين هم الذين بدعوا في المرحلة الأولى للاضطرابات التي وقعت في ٦ ديسمبر ١٩٩٢م، ثم قام الهندوس بكيل صاع بصاع في المرحلة

الثانية، وأكدت على أن مساهمتها في الاضطرابات والفتن كانت لغرض صيانة الهدوس، وأما تعيين لجنة التحقيق لسرى كرشنا فكان غرضه في رأيها هو الظلم على الهدوس وازعاجهم، واعتبرت شيوسينا انفجارات يونيو ١٩٩٣م رداً على رد من قبل المسلمين المحليين، وكان ذلك بتأييد وحماية عملاء باكستان وبعض المهريين كما تزعم هي، وعلى أساس موقفها ووجهة نظرها هذه قد أضافت حكومة شيوسينا وبهاجبا إلى منهاج عمل لجنة التحقيق لسرى كرشنا البحث عما كانت الاضطرابات والانفجارات جزأين لخطة واحدة؟

وكان غرض الحكومة الجديدة من ذلك فيما يبدو أنه إذا كانت الطائفية الهندوسية تتهم بإثارة الاضطرابات الطائفية في جانب، ففي جانب آخر يتهم المسلمون أيضاً بهذه الجريمة ويتجه إليهم الاتهام بذلك، وقد اعتبر القاضي سرى كرشنا عملية الحكومة هذه عرقلة وتدخلا غير مشروع في أعمال اللجنة، وكانت الحكومة أعلنت عن هذه العملية والإجراء في ٢٤ مايو ١٩٩٥م حينما كان عمل اللجنة على وشك الاتمام والانتهاء، وكان هناك حدث جو من الجمود والتعطل بإعلان الحكومة هذا في عملية البحث والتحقيق واستمر الوضع كذلك إلى أن وعد المحامي العام للجنة بالتعاون معها.

وقد بدأت اللجنة عملية تسجيل الشهادات وكتابتها من جديد، ولكن العقدة لم تتحل إلى الآن تماماً، وذلك لأن اللجنة لم توافق الحكومة على وجهة نظرها موافقة كاملة، وبالإضافة إلى تأجيل جلسات المحاكمة مرة بعد أخرى نشأت هناك نقاط قانونية بسبب عملية الحكومة، فمثلاً إن اللجنة التي كانت قد تم تعيينها في ٢٥ يناير ١٩٩٣م، كيف يمكن إضافة

الأحداث التي حدثت بعد هذا التاريخ يعني في مارس ١٩٩٣م، إلى منهاج عملها، فيحتمل أن تنشأ المحاكمات الجديدة على هذه النقاط، ونتيجة لذلك يمكن المزيد من التأخير في تقديم اللجنة تقريرها، واتخاذ الإجراءات من الحكومة نحوه وإصدارها الأمر والحكم عليه.

تقريران مضادان عن اضطرابات بهاغلفور:

وهذا هو الأمر بخصوص الاضطرابات التي كانت وقعت في بهاغلفور (بيهار) في أكتوبر ١٩٨٩م، وإجراء البحث عنها، وكان على لجنة التحقيق المكونة من ثلاثة قضاة متعاقدين أن تنتهي عملها في مدة ستة شهور، ولكنها استغرقت ستة أعوام في إعداد التقرير المشتمل على ٣٢٥ صفحة، وعلى كل، فقد قدم تقريران إلى الحكومة في مارس الماضي مكان تقرير واحد، كان واحد منهما قدمه رئيس لجنة التحقيق القاضي رام نندن برشاد، والثاني قدمه القاضي رام جندرا برشاد سنها والقاضي السيد شمس الحسين، وما زالت اللجنة عرضة للخلافات والنزاعات منذ بداية أمرها، وأصبحت شخصية رئيس اللجنة نفسه متنازعا فيها، لأن بنته انتخبت لعضوية المجلس الشعبي على تذكرة بهاجبا، وقد قام الرئيس بتبرئة بهاجبا وأر. ايس. ايس. الهندوسية من الاتهام بإثارة الشغب والفتنة، وقال في حق ضباط الشرطة والسلطات الحكومية، إنه لا توجد ضدهم شهادة وبينه يمكن اتخاذ الإجراءات ضدهم على أساسها، وأما العضوان الأخران في اللجنة فإنهما وجها الاتهامات إلى الشرطة والسلطات العليا وأجهزة القمة من الإدارة بالإشارة إلى أسمائهم وتعيينها، كاتهامات الانحياز الغير المشروع إلى فرقة، واتخاذ موقف الإهمال والتغافل، ومساهمة رجال الشرطة في القتل والنهب، والتغافل عن الجرائم وغض الطرف عنها.

وقد وجه رئيس اللجنة إلى كبير وزراء المؤتمر الوطني الأسبق بهكوت جها آزاد هذا الاتهام بأنه كان رسم خطة إثارة الشعب لكسب أصوات المسلمين، ولكن الخسارة وقعت وصبت على المسلمين أكثر من غيرهم، وأما في تقرير الأغلبية من لجنة التحقيق فإن تفاصيل هذه الخسارة مندرجة فيه مع ذكر أسماء المجرمين والمضطهدين وذكر عناوينهم.

التشبيه بحرب كلنكا: وقيل في بعض التصريحات أن نار الاضطرابات الطائفية اندلعت في ٢٤ أكتوبر ١٩٨٩م، حينما امطرت مسيرة "رام شيلا بوجن" بالأحجار من مدرسة من المدارس، ولكن لا يقال هذا الأمر بالقطع والجزم - كما تزعم اللجنة - إن القنابل كانت رميت من المدرسة أو كان قذف المسلمون القنابل، لأن الإدارة المحلية من الشرطة لم تقم بإعداد فهرس للجرحى بالقنابل، وجاء في ذلك التقرير أيضاً ذكر إلقاء الجثث في الآبار ودفنها في المزارع والحقول، وزرع القنبيط عليها، وشبهت مجزرة بهاغفور بحرب كلنكا التي كانت جعلت الملك أشوك يستكره الحرب ويقلد بوذا، كما شبهت بعض إجراءات الشرطة بحملة النازيين من ألمانيا.

وقد ذكر التقرير بالإشارة إلى الشهود الهندوس أن رجال منظمة آر. آيس. آيس. الهندوسية والمنظمة الهندوسية العالمية ويجرنك دل العسكرية كانوا يسيرون في الركب ومعهم السيوف والعصي والرماح والمعاول، وهم يرددون شعارات مهيجة ومثيرة وعدوانية، كما ألقى تقرير لجنة التحقيق الضوء على ترويج الشائعات والإشاعات بدون أساس، والتغافل عن منعها بدون تأخير، واشتداد الفتنة نتيجة لذلك، واعتبار المضطهدين ظلمة.

وقد اعترفت حكومة بيهار بتقرير الأغلبية ووافقت عليه، وقالت إنها سوف تقدم التقارير المتعلقة بالاضطرابات الطائفية الواقعة في جمشيد فور وبيهار شريف وسيتا مرهي أيضاً في اجتماع المجلس التشريعي القادم للولاية، وجاءت الإشارة إلى المجرمين - مثل تقرير اضطرابات بهاغفور - في التقرير الذي أعدته لجنة التحقيق عن عمليات الشرطة في هاشم فور و مليناه من أعمال ميرت من ولاية أترابرايش، ولكن بعد تغيير الحكومة الإقليمية للولاية الشمالية توقف الحكم على هذا التقرير وأجل، وقبل ذلك أيضاً قد قامت لجنة التحقيق الرسمية والإدارات غير الرسمية بتقديم تقاريرها عن الاضطرابات الطائفية الواقعة في بهيوندي وأحمد آباد، يمكن عد البعض منها في "الأدب الكلاسيكي الرائع" بشأن الطائفية والاضطرابات الطبقية، ولكنه من سوء الحظ قد أودع هذا الأدب الكلاسيكي أيضاً في الخزانات مثل بعض اللغات الكلاسيكية، ولأجل ذلك لا تزال الطائفية تتوسع وتنتشر في ميدان السياسة، وتزدهر الطوائف المشاغبة، ويمكن العثور على مؤامرات المشاغبين وتدابير منعها والحد منها عن طريق دراسة تقارير شرح الاضطرابات الطائفية وتحليلها.

البروفيسور محمد يونس النجرامي

رئيس جمعية المثقفين المسلمين بالهند

منظمات هندوكية متعصبة:

في هذا الزمن الذي اتسعت فيه الثقافة وتقوت أواصرها بين الشعوب، وبخاصة الشعوب الراقية إدارياً مثل أوروبا وأمريكا وهي الشعوب التي نمت فيها المحافظة على حقوق الإنسان وحرية الأديان وفي أنحاء كثيرة من العالم، وأخذ المثقفون يبحثون في الحضارة الإنسانية، وعلاقات الأقليات بالأكثرية نجد الهند بخلاف ذلك إذ نمت فيها في العصور الحديثة سياسة التعصب وظلم الأقليات، بل والاعتداء على مقدساتها كما حدث للمسجد البابري في أوهيا الذي هدمه الهنادكة من أجل أن يقيموا بدلاً منه معبداً لكبير آلهتهم (رام) الذي نكروا أنه ولد فيه.

ومع العجب كل العجب من إله يولد وعلى ذلك يوجد من يعبده ويقده، بل ويواظب على ذكر إلهيته فإن الأمر إذا تعدى إلى حقوق الآخرين من الأقليات المسلمة يصبح أكثر شناعة وأشد ظلماً. وهذا حديث عن بعض المنظمات الهندوكية المتعصبة.

وشوهند وبريشد وأهدافها:

قبل أن نلقي أضواء كاشفة على أهداف منظمة "وشوهند وبريشد" وغاياتها وأساليبها المخربة، علينا التعرف على خلفيات هذه المنظمة الهندوسية المتطرفة.

كل من له إلمام بتاريخ المنظمات الهندوسية المتطرفة بعد دخول الاستعمار الإنجليزي في الهند، يعرف جيداً أن زعماء الهندوس المتطرفين قاموا بتأسيس منظمة هندوسية متطرفة بإيعاز الإنجليز لإثارة الفئنة الطائفية في المجتمع الهندي، تسمى هذه المنظمة بـ"شدهي

سنكهتن" التي أثارَت اضطرابات على نطاق واسع، مستغلة تمزق المسلمين الهنود سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً، فوَقعت بعض حالات الارتداد في هذه البلاد تحت ظروف اقتصادية وبسبب جهل المسلمين بالصحيح، وخوضهم في البدع والخرافات، فثارَت حمية المسلمين الدينية التي تمخضت عن تأسيس المدارس الدينية والحركات الإصلاحية والجمعيات الدعوية لتبليغ الدين ونشر الإسلام الصحيح بين المسلمين، ولم تمض مدة طويلة حتى نجح المسلمون في إبطال جهود الهندوس التضليلية وادعاءاتهم الكاذبة، ولكن قامت بعد ذلك منظمات هندوكية متطرفة أمثال منظمة "مهاسبها" و C.S.S لإثارة القلاقل السياسية والدينية، وهذه المنظمات هي التي قامت فعلاً بالضغط على زعماء الهنود السياسيين لتقسيم الهند، فقضى أحدهم على حياة الزعيم الهندي غاندي، وبعد ذلك حظرت الحكومة الهندية نشاطات هذه المنظمات، إلا أن محاولات الزعماء الهندوس بدأت تأخذ أساليب أخرى للضغط على المسلمين، حتى غيرت الحكومة الهندية موقفها العلماني نحو المسلمين في مناهج التعليم والتربية وفي تنظيم شؤون البلاد تدبير نظمها، وأخذت تجبر المسلمين للاشتراك والتعاون معها في اتخاذ الحضارة الهندوسية، ومعتقداتها الوثنية منهجاً للحياة والسلوك، إلا أن هذه المحاولات فشلت إلى حد ما بفضل تيقظ العلماء المسلمين وبذل جهودهم لإقامة المدارس الإسلامية الخاصة على مستوى المدارس الرسمية حتى لا يبقى جيل المسلم الجديد جاهلاً في مقتضيات العصر الحاضر.

ومن هنا نجد محاولات الهندوس المدمرة تبذل في الناحية الاقتصادية، حيث قامت منظمة R.S.S. المتطرفة تحت سمع الحكومة

وبصرها بتجميع الشباب الهندوس على تدمير المسلمين اقتصادياً وتذويبهم حضارياً، كما قامت الصحف الهندية الصادرة عن المنظمات الهندوسية بتغذية الشباب بل بتسميم عواطفهم ومشاعرهم نحو المسلمين، فلا تزال الاضطرابات تقع حيناً بعد حين وتشارك الحكومة بشرطتها العسكرية لقمع المسلمين، إلا أن الله عز وجل عزز وجود المسلمين في هذه البقعة بإسلام المنبوذين في منطقة جنوب الهند، فقامت الدنيا وقعدت في أوساط الهندوس حكومة وشعباً، فتحركت الحكومة على مستوى الولاية والمركز وأجرت تحقيقات واسعة النطاق ولكنها فشلت في إيجاد أي رابطة أو خيط ضعيف بين إسلام المنبوذين وتمويل العرب المسلمين، فلم تلم إلا نفسها ومعتقدات الهندوس غير الإنسانية.

فلما أحست الحكومة والمنظمات المتطرفة أن الأرض انسحبت من تحتها انفتحت كلتاها على تأسيس منظمة "شوهندوبريشد" وقد أعلن عن تأسيس هذه المنظمة على أثر اللقاء الطويل الذي تم بين رئيسة الوزراء المسز انديرا غاندي وبعض الزعماء الهندوس الذين كان يتزعمهم مهاراجا بهرت سنغ من راجستان وسهارة كرن سنغ من كشمير.

يرأس هذه المنظمة مهاراجه بهرت سنغ، ونائبه سهاراجه كرن سنغ، فلما أعلنت عن تأسيس منظمة "شوهند وبريشد"، أعلن رئيسها عن سبب تأسيس هذه المنظمة وألقى بعض الضوء حولها، فقال:

- إن المنظمة تخشى على الحضارة الهندوسية العريقة ومعتقداتها القديمة، وهذا الخطر يأتي من قبل المسلمين الذين يعيشون في هذه البلاد ولم يتخذوا المعتقدات الهندوسية كمنهج للحياة.

- تخاف المنظمة أن الهندوس يقل عددهم بسبب اختيارهم وسائل تحديد النسل، ويزداد عدد المسلمين بسبب تعدد زوجاتهم وإنجابهم بكثرة فتتحول الهند مرة أخرى إلى بلد إسلامي.
- الحكومة الهندية تبذل جهودها لاسترضاء المسلمين للحصول على الأصوات، وتمنح لهم تسهيلات لإقامة المدارس والجامعات الإسلامية وبناء المساجد، وهذه أيضاً خطر على الهند.
- الحكومة والمسلمون كلاهما ينتهكان حرمان الهندوس في ذبح البقرات، فماذا يجب على المنظمة أن تعمل؟
- عليها أن تغير الدستور الهندي من العلمانية إلى الدولة الهندوسية وبناءها حسب المعتقدات الهندوسية.
- أن تحاول تذويب الفوارق بين الهندوس والمسلمين تماماً ديناً وحضارة وفكراً وسلوكاً.
- أن تستعيد الأماكن المقدسة التي حولها المسلمون في عهد حكوماتهم بالقوة إلى المساجد (وذلك كذب تاريخي من الهندوس) ومن هذه المساجد "مسجد بابري" في مدينة أجودهيا، ومسجد "يان بافي" في بنارس (الولاية الشمالية).
- أن تعيد المسلمين الهندود إلى صفوفها، لأنهم كانوا أصلاً هندوساً فتحولوا تحت ضغط الحكومة الإسلامية إلى المسلمين (هذا أيضاً كذب تاريخي).
- المسلمون يعيشون في الهند يتمتعون بتسهيلات في مجالات الحياة

المختلفة ولكن مشاعرهم وعواطفهم تتجه إلى باكستان والعالم العربي الإسلامي، فتحاول المنظمة وتضغط على المسلمين أن ينضموا إلى المجتمع الهندي ديناً وعقيدة وحضارة ويعيشوا هنا تحت رحمة الهندوس وإلا عليهم أن يهاجروا إلى باكستان أو إلى بلاد العرب.

- أن تحاول المنظمة الضغط على البلاد الإسلامية بمنح تسهيلات للهندوس في إقامة المعابد الخاصة لهم ولا تمنعهم من دخول الحرمين الشريفين، لأن الحكومة الهندية تعطي تسهيلات للمسلمين بلا حدود.

وعلى المنظمة لتحقيق هذه الأهداف أن تتخذ أساليب ووسائل مؤثرة، منها:

- أن تجمع التبرعات على نطاق واسع.

- عقد الندوات والحفلات في أوساط الجماهير والمتقنين لبث الوعي الديني فيهم.

- تنظيم مظاهرات شعبية وتسييرها على الشوارع، للضغط على الحكومة وبث الرعب في المسلمين حتى ينضموا إلى صفوف الأغلبية.

- تنظيم رحلات جماهيرية إلى زيارة الأماكن المقدسة في أنحاء الهند.

- الضغط على الحكومة (عن طريق الأصوات) لتسليم مساجد المسلمين إلى الهندوس، وإذا لم تستجب الحكومة إلى تلك المطالب فإن المنظمة تختار أساليب غير سلمية، وتحرر أماكنها المقدسة بالقوة.

هل حققت المنظمة "شوهند وبريشد" أهدافها؟

نعم، أنشئت فروع المنظمة لا في أنحاء الهند فحسب، بل في الولايات المتحدة وأوروبا أيضاً.

- جمعت التبرعات على نطاق واسع (تقريباً مائتين وخمسين مليون روبية هندية في الهند ومائة مليون دولار في الولايات المتحدة الأمريكية) كما يقول التقرير الذي قدم إلى المؤتمر الذي عقد في شهر أكتوبر الماضي في ولاية فلوريدا.

- مالت الأحزاب السياسية المختلفة إلى هذه المنظمة كما يشترك في مؤتمراتها وحفلاتها الجماهيرية المسؤولون الحكوميون.

- نظمت مظاهرات شعبية لإظهار عضلاتها في سائر أنحاء البلاد وسارت المسيرات من أماكن مختلفة ومرت بالقرى والمدن حيث أقيمت لها أقواس النصر ومآدب الحفاوة، كما أقيمت المؤتمرات وأقيمت الخطب النارية لإشعال الحماس ضد المسلمين، ومرت على المسلمين في خلال هذه المظاهرات والمسيرات موجات من الخوف لأن هذه المظاهرات كان يمكن أن تتحول إلى مذابح لأنفة سبب، ولكن الله سلم.

وقد وقعت حوادث محلية في مدن مختلفة وتقع هزات مختلفة تذهب فيها ضحايا من المسلمين في أرواحهم وممتلكاتهم ولكن العزم في المسلمين قوي على مواجهة هذه الظروف ببسالة وحكمة وصبر، ولا مناص من الحكمة والتدبير والعمل، فإن في ذلك مفتاح الفرج.

أما المسلمون في مختلف ديار الإسلام فعليهم أن يعاونوا بالدعاء وبالطرق الأدبية وبوسائل أخرى يسعهم أن يعرفوها حسب الظروف والأحوال، ومنها إقامة المدارس والكتاتيب الإسلامية في القرى والأرياف ومد يد العون إلى المعاهد والمدارس الدينية التي تهتم بشئون تعليم المسلمين وتربيتهم وتحاول إبقاء كيان المسلمين كأمة إسلامية واعية ذات هدف نبيل.

منظمة بجرنك دل الهندوسية العسكرية تاريخها مبادئها وأهدافها:

تاريخها:

جميع المنظمات والجمعيات في العالم سواء كانت سياسية أو ثقافية تقوم بإنشاء فرعها الخاص بالشباب فيشكل الشباب في الحقيقة القوة الحقيقية لجميع المنظمات والجمعيات فبناءً على هذا المنطق قامت المنظمة الهندوكية العالمية (V.H.P.) بإنشاء منظمة بجرنك دل للشباب من الهندوس.

يقع مركز هذه المنظمة في مدينة دهلي قريباً من المعبد الهندوكي المعروف بديوي مندر، والمستر بيكنته لال شرما والمستر برديب كمار من المسؤولين البارزين للمنظمة، وبيكنته لال شرما كان يشغل في وظيفة حكومية منذ ٣٧ عاماً ولكنه استقال من وظيفته وكرس حياته لإقامة دولة هندوسية في الهند.

ويقول شرما بأننا قمنا بإنشاء منظمة بجرنك دل لكي نعيد في أذهان وقلوب الشباب من الهندوس صلاحية وأهمية الديانة الهندوسية ويستعجب هو قائلاً إذا كان شبابنا يتلقون التدريبات العسكرية الصباحية فلماذا هذا الاستياء من الجهات المعنية أي المسلمين ويعتقد المستر شرما بأن الدولة الهندوسية هي في الحقيقة دولة علمانية، ويبدو جلياً وواضحاً من نشاطات هذه المنطقة بأنها تستهدف الإسلام والمسلمين، وتحاول إنشاء الكراهية في قلوب الهندوس ضد المسلمين وإنشاء الجنون الديني في الهندوس.

قامت المنظمة الهندوكية العالمية (V.H.P.) بإنشاء منظمة بجرنك دل نظراً إلى قضية رام جنم بهومي/ المسجد البابري، والاضطرابات الطائفية التي وقعت بين الهندوس والمسلمين في مختلف ولايات الهند

كانت نتيجة لنشاطات بعض المنظمات المتطرفة والإرهابية والمعادية للمسلمين التي استغلت هذه الأوضاع المعقدة لصالحها السياسي، وفي هذا المضمار السياسي والديني قامت منظمة بجرنك دل بتنظيم المسيرات الهندوكية والاجتماعات الدينية الهندوسية لتوعية الهندوس نحو أهدافها، وكذلك تقوم المنظمة بعرض التاريخ الهندي المزور أمام الهندوس لإنشاء الكراهية ضد المسلمين وحكمهم الإسلامي.

معتقداتها ومبادئها:

قد أصدرت المنظمة كتاباً بعنوان "الحاجة إلى الدولة الهندوسية لماذا؟" وفيه ذكر وتوضيح لأهداف المنظمة، ونوشد فيه بأن معتققي الديانات الأخرى قد استولوا على مولد رام، فيجب على الهندوس أن يقوموا بتوحيد صفوفهم للحفاظ على دينهم الهندوسي، فبناءً على هذه المناشدة اجتمع حولها الشبان الهندوس.

وقد جاء في كتاب لماذا الدولة الهندوسية؟ بعض الآراء التي تحمل المنظمة والتي تلقى الأضواء على فلسفتها ومعتقداتها، والآراء هي كالاتي:

- ١- إن انقسام الهند في سنة ١٩٤٧م لم يكن تقسيم شبه القارة الهندية بين الهند وباكستان فقط بل كان تقسيماً بين الهندوس والمسلمين.
- ٢- باكستان أعلنت دولة إسلامية ولكن الهند وزعمائها من أمثال غاندي ونهرو اتخذوا العلمانية طريقاً للهند، ومما لا شك فيه أن هذا القرار هو الذي بذر بذور الفساد والشر في الهند.
- ٣- بعد إنشاء دولة باكستان المسلمة كان من اللازم بأن تكون الهند دولة هندوسية.

٤- المسلمون في الهند دائماً ينظرون إلى الدول الإسلامية والعربية وإلى باكستان.

٥- ولو كانت الهند أعلنت في سنة ١٩٤٧م أنها دولة هندوسية لما كان من الممكن للمسلمين أن يرفعوا رؤوسهم ولأدركوا تماماً بأن الهند بلد هندوس فقط، فإذا قاموا بإثارة الفوضى واجهوا التصدي من الهندوس ومن الدولة الهندوسية فكان مفروضاً عليهم أن يعيشوا في هدوء أو يهاجروا إلى باكستان.

٦- ولو كانت الهند دولة هندوسية كان من المتوقع أن لا يقع الاضطرابات الطائفية لأن المسلمين عادة يحاولون الهجوم على المعابد الهندوكية والمراكز الثقافية والحضارية للديانة الهندوسية، وهم بدورهم يعتقدون بأنهم عن طريق ذلك سوف يقومون بمحو الدين الهندوكي والمجتمع الهندوسي، والمسجد البابري على مولد رام، والمسجد في مدينة مترها على مولد كرشن خير شاهد على ذلك، ولصالح البلد يجب فرض الضغوط على نفسية المسلمين والضغط على الاتجاه الهجومي للإسلام ولا يمكن ذلك إلا بأن تكون الهند بلداً هندوسياً.

منجزاتها:

وفي السنوات الماضية امتد أثر المنظمة إلى سائر أنحاء الهند وخاصة في المناطق القروية النائية ولعبت هي دوراً رئيسياً في الاضطرابات الطائفية ضد المسلمين.

وللمنظمة نشاطات مكثفة في ولاية اترابراديش حيث يقع المسجد

البابري أكبر من أية ولايات هندية أخرى، والمسترونى كيسار يرأس المنظمة فى اترابراڊيش، وهو رجل معروف فى عدائه وكرهائه إزاء المسلمين، ومستمر فى محاولاته بأن يتم تسليم المسجد البابري إلى الهندوس، وله دور بارز فى الاشتباكات الدموية التى وقعت سنة ١٩٦٠م، التى راحت ضحيتها ألوف من المسلمين ودائماً يقوم بإصدار البيانات الصحفية شديدة اللهجة ضد المسلمين والدين الإسلامى وفى تأييد إقامة دولة هندوسية، وبالتالى برز كرجل سياسى قوى فى المجتمع الهندوسى المتطرف.

الوضع السياسي للمسلمين

مأساة السياسة المسلمة في الهند:

كتب البروفيسور الدكتور محمد يونس النجرامي فيما أسماه "مأساة السياسة المسلمة في الهند" فقال:

لقد ندر ما يسمى بـ"السياسة المسلمة" في بلاد الهند، وتتطلب قضية ندر "السياسة المسلمة" البحث والنقاش سواء أكانت هذه الندر حسنة أم سئية، ولكن الواقع هو أنه لم تبقى هناك أية منظمة إسلامية لعموم الهند للمسلمين الهنود، بيد أن "الرابطة الإسلامية" و"الرابطة الوطنية" مازالتا موجودتين، ولكن ينحصر أثرهما ونفوذهما في المناطق المحلية، وكذلك شأن "مجلس المحامين" وحال "جمعية اتحاد المسلمين" ومما يثير العجب والاستغراب أن حال "مجلس المشاورة" المجلس الاستشاري لا يختلف عن ذلك بتاتا.

لا يزال المسلمون يقومون بالتصويت وإدلاء الأصوات، وهم ليسوا قانطين من مستقبلهم بصورة كاملة ولا مهومين بصورة غير عادية، ويفكرون في مسائلهم ومشاكلهم.

ولكن انتهى تقليد اتباع حزب سياسي واحد، وتدخل في ذلك تلك الاحزاب التي ظل المسلمون يقلدونها تقليداً أعمى إلى يومنا هذا.

إذا تأملنا هذا الأمر وجدناه حسناً وقبيحاً في وقت واحد، أما حسنه فباعتبار أنه قد انحسر ظل الطائفية عن سياسة المسلمين إلى حد، بيد أن المنظمات الطائفية الأخرى تسعى جاهدة أن تعود بهم إلى ما كانوا عليه من قبل، وأما قبحه فباعتبار أنه لم تعد لها وجهة نظر خاصة رئيسية.

والحق أن قضايا المسلمين في الهند صريحة وواضحة، وهي المحافظة على النفوس والأرواح والأموال، والحفاظ على اللغة والمدنية

والاحتفاظ بالحقوق القانونية الشرعية، وتلحق زيادات إلى هذه القائمة في اللغات المختلفة بالأساليب المتنوعة، أحياناً تتضمن هذه القائمة قضية الاحتفاظ بقانون الأحوال الشخصية للمسلمين، وأحياناً أخرى تدخل فيها المطالبة بتخصيص حصص المسلمين في الوظائف والخدمات، لكن كلمة كافة المسلمين في الهند ليست مجتمعة، ولا آراءهم متحدة حول جميع هذه القضايا، وهناك مجال واسع للاختلاف المتبادل على كل حال.

غير أن المطالبة بالمحافظة على الأرواح والأموال والحقوق الشرعية من المطالب التي تتمتع بحماية مواطني هذه البلاد العلمانيين بصورة كاملة إلى جانب اتفاق آراء عامة المسلمين عليها.

ولقد تظاهر المسلمون في الهند بصبر غير عادي بصدد قضية المسجد الياصري ومولد رام، وفوضوا أمرهم إلى النظام القضائي للبلاد والأغلبية المحبة للعدل والقسط، ولكن لم يتمكن النظام القضائي ولا حكومة البلاد من صيانة المسجد الياصري من الانهدام.

ومن العجب العجاب أن المسلمين لم يستشيطوا غضباً غير أنه انكشف اللثام والقناع عن مختلف الأفراد والأحزاب ممن كانوا يتلاعبون بالسياسة المسلمة ويعبثون بها، وكسدت تجارة سياستهم وقيادتهم حتى متى يظل هذا الوضع سائداً؟ فمن الصعب العسير الحديث عن ذلك.

ولكن السؤال المهم هو ما هي المواقف السياسية للمسلمين الهنود بعد حادث اجودهايا؟ فيمكن الإشارة إلى أمور عديدة بصورة مجملة.

ومن الظاهر الباهر أن زوال نزعة الانفصالية في السياسة المسلمة أمر يبلغ الغاية في الأهمية، ولم تبق من المنظمات الإسلامية أو الأحزاب السياسية المسلمة ما تدعى تمثيل المسلمين، زد إلى ذلك حقيقة أخرى

وهي أن المسلمين الهنود لم يتسلموا للغزو السياسي، بل رسموا خطة- بصورة مجملّة- لحماية القوى العلمانية حماية فعالة صامتة وسريّة- فيما يغلب الظن- حتى لا تبقى مخدولة في تيار الطائفية الجارف، وليس من الضروري قطعاً أن يقوم الحزب المساند لهم بتتصيب المرشح المسلم، بل روعي إلى حد غير ضروري أن يكون الحزب علمانياً بقطع النظر عن المرشح أيّاً كانت ديانته.

وقد وقع فعلاً أن الأحزاب الطائفية انهزمت بفضل المقاطعة الكاملة من قبل الناخبين المسلمين، وإن لم يكن هنا أحد من المسلمين من بين من تمّ انتخابهم من المرشحين (كما حدث في ولاية مدهيا براديش) وكانت جلة عناية المسلمين مركزة على هزم الأحزاب الطائفية آنذاك، وقد نجحوا في ذلك إلى حدّ أن حزب الشعب الهندوسي (B.J.P.) لم يتمكن من تشكيل حكومته إلا في ولايتي راجستان ودهلي.

ولكن السؤال أكثر تعقيداً من هذا، ففي جانب انهزم حزب "جانتادل" انهزاماً غير مرتقب وغير مظنون فيه، وقد جاء بالفعل والانكسار بصورة مستمرة في ولاية اترابراديش ووردت الأنباء من ولاية بيهار أن حزب "جانتادل" قد خسر مقعداً من أهم المقاعد، وفي جانب آخر نرى أنه لم تتصب الأحزاب السياسية المختلفة المرشحين المسلمين أو المرشحين المدعين لمعاملة المسلمين معاملة العدل والقسط أو أنه لم يتمّ انتخابهم، وذلك ما أدى إلى أن نتائج الانتخابات التي برزت وظهرت هي مثيرة لليأس والقنوط وباعثة على الأمل والرجاء في وقت واحد.

يبدو هذا الأمر غير معقول وبعيداً عن المنطق السليم ولكنه واقع وحق أن العواقب المتضادة تبرز في ضوء هذه النتائج، ويلزم الإطلاع

على هذه النتائج والحذر منها، وأما كون النتائج مؤلّمة فنظراً إلى ضآلة تمثيل المسلمين الهنود فيها وذلك ما يدل دلالة قاطعة على أن أذهان المسلمين لم تُلبّ بعد دعوة العلمانية التي تواجهها البلاد ولا تلزمنا الإجابة عن هذا السؤال كمسلمين مثلما يلزمنا الجواب عنه بصفة كوننا مواطنين مسئولين للبلاد، وإن كان انتصار المنتصرين في أغلب الأحوال مدين لأصوات المسلمين المتحدة أو المتفقة إلى حدّ، ولكن عدد المسلمين يساوي العدم بين المرشحين المنتصرين الفائزين.

على أن هذه النتائج باعثة على الأمل والرجاء باعتبار أن الأحزاب الطائفية باعت بالفشل والإخفاق وتكونت جبهة موحدة إلى حد قليل لمعارضة الأحزاب الطائفية، وإن لم يكن أساسها على الخطة السياسية، ولكن كان على معارضة الطائفية على الأقل.

وكان - لا يزال - في هذه الجبهة الموحدة نصيب ملحوظ وإسهام ملموس للمسلمين الهنود، ورغم هذه الإشادة والتأييد بالمسلمين هناك سؤال مهم يسترعى انتباهنا وهو "إلى أي مدى مساهمة المسلمين في الأحزاب العلمانية؟ وهناك طرق متعددة وأساليب متنوعة للمساهمة والمشاركة، منها الازدحام في مخيم الحزب الذي أحرز قليل الانتصار أو كثيره، كل يريد أن يبايع على يديه، ويصر على اعتبار نفسه زعيماً لهذا الحزب، ومنها الجدارة والأهلية لبرامج ومناهج عملية لذلك الحزب، ومنها إدخال أسماء المسلمين ممن لا يجاوز عددهم واحداً أو اثنين في قائمة الزعماء المرموقين لذلك الحزب، وينبغي أن يكون المسلمون ممن يعتمد على فطانتهم وفراستهم.

إن الاعتقاد في أن صفوف المسلمين قد خلت من الرجال الأكفاء خلواً بحيث أنهم يغلبون على أمرهم أينما رحلوا وحيثما ذهبوا، أمر لا

يكاد يصدق القلب، ولا تقع عليه العين مدى النظر.

إن ما ينقص الأحزاب البعيدة عن الطائفية كل البعد هو فقدان وغياب الزعماء المسلمين، ومن المعلوم أن الزعماء ليسوا بحاجة إلى الشهادات ولا بالبصيرة النافذة غير العادية، إذن فما هو ذلك النقص الذي يحول دون تزعم المسلمين للأحزاب العلمانية؟

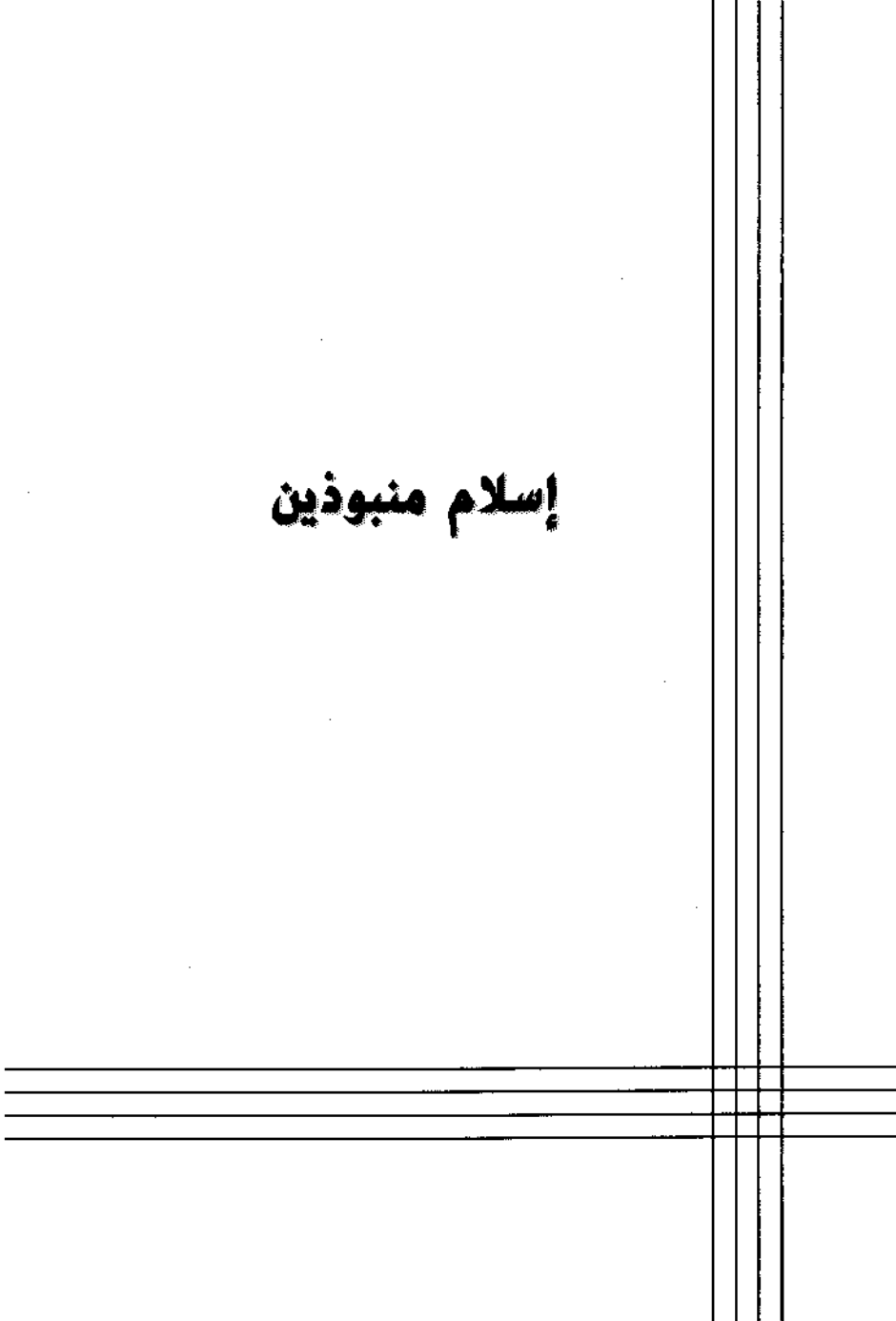
إن مستواهم مستوى المقلدين والأتباع إلى حد كبير، والزعماء المسلمون الذين انفصلوا عن المؤسسات المركزية والجهاز الإداري الأعلى، أو التجأوا إلى ملجأ فإن كلمتهم غير مسموعة وصوتهم ضعيف خال من الروح رغم أنهم يمثلون دور الطليعة في حرب الحفاظ على الهند العلمانية.

ولكن بقى الشيء الكثير من "الدجل والمكر" ومن اللازم التذكير والتذكير أن المحكمة لم تقض بعد في قضية أيودها كما لم يحكم بذلك المعنيون بالسياسة ممن كانوا يقومون بدورهم السياسي على أساس هذه القضية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أعلن المحرقون بالسياسة عن بناء معبد (رام) بصورة مؤكدة، وأنهم يصرون على قضائهم مهما أصدرت المحكمة من حكم موافق أو معارض.

ولكن يجب على الأحزاب العلمانية جمعاء أن تصرف عنايتها منذ الآن إلى هذه الأخطار، ولا يجب ذلك من أجل ذلك الحادث فحسب بل لأجل سلامة البلاد ولبقاء الكيان الصحيح للهند، وذلك ما يحتم علينا أن نتعظ ونعتبر بأخطاء عام ١٩٩٢م، ونعد إعداداً مناسباً، وأكبر استعداد في هذا الصدد هو مراعاة الوئام الطائفي والألفة والمحبة.

البروفيسور محمد يونس النجرامى

إسلام منبوذین



نشرت صحيفة (تايمز أوف انديا) الهندية مقالاً في عددها الصادر بتاريخ ٢٢/١١/١٩٨٣م تحت عنوان (أناس يعتقدون الإسلام جماعياً في تاملنادو) جاء فيه: تشهد مديرية (رامانا بابورم) المتخلفة جنوبي ولاية تاملنادو موجة جديدة من دخول المنبوذين في الإسلام أفواجاً حيث اعتنقت ١٩ عائلة الإسلام في قرية سيالور على بعد ١١ كيلومتراً من مدينة رامانا شابورم في الشهر الماضي، وتفيد الأنباء أن هذا ليس إلا تمهيداً لتحرك يقضي باعتناق ألف عائلة الإسلام في ١٤ يناير القادم ويبلغ عدد أفراد هذه العائلات حوالي ثلاثة آلاف شخص، ويتوخي سكان مجموعة من القرى وهي (انشاغودي وروشانغلام وفيراواندال وفيراوانور وتانجور واتيوال وانيكودي ونيكولام) أن تكون لهم بيئة اجتماعية أفضل يتعايشون فيها مع الآخرين من المواطنين على قدم المساواة.

وينوي معلم من قرية سيالور اعتناق الإسلام إذ يرى أنه لا فائدة من بقاءه في حظيرة الهندوس بعد أن اعتنقت كافة العناصر الشابة من طائفته الإسلام، وقد صرح هذا المعلم بأن بقية عائلات المنبوذين من القرية البالغ عددها ٧١ عائلة تعتنق الإسلام.

وقبل عامين اعتنق المنبوذون من قرية (ميناكشيبورم) من مديرية تيرونولي المجاورة لمديرية راماناشابورم الإسلام بصورة جماعية ليس للحصول على المكانة الاجتماعية والكرامة واحترام النفس فحسب ولكن أيضاً للفرار من اضطهاد الهندوس والمنتمين إلى الطبقة الرفيعة المزعومة، وكان ذلك مثار اهتمام الصحف التي أبرزت أبناء ذلك بعناوين كبيرة، وقد لوحظت الموجة الأولى من اعتناق الناس الإسلام في مدينة راماناشابورم في العام الماضي عندما اعتنق ٩٣ شخصاً من المنبوذين من قرية بيرومشيري الإسلام، وكانت هناك أيضاً أنباء عن

اعتناق بعض الناس الإسلام في قرية كرونغلام، وقد أطلقت اتهامات مفادها أن الأموال العربية والإغراءات بتوفير فرص العمل في دول الخليج كانت وراء اعتناق المنبوذيين الإسلام، غير أنها ليست مقنعة وعندما سئل المعلم المذكور أعلاه والمدعو الأغار سامي عن حقيقة هذه الاتهامات تساءل متهمكاً: كيف يمكن أن يحصل ٤٠٠٠ نسمة على فرص العمل في دول الخليج بصورة جماعية غير أنه اعترف بأنه يمكن أن يكون ذلك أحد الأسباب التي حملتهم على الانضمام إلى حظيرة الإسلام، وأضاف يقول إن أهم شيء هو الضرب الشديد الذي تعرض له شاب من المنبوذيين وكانت جريمته أنه مشى لابساً حذاءه أثناء مهرجان المعبد.

وليس اعتناق الإسلام مقصوراً على المنبوذيين من حظيرة الهندوس بل إن المسيحيين منهم يعتقدون الإسلام، وتكشف دراسة أعدها معهد تاملنادو للتعليم الديني في مدينة مدوراي عن أن الذين اعتنقوا الإسلام يوجد من بينهم أيضاً المسيحيون.

ويقول السيد اندريو ونغيت الذي أعد الدراسة: إن هناك شعوراً واسعاً بالضجر بين المسيحيين من النظام الاجتماعي المسيحي الراهن، كان هناك ٥٠ مسيحياً من بين ١٨٠ منبوذاً الذين أسلموا في أعقاب إسلام سكان قرية ميناكشيبورم، كما اعتنق ١٧٠ شخصاً الإسلام في قرية انيكاراباشي وكان من بينهم ٤٠ مسيحياً، وينبغي الإشارة هنا إلى أنه كان هناك نزاع في مدينة تهروجيرابلي قبل بعض الوقت حول مكان الدفن للمسيحيين من الفئة الدنيا في مقبرة المسيحيين.

ومن الغريب أن المنبوذيين الهندوس والمسيحيين في ولاية تاملنادو يتعرضون للتعذيب والاضطهاد في كثير من الأحيان على أيدي رجال

من فئة ثيوار التي تعرضت بنفسها لاضطهاد الإنجليز أثناء حكمهم للهند حيث كانوا يعاملون أفراد هذه الطائفة باعتبارهم مجرمين، وينظر الهندوس والمسيحيون من هذه الفئة اليوم إلى من اعتنق المسيحية من فئة (بالار) المستحقرة، نظرة ازدراء واحتقار على الرغم من أن كثيراً منهم متقنون ويملكون الأراضي ويتمتعون بوضع اقتصادي جيد.

ومما جاء في الدراسة المذكورة أن أي منبوذ سواء كان هندوسياً أو اعتنق ديناً آخر لا يستطيع أن يدخل بين فرد من فئة (كالار) وهي إحدى الفئات الثلاث الفرعية المنبثقة عن فئة ثيوار، التي عاملها الإنجليز باعتبارها مجموعة من قبائل المجرمين وهو لباسا الحذاء ولا يستطيع أن يمشي على شارع خاص برجال فئة (كالار) كما لا يستطيع أن يركب دراجة داخل قريتهم.

ونسب السيد/ ونغيت إلى امرأة مسيحية من فئة (كالار) وهي (مدرسة مدربة تملك قطعة من الأرض) قولها إنها تتوقع حتى الآن من النساء المنبوذات بغض النظر عن دياناتهن أن يخلعن بلوزاتهن أثناء العمل في مزرعتها، وقد قطعت هذه المرأة كافة العلاقات مع بعض أقاربها الذين أقاموا علاقة الزواج مع المنبوذين.

ومن جهة أخرى أعرب بعض المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام عن قناعتهم بهويتهم الجديدة، ومما أثر في نفوسهم تأثيراً طيباً عدم وجود أي نوع من التمييز على أساس الولادة من فئة معينة في مجتمع المسلمين في ولاية تاملنادو، ويقول متخصص في علم الاجتماع، وهو مئيسون ماينس: بالرغم من أن هناك خلافات وانشقاقات بين المسلمين التامليين إلا أنه ليس هناك أي تأثير للنظام الطبقي ومن هنا فليس بينهم أي قيد يمنعهم من الزواج أو تناول الطعام مع بعضهم البعض.

حدثني الشيخ أبو الحسن الندوي قال:

لما بلغنا خبر إسلام أهل قريتين في تامل نادو أرسلنا إليهم بعض المشايخ معهم كتب إسلامية ومن أجل إرشادهم في أمور دينهم الإسلامي، الجديد بالنسبة إليهم، قال: ولما نعرفه من عادات الهند طلبنا من المشايخ أن يطلبوا ماء وإن يشربوا من الإناء الذي يشرب منه المنبوذون الذين هم المسلمون الجدد، ونحن نعرف أن لذلك أهمية كبيرة لهم، لأن البراهمة وغيرهم من الطبقات الهندوكية المتعصبة لا يشربون في إناء يشرب منه المنبوذون ولا يأكلون في إناء أكلوا فيه ويزعمون أنه لا يطهره شيء ولا الماء والصابون، ولذلك يكسرون أنيهم إذا شرب فيها منبوذ.

قال: فصار المشايخ يتعمدون أن يشربوا حتى بعد فراغ هؤلاء المسلمين الجدد من المنبوذين من الماء الذي شربوا منه.

قال: حدثني المشايخ أنهم استعظموا ذلك وزادهم يقيناً بأن الإسلام هو دين الحق والعدل والمساواة فتمسكوا بإسلامهم.

هذا وقد طرح موضوع إسلام أهالي تلك القريتين من المنبوذين في البرلمان الهندي وتركهم للدين الهندوكي الذين كان دين آبائهم منذ قرون متطاولة فألف البرلمان لجنة منه لبحث السبب في ذلك لاسيما بعد أن طرح بعض الأعضاء دعوى بأن السبب هو الدولار العربي - يشير إلى المساعدات التي تأتي من أهل الخليج العربي وبخاصة من المملكة العربية السعودية إلى المسلمين في الهند.

وبعد بحث طويل من تلك اللجنة لم تجد أي أثر لما أسموه بالدولار العربي في دخول المذكورين إلى الإسلام، فلم يثبت أن أحداً من العرب قدم

إليهم مساعدة من قبل، ولا وعدهم بذلك، وإنما عرفت اللجنة بعد التحقق والمساءلة أن السذي حملهم على ذلك هو شعورهم بعد أن تعلموا وفتحوا الأمور بفضاعة السياسة العنصرية الطبقيّة في الديانة الهندوكية التي حكمت عليهم بأنهم أرياء أسافل من أصل الخلقة، وأنهم لا يمكن أن يتساووا مع الطوائف النبيلة في الهند أو التي تسمى أنفسها نبيلة راقية بالنسبة إليهم.

وقد بحثت هذا الموضوع أكثر من مرة مع المفكرين الدعاة في الهند قائلاً لهم: إنهم ينبغي أن يوجهوا جهوداً أكبر إلى المنبوذين لإدخالهم في الإسلام، وأن يشعروهم فعلاً بأنهم متساوون معهم في أصل الخلقة، وأنه لا فضل لأحد من بني آدم إلا بالعمل الصالح، فكانوا يقولون: إن ذلك صحيح ولكن الذي يفت في العنصر أن المسلمين لا يقبلون أن يتزوجوا من هؤلاء المنبوذين ولا أن يزوجهم حتى بعد أن أسلموا، لأن من يقبل بذلك يقوم بالإنكار عليه أهله وأقاربه، وربما يؤثر ذلك على زواج قريباته من المسلمين.

وأنهم لم يستطيعوا أن يقنعوا المسلمين بخلاف ذلك.

ولا أشك في أن هذا صحيح، ولكن ربما كانت هناك أشكال أخرى من التمييز غير ظاهرة ظهور تمييز البراهمة ضدهم تمنع من ذلك.

وعلى أية حال فإنه لوحظ أن دخول أفراد من الهندوكية إلى الإسلام لم يكن مقتصرًا على المنبوذين، بل إن الطوائف الراقية وغيرها في الهند وجد فيها أفراد دخلوا في الدين الإسلامي عن طريق الاقتناع بصحته، والاقتناع من فساد الديانة التي كان آباؤهم يعتنقونها قبلهم.

هذا وقد سألت الشيخ كاكّا محمد عمر مدير جامعة دار السلام في

عمر آباد في الولاية نفسها التي أسلم فيها أولئك المنبئون بعد إسلامهم بنحو سنتين عما إذا كانوا قد ثبتوا على إسلامهم أم رجع منهم أحد إلى دينه الهندوكي السابق فأجابني بكل تأكيد: إنهم جميعاً بقوا على إسلامهم وإنه على صلة بهم من أجل الإرشاد والتوجيه ومساعدة المحتاجين منهم إلى المساعدة بطعام أو نحوه.

وقال الشيخ السيد أبو الحسن الندوي الداعية الإسلامي الكبير في معرض الحديث عن علاج حالة المسلمين في الهند:

لقد بذلتُ خلال المنتصف الأخير من القرن المعاصر جهود وطاقات لرفع مستوى المسلمين، وتلقت المؤسسات العاملة في سبيل إنعاش المسلمين معونات سخية، وكانت رابطة العالم الإسلامي في مقدمة المنظمات التي قدمت مساعدات مالية ضخمة وأصبحت بذلك مرجعاً لكثير من المنظمات العالمية، وكان للهند نصيب وافر منها، وظهرت بفضل هذه المعونات حركات ومراكز ومؤسسات تعمل في مختلف الميادين في الهند، كما هو الحال في عدد من البلدان في آسيا وإفريقيا، كما كان لمساعدة الرابطة دور في تقريب عدد من البلدان التي كانت تعادي الدعوة الإسلامية فتغير موقفها، أو تخفف حدة عداؤها للعمل الإسلامي على الأقل، كأندونيسيا، وتركيا، وبلدان أخرى، لأن الاقتصاد عنصر كبير في تكوين موقف الدول إزاء الحركات والنشاطات في هذا العصر.

وقد استغلت الدول الأوروبية التي تدعي بالعلمانية، وفصل الدين عن السياسة هذا العنصر في نشر نفوذها، وبسط شبكة الإرساليات، فتوغلت بذلك إلى كثير من الحكومات التي تختلف عنها في الفكر والعقيدة، وظلت تسيطر على سياستها بمعوناتها ومساعداتها المقيدة بالشروط.

لقد قامت رابطة العالم الإسلامي بمجهود كبير في دعم ما تناوله المؤسسات الإسلامية في العالم، وتوسعت آفاقها بصفة خاصة في عهدكم، ولكن هناك أرجحيات لوراعتها الرابطة لآتت جهودها ثماراً أفضل، وحيث أنني مواطن لهذا البلد العظيم: الهند الذي يعيش فيه المسلمون كأقلية كبيرة ويواجهون مسائل معقدة، فقد كانوا في عصر من العصور حكماً في هذه البلاد وتركوا فيها آثاراً تاريخية، وهذا العهد نفسه في ذهن الأغلبية شوكة نفسية، فكان موقفهم إزاء هم غير موقف الأغليات إزاء الأقليات في البلدان الأخرى، وزاد هذا الموقف اشتباكاً كون المسلمين في عدد يحسب لهم حساب، وهم حريصون على الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم ونظامهم الشرعي، يضمرون حباً غامراً للوطن الإسلامي وخاصة الدول العربية، ما لا يستسيغه ذهن الأغلبية لغلبة العواطف القومية، والحضارية، وتحدد الدوافع إلى تأصيل ثقافتها ولغتها، ومنهج حياتها، والقضاء على ما يتنافى مع ذلك من عقيدة وفكر وثقافة وفن، وقد أعد الدستور بدقّة وحذر، تظهر به النزعة العلمانية، ولكن فيه صلاحية التحول إلى أي جهة تريدها الأغلبية.

إن المسلمين يواجهون في الهند مرحلة مصيرية تتطلب ذكاءهم وحكمتهم ومعالجتهم بدقّة وحذر لقضاياهم، ليعيشوا كأمة ذات منهج وشخصية خاصة، ولا يخفى بعض القادة نواياهم للتخلص من هذه الوحدة، وإعادة تجربة الأندلس كما تدل عليه نشرات وخطب لقادة حركة إحياء الحضارة الهندوكية، ولا يستطيع أن يقف في سبيل هذا التيار المعادي بعض المدارس الإسلامية والمساجد والمراكز والحركات لأنها تستند إلى الدستور وتسامح الحكومة.

إن تعديلاً في قانون الحريات الأساسية أو التعليمات السرية في تطبيق ضمانات الدستور يستطيع أن يحدد من نشاطات هذه المؤسسات كما حدث في الصين، والاتحاد السوفيتي، وكما يلاحظ بعزم حكومة الهند على تشريع قانون الأحوال الشخصية الموحدة، ولو اختيارياً وفرض سياسة خاصة للتعليم والتربية تركز على الجوانب الثقافية والفكرية، المقتبسة من العقائد الوثنية.

إن المصالح الاقتصادية والسياسية بين الدول النامية ومكانة الدول الإسلامية التي تغطي منطقة شاسعة لا تسمح لأي حكومة وخاصة الهند التي تزيد صلات قوية مع هذه الدول، بأن تقتحم سياسة العداوة للسافر للإسلام والمسلمين، رغم عدم اهتمام الدول الإسلامية ووقوفها موقف الحياد التام، ولكن نشاطات الأحزاب والحركات المتطرفة من الأغلبية، وعداؤها للسافر ونواياها العدائية تجري في الهند علناً وتساندها الصحف اليومية بصراحة، وتقف الحكومة إزاء هذه النشاطات موقف الحياد أو التواطؤ سرياً.

وقد تأثر الجهاز الإداري والقضائي بهذه العناصر، والدعاية المعادية فلا تجد ضمانات الدستور ومواثيق الانتخابات وعودها فرصة للتنفيذ وتتشأ مشاكل بعد المشاكل بسبب هذا الموقف.

في وجه هذه الظروف والمشاكل المعقدة يتحمل المسلمون مسئولية الاحتفاظ بشخصيتهم ومكانتهم وصيانة أجيالهم القادمة من الذوبان، وقد بدأت آثارها في الأطفال الذين يتوجهون إلى المدارس الرسمية في أفكارهم وثقافتهم، ويقتضي الوضع اتخاذ إجراءات مركزية واسعة النطاق في مجالات التعليم والتربية للأطفال والبالغين، وإنشاء نظام قضائي داخلي لتسوية مشاكل المسلمين، ومنعهم من اللجوء إلى المحاكم الرسمية،

ومحاولة جذب المعتدلين والمتسامحين من الأغلبية إلى تأييد قضايا المسلمين العادلة و الدفاع عن مطالبهم الشرعية حسب ضمانات الدستور، والتسرب إلى الصحافة القومية بالتأثير على أصحاب الأقلام من غير المتطرفين، ودفعهم إلى الكتابة في الصحف في صالح المسلمين، وتنظيم لقاءات وحوارات مع المتقنين والعقلاء، وأصحاب الفكر لمناقشة المشاكل بحرية لجعلهم محايدين بالنسبة للحركات المتطرفة، وقد شوهد بأن بعض النفوس المعتدلة المحبة للسلام منعت في بعض المناسبات النزاع من التحول إلى صراع طائفي دام.

لتحقيق هذه الأهداف تحتاج منظمة "مجلس التعليم الديني" الذي لا يستطيع الآن أن يوسع نطاق عمله، ويتجاوز إلى ولايات أخرى غير ولاية أترابرديش إلى دعم وتأييد، وقد حققت هذه المنظمة التي لا تزال شبه طوعية أهدافها بصورة مشجعة بفتح آلاف من الكاتيب، وتوعية الأباء لتعليم أطفالهم دينياً، وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية.

والمنظمة الثانية التي تحمل دوراً حاسماً في هذا المجال هي مجالس الأحوال الشخصية الذي خاض معركة الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية وانتصر رغم حملة الصحافة، والزعماء السياسيين المركزة ضدها.

والحركة الثالثة التي تختص بالمسلمين بصورة عامة، هي حركة رسالة الإنسانية التي لم تتقدم لضالة الوسائل، ولكنها جذبت قلوب عديد من العقلاء في الأغلبية، ويتوقع أنها إذا دعمت فإنها ستؤثر على قضية العلاقات بين المسلمين وغيرهم تأثيراً كبيراً، وهذه الحركة تنظم لقاءات مع الصحفيين والمتقنين لشرح قضايا المسلمين.

ولي صلة شخصية بهذه الحركات الثلاث، وإنني أعتقد أنها تحتاج إلى تنظيم وتدعيم، ولا أقل من أهمية الأعمال الإسلامية الأخرى، ورابطة العالم الإسلامي تساهم فعلا في كثير منها، فإنها في مجالات وأرصفتها المحدودة تقوم بخدمة عظيمة، منها المدارس ومراكز الدعوة، وإنشاء المساجد وتعميرها، لكن هذه الأعمال كلها تبقى وتزدهر إذا بقي الشعور والوعي في المسلمين، ووفرت لها فرص العمل من الحكومة والأغلبية.

وأكتفي بهذا العرض الموجز، وأسأل الله التوفيق والسداد، والإخلاص في العمل وحسن النية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

انتهى كلام السيد أبو الحسن علي الحسن الندي

آثار المسلمين في الهند

آثار المسلمين في الهند هي أعظم وأنفس الآثار القديمة فيها، ولذلك صار السياح يقبلون على الهند من أنحاء العالم لرؤيتها ومشاهدة فن البناء الذي بنيت عليه.

وهي بهذا تقدم مورداً مالياً عظيماً للهند لا يستهان به، فكان أهل الهند من غير المسلمين استعادوا بالرسوم التي حصلوا ويحصلون عليها ما سبق أن أخذه ملوك المسلمين من غير المسلمين في الهند على هيئة خراج أو ضريبة، أو حتى جزية مع أن كفار الهند ليسوا من أهل الكتاب الذين يقرون على الجزية.

ومثل الهنود في هذا الأمر مثل الإسبان الذين صاروا يكسبون البلايين من الرسوم المالية التي يأخذونها من السياح الذين يأتون إلى إسبانيا من أجل مشاهدة الآثار العربية في الأندلس مثل قصر الحمراء في غرناطة وجامع قرطبة.

وقد أجمل السيد عبدالحى الحسني ذكر الآثار المهمة التي خلفها المسلمون في الهند، كما ذكرت بالتفصيل ما شاهدهته منها في كتبي عن الهند ومنها هذا الكتاب.

قال تحت عنوان:

(ذكر الجوامع والمساجد في الهند):

إعلم أن الملوك الإسلاميين قد أسسوا الجوامع والمساجد بالهند ولا تكاد تضبط كثرة، وكذلك الأمراء قد أسسوا في كل بلدة وعمالة، وقرية، وبذلوا عليها أموالاً طائلة، لا يقدر أحد أن يضبط كل ذلك، فلنذكر المعروف ههنا، ولنطو ذكر الباقي، فأول جامع أسس بمدينة دهلي - على

ما أحفظ- الجامع الذي يسمونه قبة الإسلام أو قوة الإسلام، بناه قطب الدين أيبك سنة ٥٨٧هـ بعد ما هدم بعض بناء الكنيسة^(١) العظيمة التي كانت من أبنية "برتهى راج" عظيم الهند، وأبقى بعضها ثم جعلها مسجداً، ولما رجع من بلدة غزنة سنة ٥٩٢هـ، شرع في بناء الجامع الكبير بأمر السلطان شهاب الدين الغوري من حمر الحجارة المنحوتة أبدع نحت، وجعل البناء الباقي من تلك الكنيسة العظيمة أجزاء من ذلك الجامع.

ثم لما ولي الملك بعده شمس الدين أيلتمش أضاف إلى جانبيه أبنية كثيرة من بيض الحجارة، وفي أحد جانبيه المنارة العظيمة، لا يكاد يوجد مثلها في الدنيا في الحسن والامتانة.

ولما ولي الملك علاء الدين محمد شاه الخلجي أصلح بعض بنائه، وأمر ببناء المنارة الثانية سنة ٧١١هـ، فلم يتم له البناء لحلول الأجل قبل بلوغه إلى منتهى الأمل.

ثم لما ولي الملك محمد شاه تغلق تصدى لتجديد البناء من الحجارة المنحوتة أبدع نحت، وهذا الجامع رآه الشيخ محمد ابن بطوطة المغربي، ووصفه في كتابه، قال: "إنه كبير الساحة، حيطانه، وسقفه وفرشه، كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت، ملصقة بالرصاص اتقن إلصاق، وفيه ١٣ قبة من حجارة، ومنبره أيضاً من الحجر، وله أربعة من الصحنون.

ومنها "موتى مسجد" ببلدة دهلي داخل القلعة المعلاة، بناه عالمكير بن شاهجهان، وكان متعوداً للصلاة بالجماعة في المسجد في كل وقت من أوقاتها، فبناه بين "دولت خانه" وبين الحديقة "حياة

(١) يقصد بالكنيسة معبد كفار الهند وليست معبد النصراني.

بخش"، لثلاث فتوته الصلاة بالجماعة في المسجد.

وهذا المسجد كله من بيض الحجارة المنحوتة، تربو على اللآلي في الحسن والصفاء، وبذل عليه مائة ألف وسبعة آلاف رُبية، وتم بناؤه في خمس سنين.

ومنها الجامع الكبير ببلدة لاهور من أبنية عالمكير المذكور، بناه من حمر الحجارة المنحوتة، وبيضها في غاية الحسن والحصانة وأنفق عليه خمسمائة ألف رُبية، وهو المشهور "بشاهي مسجد".

ومنها الجامع الكبير بمدينة "بنارس" بناه عالمكير بعد ما هدم الكنيسة العظيمة للهنادك، ينسبونها إلى "بشيشور"، وكانت عالية البناء يقصدونها غاية التقديس، فهدمها، وبنى مكانها مسجداً رفيعاً من تلك الحجارة، وكسر الأصنام، ووضع بعضها منكوساً في جدران المسجد، وهو من أشهر المساجد في بلاد الهند.

ومنها الجامع الكبير، بناه عالمكير ببلدة بنارس على شاطئ "نهر كنك" من الحجارة المنحوتة، وهدم الكنيسة العظيمة بها للهنادك، ينسبونها إلى "بندوما دهو" أحد عظمائهم، وهذا المسجد أيضاً من أشهر المساجد بأرض الهند، مناراته ٢٨، وارتفاع كل منها ثمان وثلاثون ومائتا قدم، فوق سطح "كنك"، وأساسها يمتد إلى حافة الماء.

ومنها الجامع الكبير الذي أسسه اسكندر شاه الكشميري ببلدة "سرى نكر" سنة ٧٩٥هـ في غاية الحسن والمتانة، أحرقت النار بعد مدة من الزمان، فأمر بينائه حسن شاه الكشميري على أساس قديم، ولكنه مات قبل أن يتم البناء، فشمّر له وزيره إبراهيم الماكري، وأتم بناءه سنة ٩٠٩هـ،

وهو من أبداع الأبنية بأرض كشمير، استحسنه جهانكير، وذكره في كتابه المعروف بتزك جهانكيري.

ومنها الجامع الكبير بقلعة "كليركه" من أبنية الملوك البهميين على مثال الجامع الكبير بقرطبة من بلاد الأندلس، فيه مائة وإحدى عشرة قبة، أكبرها مرتفع من الأرض بقدر خمس وسبعين قدماً، أما السقف منها، فطوله شرقاً وغرباً (٢٢٥) قدماً، وعرضه شمالاً وجنوباً (١٦٨) قدماً، وله بابان شمالاً وجنوباً، وهذا المسجد يسع ستمائة ألف رجل، كما في تاريخ "بيجاپور".

ومنها الجامع الكبير، الذي بني في عهد أحمد شاه الكجراتي بمدينة أحمد آباد سنة ٨١٧هـ على ثلاثمائة واثنين وخمسين سارية، غير سوارى الإوانات الشمالية والجنوبية، وطوله غير طول الصحن مائة ذراع، وعرضه غير عرض الصحن خمسون ذراعاً، وارتفاع المنارتين مائة وست وثمانون ذراعاً، وله منارتان مرتفعتان غاية الارتفاع، وثلاثة أبواب عالية البناء، كما في "مرآة سكندري".

ومنه الجامع الكبير، الذي بناه إبراهيم الشرقي بمدينة "جونبور" من الحجارة المنحوتة، وكان كنيسة^(١) عظيمة للكفار، ثم بني الجامع الكبير على أنقاضها، وهو يشتهر بمسجد "أثاله" بفتح الهمزة، كان يصلي فيه السلطان الجمعة والعيدين، والقاضي شهاب الدين الدولة أبادي يدرس به، وحوله حجرات كثيرة للطلبة.

ومنه الجامع الكبير، الذي أسسه إبراهيم الشرقي المذكور ببلدة جونبور سنة ٨٤٢هـ، ومات قبل أن يتم البناء، فاعتنى به محمود الحسين.

(١) كنيسة: أي معبد.

السلطة الإنكليزية على أرض الهند:

قال السيد عبدالحى الحسني:

أعلم أن الهند كانت أمنة من مطامع الفاتحين، لبعدها عن دول التمدن القديمة حول البحر المتوسط، حتى جاءها إسكندر بن فيلقوس المقدوني، في أول القرن الرابع قبل الميلاد، فافتتحها، ولم يطل سيادته عليها، فعادت إلى استقلالها، فلما ظهر الإسلام، كانت في جملة ما افتتحها المسلمون، فانتشر الإسلام بين أبنائها، وتسلطت الدول الإسلامية من الترك، والتتر، والأفغان، وأما الغربيون فإنهم كانوا سادرين في غفلتهم في ظلمات من الجهل، حتى إذا أخذوا بنهضتهم الأخيرة منذ بضعة قرون، وعملوا على التماس أسباب المدنية، كان في جملة مساعيهم في هذا السبيل، الرحلة لاكتشاف طريق التجارة في أنحاء المعمورة، وخصوصاً في الشرق، وكانوا يسمعون بالهند وغناها، ممن يفد عليهم من التجار الذين كانوا يترددون بينهم وبينها، برأ وبحراً، فسافر كولمبوس سنة ١٤٩٢م - ٨٩٨هـ، في الأوقيانوس الأتلانتيكي، وهو يتوقع الوصول إلى الهند من جهة الغرب، فإذا هو قد عثر بأمریکا، فشغلته عما سواها، وأصبح ارتياد الهند من حظ واسكودي كما الرحالة، البرتكالي، فدار حول رأس الرجاء الصالح "كيب آف زاهوب"، وقطع الأوقيانوس الهندي سنة ١٤٩٨م - ٩٠٤هـ، حتى أتى الهند، فرأى فوق ما كان يسمعه من خصبها وثروتها، ونقل ذلك إلى دولته، فبعث ملك برتكال جيشاً لاحتلالها، أو افتتاحها، فدافع أهل الهند عن أوطانهم، فغلبهم البرتكاليون على كثير من السواحل، واستأثروا بتجارة الهند، لا يشاركهم فيها أحد من الدول، فتمتعوا بذلك الاحتكار قرناً كاملاً، من سنة ٥٠٠م - ٩٠٦هـ إلى سنة ١٦٠٠م - ١٠٠٩هـ.

ولما كانت طباع البرتكاليين لا تساعدهم على الاحتفاظ بتلك الزعامة، لأنهم كانوا أقرب إلى الغزاة منهم إلى التجارة، لما تعودوه من الحروب الدينية بينهم وبين المسلمين في الأندلس، فما لبثوا أن رأوا الدول الأخرى تسابقهم إلى الاجتراء من تلك الغنيمة، وأسبقهن إلى خرق ذلك الحجاب أهل "هولانده"، وما زالوا حتى غلبوا على البرتكاليين، ونحن إنما ننظر في سيطرة الإنكليز على تلك البقاع.

والإنكليز أمة تجارية استعمارية، وكانت أكثر الدول طمعاً في الهند، قبل أن يكتشفها "واسكودي كاما" عن طريق رأس الرجاء، وكانوا يلتمسون الوصول إليها من الشمال الغربي، حاولوا ذلك سنة ١٤٩٦م - ٩٠٢هـ فلم يفلحوا، ثم أرادوا السفر من الشمال الشرقي غير مرة بين سنة ١٥٥٣م، و١٦٦١م - ١٠٧٢هـ فأخفقوا، وقد ضحوا في هذا السبيل بغير واحد من رجالهم، أهل الرحلة والعلم، على أن بعضهم كانوا يسافرون إلى الهند، من طريق رأس الرجاء بعد اكتشافه للتجارة أو نحوها، ولكنهم لم يجدوا للتملك أو الاحتكار، سبق غيرهم إلى ذلك، فاستتبطوا تدبيراً عاد عليهم بالفائدة العظمى، وهو أنهم ألفوا لذلك شركة تجارية، هي شركة الهند الشرقية.

قيل في سبب إنشائها أن أهل "هولانده" رفعوا أسعار التوابل، التي كانوا يحملونها من الهند، وبيعونها للإنكليز إلى ضعف ما كانت عليه، فشق ذلك عليهم، فاجتمعوا سنة ١٥٩٩م، برئاسة محافظ المدينة، وقرروا تأليف شركة تجارية، تعامل الهند مباشرة، ورفعوا قرارهم إلى ملكتهم "إليزبته" فأوفدت إلى سلطان الهند، تستأذن لتلك الشركة في المتاجرة

ببلاده، فأذن لها، فأصدرت الملكة أمراً بإنشائها سنة ١٦٠٠م، وكان اسمها يومئذ "شركة تجار لندن، وحاكمهم إلى الهند الشرقية" وكان رأس مالها مائة وخمسة وعشرين سهماً، قيمتها (٧٢٠,٠٠٠) جنيه، ثم ازدادت، حتى بلغت (٤,٠٠٠,٠٠٠) جنيه، ثم تألفت شركات أخرى لمثل هذا الغرض، وقام تنازع بينهما قرناً كاملاً، حتى اتحدت سنة ١٧٠٩م، إلى شركة واحدة، سميت "شركة تجار الإنكليز المتحدة للتجارة في الهند الشرقية"، ثم عرفت شركة الهند الشرقية، فأخذ الإنكليز يتجرون أولاً مع جزائر الهند، ولم يدخل الهند نفسها، لأن أهل برتكال وأهل هولنده، كانوا يمنعونهم بقوة السلاح، وجرت في سبيل ذلك حروب كثيرة، وسفكت فيها دماء غزيرة، والإنكليز كانوا يتربصون الفرص، حتى تمكنوا من احتلال السير، فكان أول بلد نزلوه بلد مدراس، ثم أخذوا يحتلون البلد بعد البلد، باسم التجار، فأهالي برتكال وأهل هولنده يتقهقرون بين أيديهم، مما يطول شرحه، وكان الإنكليز يقاسون اضطهاداً من سلطان الهند، ومعاكسة من رعاياه، فرأت الشركة المشار إليها أن تحتاط للدفاع عن مركزها في مثل هذه الأحوال، فابتاعت الأرض، وابتنت القصور والحصون، فحسدتها الدول الأخرى، فأخذت تقلدها بإنشاء الشركات التجارية الشرقية، وقام النزاع بين هذه الشركات ودولها، وكل دولة تطلب الاستئثار بتلك البلاد، واستعمارها لنفسها، فكانت الغلبة أخيراً للشركة الإنكليزية، وانحلت سائر الشركات وضعفت، وأصبح الفوز الأول للإنكليز، ثم تحول هذا الفوز إلى السيادة كما سترى.

كيف تسلط الإنكليز على الهند:

كانت الهند في أثناء تلك المنافسة تحت سلطة الإسلام، وبلغت معظم اتساعها، في أيام عالمكير بن شاهجهان الدهلوي، ثم أخذت بالتقهقر، لأن عالمكير لما توفي لم يخلفه رجل قادر، فتضعفت مملكته، وأخذت في الإنحلال، وأصبحت كل مملكة من ممالك الهند تطلب الاستقلال لنفسها، وانفق قدوم نادرشاه وأحمد شاه وغيرهما، فاكتسحوا الهند، ولكنهم زادوها ضعفاً، فلم تمض على وفاة عالمكير خمسون سنة، حتى استقل جماعة المرهتة، وهددوا دار الملك دهلي، وخلع "الراجبوت" سيادة الدولة الإسلامية، واقتدى بهم آخرون في بناكله وأوده وغيرهما، وبعض هذه الدول، كانت تحافظ على سيادة سلطان الهند بالاسم، وأما الإنكليز فإنهم تخلصوا من منافسة أهل برتكال في آخر القرن السادس عشر، ومن منافسة أهل "هولانده" في آخر القرن السابع عشر، ولكنها ظلت تخاف عدواً أشد وطأة من كليهما، وهو فرنسا، وكانت قد نالت حظها من تلك الغنيمة، واحتلت مدناً أقامت فيها شبه حاكم يحافظ على تجارتها، ففي أواسط القرن الثامن عشر، كان نائبها في الهند "دوبليكس" يقيم في "بانديجري"، ونائب الإنكليز و"كلايو" يقيم في مدراس، والنزاع بين الإنكليز والفرنساويين قديم، لكنه تجدد سنة ١٧٤٧م، بأوربا، وامتد إلى الهند، فتحارب "كلايو"، و"دوبليكس" في الهند، وفي أثناء ذلك سنحت للإنكليز حادثة، فاستولوا على بنكاله، وكيفية ذلك أن حكومتها أفضت سنة ١٧٥٦م، إلى سراج الدولة، وكان شاباً، في الثامن عشر من عمره، فغلب عليه الطيش، وأخذته العزة، فطارد رجالاً من أهله إلى كلكتة، وهي معسكر الإنكليز في ذلك العهد، فاكتسح المدينة، ففر الإنكليز، ثم

بعد قليل أتت نجدة الإنكليز، فأنقذت المدينة، ثم ركب سراج الدولة بعساكره من الهنود والفرنساويين، فحاربهم في "بلاسي"، وانهزم منهم لخيانة ختته جعفر علي خان فقويت سلطة الإنكليز من تلك الساعة، فولوا مكانه جعفر علي خان المذكور، وبعد زمان يسير خلعوه، وولوا مكانه قاسم علي خان، ثم بعدمدة خلعوه، وولوا مكانه جعفر علي خان المعزول، فاستغاث قاسم علي خان شاه عالم صاحب الهند، وشجاع الدولة أمير أوده، فاتفقوا على المحاربة ضد الإنكليز، وركبوا بعساكرهم إلى بنكاله، سنة ١٧٦٤م، وهزمهم الإنكليز هزيمة فاحشة في "بكر" وقبضوا على شاه عالم، ثم حصلوا منه أسناد تحصيل العشر الخراج في بنكاله بها وأريسه، على مال يؤدونه كل سنة، فدخلت بنكاله وغيرها في سلطتهم تحت حكومة "كلايو" وانفرد الإنكليز بسيادة الهند، باسم الشركة الهندية الشرقية، التي ذكرناها، وهو نوع من الحكومة، لم يسبق له مثيل، وكانت الشركة تولى أمورها حاكماً عسكرياً معه الجند.

وأول أولئك الحكام، "كلايو" ثم "وارن هسنكز"، سنة ١٧٧٢م، فقبض على أكثر بلاد الهند صلحاً وعتوة، وحارب حيدر علي صاحب ميسور سنة ١٧٨٠م، في "كرناتك"، وهزمه، وقبض على بعض بلاده، وأسس مدرسة عالية بمدينة كلكتة سنة ١٧٨١م، ثم ولي مكانه "كارنوالس" سنة ١٧٨٣م، فحارب السلطان "تيبو" بن حيدر علي المذكور غير مرة، ثم ولي مكانه "سيرجانشور" سنة ١٧٩٣م، ثم ولي "مارنكتن" سنة ١٧٩٧م، وحارب السلطان "تيبو" سنة ١٧٩٩م، فقتله، وقبض على أكثر بلاده، وترك بعضها لمرازبة "ميسور" وحارب المرهتة، وقبض على أقطاع دهلي، وأكره، وأريسه.

ودخل في سلطان الإنكليز ما وراء "نهر الكنك" كلها، وبعض بلاد كجرات، وقدم في عهده دعاة المسيحية في الهند، فانتشروا في أقطاعها، ثم ولى مكانه "كارنوالس" مرة ثانية سنة ١٨٠٥م، ومات سنة ١٨٠٧م، فولى مكانه "اللورد منتو"، فحارب الفرنسيين، وأهل هولانده في بعض الجزائر خارج الهند، وهزمهم، ثم ولى مكانه "اللورد مويرا" سنة ١٨١٣م، فحارب المرته في "ناكبور"، وبعض بلاد دكن، فهزمهم، وقبض على بلادهم كلها، وفتح قلعة "هاتهرس" وغيرها.

ثم ولى "اللورد أمهرست" سنة ١٨٢٣م، وسير عساكره إلى أسام، وأراكان، وغيرهما، فأدخلها تحت سلطته، ثم ولى "وليم بنتنك" سنة ١٨٢٧م، فقبض على "بلاد كور"، وأسس مدرسة عظيمة بكلكته لتعليم الصناعة الطبية، وأعمال اليد، وأسس المدارس الكثيرة في أقطاع الهند، لتعليم العلوم القومية واللغة الإنكليزية، وبذل جهده في نشر العلم، وتحسين المحاكم العدلية.

ثم ولى "اللورد آكلند" سنة ١٨٣٦م، فبعث عساكره إلى أفغانستان، من شجاع الملك ابن تيمور شاه بن أحمد شاه الدراني، فأجلسه على سرير جده، فقبضوا على تلك البلاد، ولوا شجاع الملك المذكور عليها، ولكنه كان لعبة في أيدي الإنكليز، فقام عليه الناس فقتلوا شجاع الملك، والعساكر الإنكليزية كلها، فرجعوا إلى أرض الهند، ولى مكانه "اللورد النبرا" سنة ١٨٤٢م، فسير عساكره إلى أرض السند وملكها.

ثم ولى مكانه "اللورد هاردنك" سنة ١٨٤٤م، فحارب طائفة السكم أربع مرات، وهزمهم كل مرة، وأخذ منهم بعض البلاد والقلاع، ثم ولى

مكانه "اللورد دلهوزي" سنة ١٨٤٨م، فقبض على بلاد بنجاب كلها، وبعث سلطانها "دليب سنكم" إلى لندن، ووظفه، ثم ملك ناكبور وأعمالها، وملك أرض أوده، ووظف واجد علي شاه اللكهنوي، ونقض العهود، وفي عهده أسس "دبريسيدنسي كالج" بمدينة كلكتة، سنة ١٨٥٣م، وأسست المدارس لتعليم البنات، فولى مكانه "اللورد كيننك" سنة ١٨٥٦م.

وفي أيامه ثارت العساكر الإنكليزية المؤلفة من الهنادك، وأهل الإسلام، فحدثت الثورة العظيمة سنة ١٨٥٧م، وانقضت سنة ١٨٥٨م، وكانت نتيجتها أن الهند بعد أن كانت تحت سيطرة الشركة التجارية، دخلت في سلطة إنكلترا، فأعلنت الدولة أن الهند ملك لها.

وولى مكانه "اللورد ايلجن" سنة ١٨٦٢م، ومات سنة ١٨٦٣م، فولى مكانه اللورد لارنس، واستقل بالحكومة إلى سنة ١٨٦٩م، وتولى "اللورد نارتم بروك" سنة ١٨٧٢م، وفي أيامه قدم "برنس آف ويلز" ابن ملكة "وكتوريا" سنة ١٨٧٥م، فاستقبله بالترحيب والإكرام، وعظمه بما يليق بشأنه، ثم ولى "اللوردلتن" سنة ١٨٧٦م، وفي أيامه عقدوا حفلة عظيمة بمدينة دهلي، وجلس "لتن" على سرير الملك نيابة عن "فكتوريا" ملكة إنكلترا، وأعلن أنها قيصرة الهند، وولى مكانه "اللوردلين" سنة ١٨٨٠م، وكان كثير البر بأهل الهند.

ثم ولى "اللوردذفرن" سنة ١٨٨٤م، وحارب ملك برهما، فأسره، وقبض على بلاده، ثم ولى مكانه "اللورد لينسزون" سنة ١٨٨٨م، وهو رتب العسكرية على نظام جديد، وجعلها تحت إمرة القائد الكبير، وولى مكانه "اللورد ايلجن ابن ايلجن" المتوفى بالهند سنة ١٨٩٤م، فأقام حدود

الهند، وحارب الأفاغنة بتيراه، وألحق "جترال" بالهند.

ثم ولى مكانه "اللورد كرزن" سنة ١٨٩٩م، وأقام بالهند إلى سنة ١٩٠٥م، وتوفيت في أيامه بالهند الملكة "وكتوريا" ملكة إنكلترا، وقيصرة الهند سنة ١٩٠١م، وتولى المملكة ابنها "أيدورد السابع" ثم ولى "اللورد منتو" حفيد "منتو" المذكور، فيما تقدم، وكان حسن الأخلاق، كثير البر بأهل الهند، ومات في أيامه "أيدورد السابع" ملك إنكلترا، وقيصر الهند، سنة ١٩١٠م، وتولى المملكة مكانه ابنه "جورج الخامس" ولى "اللورد هارذنك" حفيد هارذنك، السالف ذكره، سنة ١٩١٠م، انتقل في عهده مركز الحكومة من كلكتة إلى دهلي، حين وفد إليها الملك "جورج الخامس" ملك إنكلترا، وقيصر الهند للتتويج، سنة ١٩١١م، ثم ولى مكانه "اللورد جيمس فورد" سنة ١٩١٦م، ثم إلى مكانه "اللورد ريدنك"^(١) سنة ١٩٢١م-١٩١٦م، وخلفه "اللورد أورن" ١٩٢٦م-١٩٣٦م، وجاء مكانه "اللورد ويلنج دون" ١٩٣١م-١٩٣٦م، وتبعه "اللورد لينلتم جو" ١٩٣٦م-١٩٤٤م، وخلفه "اللورد ويول" ١٩٤٤م-١٩٤٧م، وجاء مكانه نائب الحكومة الإنجليزية في الهند الأخير "اللورد ماونت بيتن" ٢٠ فبراير ١٩٤٧م- ١٤ أغسطس ١٩٤٧م، وفي أيام نيابته وقع التقسيم، واستقلت الهند، وقامت باكستان، وأصبح الحاكم العام للهند من ١٥ أغسطس ١٩٤٧م- إلى ٢١ يونيو ١٩٤٨م، ثم بدأ الحاكم العام ينتخب من الشعب إلى أن ألغي هذا المنصب، وصار يخلفه رئيس الجمهورية للهند^(٢).

(١) وهو الذي لعب دوراً مهماً في إحباط حركة الخلافة وحركة التحرير التي وحدت المسلمين والهنالك وجعلتهم يكافحون الاستعمار جنياً لجنب، وفي أحداث الوحشة وسوء التفاهم بين زعماء الهند، وكان إنجليزياً يهودياً -الندوي.

(٢) زيادة أضيفت بعد وفاة المؤلف -الندوي.

الفهرس

٣	كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف
١٢	مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات
١٥	مقدمة
٢١	غرائب الهند كما لاحظها المؤلف
٢٣	مختصر الحياة
٢٥	الزهور
٢٦	عبادة الحجارة
٢٧	البقرة
٢٨	المحافظة على التقاليد
٣٠	المرأة في الهند
٣٢	تلوث الهواء في المدن
٣٤	الغرام بالفلفل والحار
٣٦	أفضل أقلية مسلمة
٤١	قتل الإنسان وعدم قتل الحيوان
٤١	وأد البنات في الهند
٤٢	معتقدات وعادات هندية قديمة
٤٦	في تحديد المعمور من الأرض عندهم
٤٨	في ذكر بيذ والبرانات وكتبهم الملتية
٥٣	عبادة البقر في الهند
٥٧	تناسخ الأرواح
٦٣	نظام الطبقات في الهند
٦٨	الهنديون ودياناتهم

٦٩	اللغة
٧٢	أثر الثقافة العربية في تكوين اللغة الأوردية في هذا العصر
٧٧	دخول الإسلام إلى الهند
١٠١	بهرام بن إبراهيم الغزنوي
١٠١	شهاب الدين محمد الغوري
١٠٦	المسلمون في الهند في ضوء الإحصاءات
١٠٧	عدد المسلمين في الهند
١١١	تعليق على عدد المسلمين في الهند
١٢٩	حركة تحرير الهند ودور النساء المسلمات
١٣٢	حزب المؤتمر الوطني وإسهام المسلمين فيه
١٣٣	حقيقة الحرية
١٣٤	وقفه مع المسلمين بعد تحرير الهند
١٣٩	التعصب الهندوكي
١٤١	قضية القانون المدني الموحد
١٤٢	قضية أخرى
١٤٤	معارضة القانون المدني الموحد من المسلمين ومن غير المسلمين
١٤٦	جهود رابطة العالم الإسلامي
١٤٩	الاضطرابات والمذابح
١٥٤	منذبة المسلمين بمدينة مراد آباد بالهند ماذا حدث؟
١٥٥	تعليقات الصحافة العالمية حول المذابح
١٥٧	جنور المشكلة
١٦٠	شرح الاضطرابات الطائفية وتحليلها
١٦٤	تقريران مضادان عن اضطرابات بهاغفور
١٦٧	منظمات هندوكية متعصبة

١٦٧ وشوهند وبريشد وأهدافها
١٧١ هل حققت المنظمة "وشوهند وبريشد" أهدافها؟
١٧٣ منظمة بجرنك دل الهندوسية العسكرية تاريخها مبادئها وأهدافها
١٧٣ تاريخها
١٧٤ معتقداتها ومبادئها
١٧٥ منجزاتها
١٧٧ الوضع السياسي للمسلمين
١٧٩ مأساة السياسة المسلمة في الهند
١٨٥ إسلام منبوزين
١٩٧ آثار المسلمين في الهند
١٩٩ ذكر الجوامع والمساجد في الهند
٢٠٣ السلطة الإنكليزية على أرض الهند
٢٠٦ كيف تسلط الإنكليز على الهند
٢١١ الفهرس

